بسم الله الرحمن الرحيم

بنـــــــاء

الحضـــــــــــــارات

بالعلـــم

الأخـــلاق والعـــــمــل

مصطفى محمد لطفى القطان

إهـداء

إلى أبنـاء أمتنـا العربيـة وإلـى شـعب مصـر أنـتم أصـحاب الحضـارة العربيـة الإنسـانية والتـى سـاهمت فـى تقـدم المسـيرة البشـرية والتـى لولاهـا لتـأخرت عـدة قـرون هـذه حضــارتكم وأنـتم أبنــاء هـذه الحضــارة الخالـدة يجـب علينــا أن نعمـل جاهـدين لنبنــى حضارتناونستعيد مكانتنـا بـين الأمـم والشـعوب والحضـارات كمـا كانـت سـابقا وهـذه أمانة فى أعناقنا نتحمل مسئوليتنا جميعا

وإهدائى الخاص إلى السيد الرئيس :عبد الفتاح رئيس الجمهورية

الذى يعمل جاهدا فى توحيد كلمتنا ولم شمل أمتنـا العربيـة لإستعادة دورهـا التـاريخى والمحافظة على بقائها وتقدمها ونهضتها وحضارتها

وأهدى إليه هذه الكلمات وإاى شعب مصر العظيم وأمتنا العربية

إذا كتـب الله لهـذه الأمـة الخـلاص مـن نكباتهـا هيـأ لهـا مـن يقـود سـفينتها قيـادة حكيمـة وجمع كلمتها على الحق والتمسك بدينها ووحدتها .

إن الحيـاة لا تعـايش فـى الماضـى بـل تعـاش هنـا والآن بالتأكيـد يمكننـا أن نعمـل بكـل الوسائل من أجل غد أفضل .

إن الأديان السماوية وفى مقدمتها الدين الإسلامى أجل وأقدس من أن تكون خنجر جهالة أو معول طيش أو صرخات نذالة تدوى بها أفواه الحثالة من القوم أحذركم من أن تجعلوا لشيطان الجهل فيكم نصيبا أو يكون له على نفوسكم سبيلا .

عبد القادر الجزائرى

إن قيم الفضيلة والسلوك الخلقى ترتفع بقدر ما يبذل من جهد وما يتحقق من انتصار للمبادىء الشريفة والمثل العليا الخالدة ولا مفر من ملاقاة المشقة فى سبيل ذلك .

دكتور : محمد كمال إبراهيم جعفر

قال : أفلاطون

إن أكبر حرب فى الحياة هى الحرب التى تقع بصدد صيرورة المرء فاضلا أو شريرا ثم ربط بين الفضيلة وكل من اللذة والسعادة فيقول : أسعد الناس أعدلهم وأفضلهم وأشقى الناس أظلمهم وأشرهم .

المقدمة

فى تاريخ الحضارات الإنسانية وعبر مسيرتها لم يشهد العالم مثل الحضارة العربية الإسلامية فهى حضارة إنسانية فى المقام الأول قامت على أسس إلهية جاءت لتعنى بالإنسان محققة له التوازن بين الجانب الروحى والجانب المادى ولتقيم الإنسان على طريقه الصحيح مبينة له هدفه وطريقه وغايته فى الحياة معلية من قيمته ومؤكدة على القيم والمثل العليا والمبادىء والأخلاق الرفيعة لتحقق له إنسانيته وغايته من إعمار الكون بالعلم والأخلاق والعمل وهذا هو الإعمار الحقيقى لهذا الكون ومحققة المشيئة الإلهية فى حقيقة استخلاف الإنسان فى الأرض فكانت أعظم حضارة فى تاريخ الإنسانية أضاءت مشاعلها ومناراتها العالم وكانت سببا فى تقدم المسيرة البشرية يوم أن كانت متمسكة بقيمها ومبادئها ومثلها العليا وإيمانها الحقيقى وبذلت الجهد فى عملها وعلمها وأخلاقها لترتقى وتتقدم وقدمت كل ما فيه خير ونفع للبشرية وكانت سببا فى تقدمها إنها حضارة إختلفت عن كل الحضارات سواءا السابقة لها أو اللاحقة عليها لم تقم على أنقاض حضارة أخرى ولم تقم بقهر الشعوب التى استظلت بظلها أو إستعبادها أو ذلها أو استغلالها بل كانت حضارة تقاوم الظلم والطغيان بكل صوره وأشكاله حتى فى الفرد نفسه لأنه أساس الحضارة حضارة جاءت لنشر السلام فى ربوع الأرض تقبل وتتعايش مع الآخر مهما كانت عقيدته أو شريعته طالما لم يعاديها أو يناصبها العداء وهذا لم يتحقق مع أى حضارة أخرى حضارة قامت على المساواة والعدل والإنصاف حضارة هدفها الأول والأخير الإنسان وما نحن فيه اليوم وواقعنا الذى نعيشه واجب علينا أن ندرك ونعى ونفهم ونراجع أنفسنا ونغير ما نحن فيه لتعود لنا مكانتنا بين حضارات العالم اليوم يجب علينا أن نحقق ذاتنا ونعيد بناء أنفسنا جميعا لنكون كما كنا سابقا ولا يتحقق ذلك إلا بالعلم والأخلاق والعمل وليس أمامنا إلا ذلك وإلا فقدنا مكانتنا بين الأمم والشعوب وصرنا فى مؤخرة الركب الحضارى الذى نعيشه الآن وإنها مسئولية تقع على عاتقنا جميعا وعلى جميع أمتنا العربية ويجب أن تتكاتف الجهود وتتوحد الآراء والأهداف والرؤى المستقبلية وتلك هى مهمتنا الآن يجب أن نعمل ونعلم ونتمسك بالأخلاق الكريمة والمبادىء العليا السامية

لحضارتنا لنخرج من حالة التخلف والضعف والإنفلات من ركب التقدم الحضارى وهذا ما يدعوا إليه ديننا وشريعتنا الإسلامية ولنكون كما أراد الله لنا (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وفى كتابى هذا ألقى الضوء على هذه الحضارة العربية الشامخة وعلى بعض من جوانبها الأخلاقية والعلمية والعملية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصطفى محمد لطفى القطان

الباب الأول

نظرة شاملة إلى الحضارة العربية

حضارة العدل والمساواة والسلام

إن سبب إزدهار الحضارة العربية وامتدادها إلى أطراف الأرض هو كونها منبثقة من مبادىء الدين الإسلامى وأصوله التى تتفق مع الفطرة السليمة والعقل الرشيد والمنطق السديد ومستمدة من الدين الإسلامى الحنيف الذى يحتوى على الرفق والسعة والرأفة والرحمة والتسامح والتواصل الثقافى والقيم الإنسانية والخلق العظيم والسلوك الرفيع والأعمال الخيرة والمرءوة فهذه الصفات والخصائص هى التى جعلت الحضارة العربية محط قبول ورضا من الشعوب فى مشارق الأرض ومغاربها ولا شك أن هذه السمات أعظم وأرفع من أن تقوم بالمال أو المادة وإذا انحرفت الحضارة عنها عجلت بزوالها وفنائها ودمارها إذن لا يمكن أن تقوم حضارة مثلى تقود الإنسانية إلى الخير والرفاهية إلا إذا حملت فى طياتها أسباب هداية البشر وعوامل سعادتها فى آن واحد والإسلام بحضارته لم يكره الناس على الدين وهذه حضارة (لا إكراه فى الدين) (البقرة 256)

(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (الكهف 29)

أى إن الإسلام منذ بداية رسالته دعا إلى التعايش السلمى والتعارف والتسامح والتراحم الإنسانى مع الأجناس والشعوب وفرض على المسلمين أن يتعايشوا فى أمن وسلام فيما بينهم ومجتمعهم ووطنهم والأمم جميعا وأكد على أن تكون العلاقة بين المسلمين علاقة محبة ومودة وأخوة ومع غيرهم فى داخل الوطن الواحد علاقة التعاون وحسن الجوار والمعاملات والمواطنة والكرامة وفى الخارج علاقة تبادل وتجارة وحوار وترشيد ودعوة إلى الخير وهكذا نظم الإسلام علاقة المسلمين وحكوماتهم بغيرها من الشعوب والدول حيث قرر أن تقوم علاقة المسلمين بغيرهم تقوم على السلام لا الحرب والتعاون لا التصارع والحوار المتبادل وليس القهر والسيطرة والتسلط كما رفض التعصب القومى والعرقى وفكرة الجنس والطبقة

وحين يوجه الغرب للمسلمين الإتهام بأنهم متخلفون وأن الإسلام يقف عائقا أمام التقدم الحضارى فإنهم فى الحقيقة مخطئون يجهلون الدين الإسلامى لأن الحضارة تكون لمن يملك الأخلاق الخيرة والسلوك الطيب والعادات الحسنة ويقدم فى دنيا الناس أعلى معانى الحب والمودة ويرتقى بالإنسانية إلى أعلى مراتب العدل والإحسان ويرتفع بالبشرية إلى أعلى مستوى تشريعى وأخلاقى وليست لمن يذبحون البشر ويستعبدون الشعوب ويستغلون خيراتها ويستخدمون علمهم وتقنياتهم فى إفساد الأرض وإبادة الحرث والنسل والزرع والغرب لديه سوء نية خلط وسوء فهم كبيران عندما يوجه الإتهامات إلى الإسلام بأنه دين يعادى غير المسلمين ويكرههم على إعتناقه وأن المسلمين لديهم مفهوم للإنسانية ولكنه مشروط بسيادة الإسلام **أى** أنه بعيد عن التنوع والتعددية فى المجتمع الإنسانى هذه دعاوى وإفتراءات لا صلة لها بالصحة والواقع ذلك لأن الإسلام أعطى لغير المسلمين فى المجتمع الإسلامى حرية العقيدة وحافظ عليها وحرص على حمايتها فليس لأحد أن يقهر واحدا من الناس على عقيدة الإسلام ولم يحدث على مر التاريخ أن أكره أحد على ترك دينه وإعتناق الإسلام لأن الإسلام بطبيعته دين للفطرة ودين للعقل وأن الإكراه لا يأتى بمسلمين مخلصين ولذا أعطى الإسلام الإنسان الحرية المطلقة فى الإختيار ما بين الحق المبين أو الميل عنه واتباع الباطل وأكد الإسلام فى كثير من الأمور على المساواة بين المسلم وغيره كحق الحياة وحق الأمن وحق التعليم وحق الجوار وحق رد الظلم وحق تبادل الهدايا والزيارات والتهانى فى المناسبات السارة هذه هى سماحة الإسلام وحرصه على تحقيق المساواة بين أفراد الرعية دون النظر إلى الدين وليس هذا فحسب . بل الإسلام سبق كل التشريعات الوضعية فى تقريره لمبادىء ومواثيق حقوق الإنسان فالناس جميعا سواء فى واحة الإسلام لا فرق بين غنى وفقير ولا قوى وضعيف ولا تفاضل بالأعراق والأحساب والأنساب ولا بالجنس أو العنصر أو اللون كما لم تقف المساواة والأجوة الإسلامية فى شجرتها الباسقة عند المعانى والمقاصد التى تتوقف عندها دساتير اليوم وإنما جاوزتها إلى ما يلحق بها كل مساعدة ومساندة وعون وجبر أو كف عن مريض وعاجز وضعيف ومعوز ومحروم لتلحق الجميع

بالمجتمع الإسلامى فى دوحة يتساند الكل فى ظلها بأخوة وتكافل ومساواة وتحاب وسلام وقد عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الأخوة الإنسانية بقوله : " من آذى ذميا فأنا خصيمه يوم القيامة " سنن أبى داود

كذلك سبق الإسلام الشرائع جميعا : فى تقرير المساوة بين الرجل والمرأة وقوامة الرجل المقررة فى القرآن الكريم ليس مردها إلى تفرقة وتمييز وإنما إلى تقسيم واجبات وأعباء وتقنين لما تستقيم به أحوال وشئون الأسرة كما سبق أن الإسلام أعطى المرأة الذمة المالية المستقلة وجعل لها الولاية الدينية فهى مؤتمنة على الدين الذى هو أهم من كل شئون الدنيا إذن زعم الغرب فى هذه الجزئية من الأكاذيب الفرية ضد الإسلام فحق المرأة لا يعنى أبدا كما يزعمون العرى والسفور والمجون وإباحة الجسد لمن يطلبه والإفتئات على حقوق المرأة المالية وسلبها من لقب عائلتها بمجرد إقترانها برجل هذه ليست حرية أو مساواة كما يظنون ويدعون وإنما هو إبتذال وفوضى وسير الحياة بلا ضابط أو رابط ولذا كانت هذه الحرية الزائفة وبالا خطيرا ونكبة كبرى أطاحت بالمرأة وحطت من شأنها وكرامتها وأوردتها موارد التهلكة ونحن نتساءل ؟أين هم من شريعة الإسلام التى تحفظ للمرأة عقلها وجسدها وتحتفظ لها بلقب عائلتها وتصون ممتلكاتها وذمتها المالية من كل غاصب وهكذا لم يحرر الإسلام المرأة من رق النظرة الدونية وأسر التخلف وقيود العبودية وتقاليد الجاهلية فحسب وإنما أطلقها أيضا من العادات السيئة والسلوكيات الوافدة التى حملها لنا غزاة الحضارة وبالرغم من أن هذه الحقائق الساطعة سودت أقلام الغرب آلآف الصفحات فى الهجوم على الإسلام فما تمر فرصة إلا ويشحذ فيها هؤلاء حناجرهم ويسخرون كل أدواتهم للترويج ضد الإسلام وتشويه صورة المسلمين أمام العالم خصوصا فى أذهان الأطفال الذين سيكونون رجال الغد فى المستقبل القريب فمنهم من يقول : إن بإمكانك أن تكون ليبراليا أو ماركسيا أولا دينيا ولكن هناك معتقدا واحدا فقط ينبغى عليك عدم إعتناقه وهو الإسلام ومنهم من يزعم أن الإرهابيين لا يحرفون الإسلام بل يطبقون مبادىء الإسلام بحذافيرها ومن الأسف يمشى الإعلام فى الغرب وراء هذه الأفكار المخربة التى تنادى أن الإسلام أعدى أعداء الغرب وأنه

العدو الدود وأنه الخطر الأكبر لماذا كل هذا الحقد والكراهية ضد الإسلام والمسلمين ؟ مع إن الإسلام دين أمن وسلام وتعاون ورحمة يدعوا إلى السلم ويؤمن بالتعددية وينادى بحوار الحضارات لا بصراعها وهو برىء من مزاعم العنف والإرهاب التى يروجها أعداء الإسلام بأكاذيب وتحريفات لخداع الرأى العام العالمى إن هذه المعاداة ضد الإسلام أمر خارج عن حدود العقل والمنطق والإنسانية والدين والخلق ومن هنا نؤكد أن الإسلام بتعاليمه ومبادئه له صلة وثيقة بكل الحضارات وصداقة حميمة بكل الشعوب ولا يعرف للعداوة سبيلا لأنه دين الخالق هو رب السماوات والأرض وما بينهما يقول : الله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) (آل عمران 19)

وقد أسهم الإسلام على مر العصور فى بناء الحضارة الإنسانية وعمل على دعمها وعلى الحفاظ عليها وأسهمت الحضارة العربية فى البناء الحضارى المعاصر وحضارة أوربا بدأت بدعم الإسلام لها وبمساعدته إياها على قيامها وعلى إزدهارها **إن** الإسلام دين السلام والرحمة والعدل والمساواة والتعاون والإخاء البشرى والحرية الإنسانية ودين المحافظة التامة على حقوق الإنسان وحمايتها .

جوهر التشريع الإسلامى

إن جوهر التشريع الإسلامى : هو رعاية الإنسان وحقوقه وكرامته والرفع من قدره وشأنه وتحاشى المساس به أو الإساءة إليه إلا بحق الله وهدف الإسلام توحيد الله تعالى والإيمان برسله وبكتبه السماوية ونشر الحب والإخاء والسلام بين بنى البشر جميعا والمسلمون مسئولون عن إبراز هذه الحقائق والأحكام السامية من خلال سلوك صحيح رشيد واع بحقائق الإسلام وأهدافه النبيلة فى شتى الميادين والمجالات .

تعريف الحضارة

الحضارة فى اللغة العربية : من الفعل بمعنى أتى ويقال : حضر فلان **حضارة** : أقام فى الحضر وتحضر أى تخلق بأخلاق الحضر والحضر والحضارة والحاضرة : هى المدن والقرى والريف . وسميت بذلك لأنها أهلها حضور الأمصار ومساكن الآبار التى يكون لهم بها قرار وذلك خلاف البداوة وهى أيضا الإقامة فى البوادى .

أما الحضارة اصطلاحا : ففى الموسوعة الأكاديمية الأمريكية أن مصطلح حضارة يدل على مجتمع إنسانى يتصف ببلوغ درجة عالية من الثقافة والتكنولوجيا وتبعا لذلك بنمو إجتماعى وسياسى معقد ويرى : ول ديورانت بأنها نظام إجتماعى معين يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافى وهناك تعريفات عديدة تربط الحضارة بالعلم وبعضها يربط الحضارة بالنواحى الروحية وليس بالأشياء المادية مثل المفكر الهندى : راس – فيهارى – راس أستاذ الفلسفة بجامعة سوجار بالهند قال : الحضارة فى جوهرها تقوم على الكائن البشرى لا على الأشياء المادية والناس هم متحضرون أو غير متحضرين وفقا لبعض مزاياهم الروحية ويقسم الدكتور : محمد محمد عبد القادر الخطيب فى كتابه دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية الإتجاهات المختلفة فى تعريف مصطلح الحضارة إلى ثلاثة إتجاهات : -

الإتجاه الأول : يركز فى تعريفه لمصطلح الحضارة على الجانب المادى للإنسان والحياة .

الإتجاه الثانى : يركز على الجانب الروحى أو المعنوى للإنسان . والحضارة فى نظر هؤلاء هى كل ما يثرى جانب الروح فى الإنسان ويرفع الإنسان إلى المكانة اللائقة به من حيث كونه إنسانا له قلب وضمير وخلق والحضارة ما هى إلا التصورات والقيم والمبادىء التى تعصم الإنسان من الخطأ .

الإتجاه الثالث : هو الإتجاه الذى يجمع بين الجانب المادى والمعنوى للإنسان والحياة فمفهوم الحضارة لدى هؤلاء عام ويشمل على العقائد والتقاليد الخلقية والإنتاج الفكرى والطابع السياسى والإقتصادى والإجتماعى والفنى وكذلك صور الإنتاج

المادى من المخترعات والآلآت وغيرها من التقنية الحديثة وقد عبر الدكتور: حسين مؤنس عن هذا الإتجاه فقال : الحضارة هى ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان الجهد المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أو غير مقصود وسواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية .

تعريف الحضارة العربية الإسلامية

آمنت شعوب كثيرة بالإسلام وكانت هذه الشعوب متباينة الثقافات والحضارات قبل دخولها الإسلام وبدخول هذه الشعوب فى الدين الإسلامى انصهرت ثقافتها المختلفة فى بوتقة الإسلام ونشأت الثقافة والحضارة العربية وبمرور الزمن كانت هناك وحدة ثقافية وحضارية تسود العالم الإسلامى المترامى الأطراف وهذا بخلاف الوحدة السياسية واللغوية والجغرافية التى سادت عدة قرون وفى ظل هذه الوحدة الثقافية الإسلامية جاء انتاج الأفراد والشعوب الإسلامية فى مجالات الحضارة المتعددة إنتاجا متميزا تسوده روح الإسلام ومفاهيمه ومعطياته سواء كان هذا الإنتاج الحضارى إنتاجا ماديا أو روحيا وفى القرن الرابع الهجرى كانت الحضارة العربية الإسلامية تعلوا شامخة على الدنيا بإنتاجها الحضارى المتميز الذى لا يدانيه أى إنتاج حضارى آخر معاصرا له أو سابق عليه فى مجالات العلوم المختلفة والمعارف المختلفة والصناعات المختلفة والفنون والآداب والآلآت والعمارة وشتى مناحى الحياة المادية والروحية والحضارة العربية الإسلامية حضارة شاملة للنواحى المادية والروحية لأن الإسلام جاء يعنى بالجوانب المادية والجوانب الروحية والكون والحياة وتعرف الحضارة العربية الإسلامية بأنها كل إنتاج روحى أو مادى ينسب إلى الشعوب التى دخلت فى الإسلام وتشربت الحياة الإسلامية .

رؤية الإسلام للحضارة

استخلف الله الإنسان فى الأرض للقيام بدوره الحضارى فيها ويمكن القول أن تقدم المجتمع وتخلفه يرجع للإنسان نفسه وقد أكد القرآن الكريم هذا الأمر عندما بين أن أى تغيير فى العالم يبدأ من تغيير الناس لما فى أنفسهم إذا فإن قيام الحضارة وسقوطها يعود إلى الموقف البشرى نفسه والإرادة الإنسانية وليس إلى الطبيعة أو المادة كما إن بقاء الأمة وحضارتها مرتبط بصلاح نفوسها وفسادها داخليا أو خارجيا **أما التغيير الداخلى :** للنفس فيحدث من خلال الإيمان والذى يعمل على تنشئة الأفراد على الصدق والأمانة والإخلاص ومحاسبة النفس وضبطها كما يؤهلهم لبناء حضارة ومجتمع مزدهر ويعد الإيمان الأساس الذى تقوم عليه الحضارة لما يحدثه من آثار فى حياة الإنسان ويبين الإيمان حقيقة الوجود ويرسم غاية الحياة وحقيقة التوحيد التى تمثل العقيدة التى يتم بناء الحضارة علي أساسها .

الإيمان يشكل الوعى الجماعى للمجتمع الذى تقوم عليه الحضارة

يشكل الإيمان الوعى الجماعى للمجتمع : الذى تقوم عليه الحضارة فلكل دائرة حضارية نظرياتها المعرفية المحددة لحضائصها الجوهرية والتى تمنحها الهوية الثقافية والإجتماعية المتميزة كما أن الإيمان يبدأ بعملية إصلاح القلب والذى يتبعه صلاح فى الأعمال وبالتالى الإنعكاس على قيام الحضارة المادية ويقوم الإيمان على الوسطية فى مبادئه والتى تعد سيرة المسلمين التى بنوا عليها حياتهم القائمة على العدل الذى يعد منطلقا للتغيير والتعمير والإستثمار ويمكن القول : أن الوسطية قاعدة أساسية من قواعد التحضر الإسلامى فى مختلف الجوانب الفكرية والسلوكية والتعميرية وبما أن الإيمان يعنى العلم والتصديق والعمل فإن ذلك يعنى تكامل العلم والعمل معا مما يتيح للفرد أن يتطور ويحقق العمران فى الأرض وبالتالى البعد عن الفساد والإفساد فيها وهذا يعنى تحقيق الهدف من استخلافه إن الإيمان بالله وتوحيده هو المرجع والمبدأ الذى تنبثق عنه كافة المفاهيم والقيم التى تمنح الحضارة الإسلامية هويتها كما يربط جميع مكنوناتها لتصبح كيانا متكاملا وقد ارتبطت علاقة التوحيد بجميع مظاهر الحضارة .

مسئولية الإنسان

إن مسئولية الإنسان عن تصرفاته تسمى بالتكاليف وفى التصور القرآنى فإن كل شخص يمتلك حرية التصرف وهو مسئول عن أعماله وعليه يجب على الإنسان أن يغيير ما بنفسه من سوء وأن يتحمل المسئوولية لإحداث التحضر المطلوب ويتم ذلك من خلال تثبيت العقيدة الصحيحة فى النفس والجدير بالذكر أن الإيمان يمنح الإنسان القوة التى تجعله يتحلى بالإخلاق الحميدة والتى تحرضه بدورها على الرقى والتقدم فى الدنيا كما يمكن القول إن الإيمان عامل حضارى يوجه الحماعات نحو المسار الصحيح ليزيدها عطاءا وقوة ويجعلها تبدع أكثر .

مفهوم الحضارة فى الإسلام

إن مفهوم الحضارة مرتبط بمفهوم التقدم فالحضارة إذن نقلة تقدمية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى تقدمية الفكر وفى السلوك وفى أسلوب التعامل مع اللناس والأشياء وهذا كله فى إطار منظومة من القيم تتعدى الإطار القبلى إلى دائرة الإنسانية الأوسع والأرحب وقد كان للإسلام دور كبير فى تنبيه الأذهان إلى هذه الدائرة الجديدة مؤكدا على العنصر الإنسانى الشامل (يأ أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) (الحجرات 13)

هذا التعارف يقتضى التفاهم والتعاون المشترك فى سبيل ترسيخ قيم إنسانية مشتركة تسع الناس جميعا فى كل زمان ومكان كما تعبر عن ذلك الآية الكريمة

(من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا)(المائدة 32)

وقد جعل ابن خلدون الحضارة غاية العمران وفى الوقت نفسه مؤذنة بفساد العمران وذلك لأنه ربط بينهما وبين التفنن فى الترف وإستجادة أحواله وإذا بلغ التأنق فى هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات فتتلون النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا تستقيم حالها معها دينها ولا دنياها .

الطبيعة المزدوجة للحضارة

لكننا لا نريد أن نتابع ابن خلدون فى فهمه لهذا الجانب من الحضارة ولعل تعريف ألبرت إشفيتسر فى كتابه فلسفة الحضارة يكون أقرب إلى ما نحن فيه حيث يقول إن الحضارة بصورة عامة هى التقدم الروحى والمادى للأفراد والجماهير على السواء وهذا يتفق مع ما سبق أن أشرنا إليه من أن الحضارة نقلة تقدمية فى الفكر والسلوك وفى أسلوب التعامل مع الناس والأشياء وهذا يعنى أن الحضارى لها طبيعة مزدوجة فهى من ناحية تحقق نفسها من سيادة العقل على قوة الطبيعة ومن ناحية أخرى فى سيادة العقل على نوازع الإنسان وليس يكفى اطلاقا أن يسود العقل على الطبيعة الخارجية فهذه السيادة وإن كانت تمثل تقدما إلا أنه تقدم تقترن فيها المزايا بالمساوىء التى يمكن أن تعمل فى اتجاه مضاد للحضارة أو مؤذن بفسادها كما رأينا لدى ابن خلدون وليس هناك من شك فى أن عوامل كثيرة تشترك معا فى تكوين الحضارة

ويشير : ول ديورانت فى هذا الصدد إلى عوامل جيولوجية وجغرافية وإقتصادية ونفسية ويفسر : توينبى الحضارة – بأنها رد فعل معين يقوم به أحد الشعوب أو الأجناس فى مواجهة تحد معين وهذا التحدى الذى تمثله الطبيعة يختلف فى مستواه وبالتالى تختلف فعالية الرد عليه من جانب الشعوب بين إحتمالية ثلاثة فإما أن تقوم الشعوب المعنية بوثبة إلى الأمام وإما أن تصاب بالتوقف والجمود وإما أن ينقلها إلى الفناء بردائه .

الحضارة وقضية الإنسان

الحضارة وقضية الإنسان : إذا قلنا إن الإنسان هو الأصل فى العملية الحضارية كلها هذا يقتضى أن نؤكد مرة أخرى ما نعنيه بمفهوم الإنسان فالإنسان هو الكائن الوحيد فى هذا الكون الذى وصفه الفلاسفة والمفكرون بأنه كائن عاقل أو كائن إجتماعى أو متدين أو أخلاقى بمعنى أن كل صفة من هذه الصفات لا توجد فى كائن آخر فى هذا الوجود غير الإنسان فالإنسان وحده هو الذى ينفرد بها وهناك صفات أخرى فريدة يختص بها الإنسان وهى على سبيل المثال لا الحصر التقنية والتراث والتقدم وتتمثل التقنية أساسا فى صنع الإنسان لآلآت معينة واستخدامها لغرض معين وهو عمل إنسانى خالص وهكذا نجد أن نركز الدائرة الحضارية هو الإنسان وأهم خصائصه العقل والعقل يعنى الكرامة الإنسانية وإستقلال الشخصية ويعنى المسئولية ويعنى الحرية .

الحضارة والميراث الحضارى

الحضارة والميراث الحضارى : ومما لا شك فيه أن الحضارة تعد إمتيازا للإنسان فالإنسان وحده هو صانع الحضارة ولكن الحضارة ليست ببساطة شيئا موروثا أو مجبولا فى فطرة الإنسان وإنما هى ثمرة جهود تبذلها الأجيال المتعاقبة والتربية هى الوسيلة التى تنتقل بها الحضارة من جيل إلى جيل .

الحضارة والإلتزام الأخلاقى

الحضارة والإلتزام الأخلاقى : لكن مجرد الإضافة المادية إلى الموروث الحضارى لا تكفى فالحضارة قبل كل ذلك وبعده هى إلتزام أخلاقى وهذا يعنى أنها ليست مجرد إنتاج وإستهلاك فهذه لا تستحق أن يطلق عليها لفظ حضارة فلا يكفى أن يقتنى المرء الحضارة مجرد إقتناء دون أن يكون ملتزما أخلاقيا بمنظومة القيم الحضارية والسلوك الحضارى ولهذا يمكن أن نرى فردا من الأفراد يستخدم كل منتجات الحضارة ولكنه لا يسلك سلوكا حضاريا .

الحضارة فى جوهرها تعد إلتزاما أخلاقيا

الحضارة فى جوهرها تعد إلتزاما أخلاقيا : إذا قلنا إن الحضارة فى جوهرها تعد إلتزاما أخلاقيا فإننا نعنى بذلك أن الحضارة مسئولية فى إلتزام أخلاقى يجعل المرء على وعى بالمسئولية الكبيرة التى يتحملها الإنسان الفرد ليس فقط تحمله المسئولية عن أفعاله الخاصة وإنما بمعنى معين تحمله المسئولية عن العالم الذى يعيش فيه وهذا الفهم الجديد الذى يضع عنصر المسئولية فى مقدمة العناصر الأساسية التى تشكل ظاهرة الحضارة هو الذى أدى فى السنوات الأخيرة بالمنظمات الدولية المعنية إلى تكثيف جهودها وذلك بتنظيم العديد من المؤتمرات الدولية لمناقشة المشكلات البيئية العديدة التى تهدد الحياة والأحياء على الأرض وتعد هذه الجهود المشار إليها تعبيرا عن المسئولية المشتركة التى أصبح سكان الأرض جميعا مطالبين بتحمل أعبائها .

الحضارة الحقيقية هى التى تصنع الإنسان

الحضارة الحقيقية هى التى تصنع الإنسان : وهذه المسئولية تعنى أن الحضارة الحقيقية تصنع الإنسان الذى هو نفسه صانع الحضارة فى قمة اهتمامها والحديث عن الإنسان هنا يعنى الإنسان بكل ما يعبر عنه ذلك من معنى أى الإنسان فى شتى جوانب إهتماماته المادية والعقلية والروحية ومن هنا فإنه لا يجوز إختزال الحضارة فى إرضاء الإهتمامات المادية فقط أو الروحية فقط أو العقلية فقط بل لا بد أن يكون هناك توازن بين كل هذه الإهتمامات والمتطلبات .

فصل

الأزمة الحضارية الراهنة فى العالم

إن الأزمة الحضارية الراهنة فى العالم : ترجع فى رأى كثير من المفكرين إلى أن قدرة الإنسان المعاصر على تشكيل ذاته على المستوى الفردى والجماعى قد تراجعت تراجعا حادا خلف قدرته على تشكيل بيئته تشكيلا ماديا ومن هنا يعنى السعى من أجل سيادة السلوك الأخلاقى فى مقابل الحضارة الشيئية البحتة مسئولية يشترك فى تحملها كل فرد فقد ألقت المقادير فى يد الحرية الإنسانية مصير هذا النزاع القديم المتواصل حول سيادة العقل ولا يجوز أن يغيب عنا أن هدف الحضارة هو الإنسان قبل أى شىء آخر .

الإرتباط بين الأخلاق والإنسانية

الإرتباط بين الأخلاق والإنسانية : وفى تأكيدنا على معنى الإنسان وهناك إرتباط لا ينفصم بين الأخلاق والإنسانية فالأخلاق تذهب إلى المدى الذى تذهب إليه الإنسانية والإنسانية معناها توفير الإعتبار لوجود أفراد الإنسانية وسعادتهم وحيث تنتهى الإنسانية تبدأ الأخلاق الزائفة والحضارة الزائفة وإذا كان الفيلسوف الإنجليزى : توماس هوبز قد ذهب فى تصوره إلى حد رؤية الإنسان ذئبا بالنسبة لأخيه الإنسان وأن الكل حرب ضد الكل فإن التصور الذى يتلائم مع الحضارة الحقيقية أو الذى يعبر عن لب هذه الحضارة والذى ينبغى أن يصل إلى حد وعى الأفراد والجماعات هو مسئولية الكل عن الكل والإنسان لا يمكن أن يكون مسئولا إلا إذا كان حرا ومقدرته على أن يكون رائدا للتقدم .

ما هية الحضارة

ما هية الحضارة : بمعنى أن يفهم ما هية الحضارة وأن يعمل من أجلها تتوقف على كونه حرا إذ ينبغى أن يكون مفكرا ليكون قادرا على فهم مثله وتصورها وينبغى أن يكون حرا لكى تتاح له الفرصة لأن يدفع بمثله فى الحياة العامة حتى تترجم إلى واقع ملموس ولا يمكن فى حقيقة الأمر فصل حريتى كفرد عن حرية الآخرين **لأن** الحرية لا يدركها المرء إدراكا حقيقيا إلا بممارستها عن طريق علاقته بالآخرين فالعلاقة

بين الأشخاص هى وحدها التى تجعل الحرية أمرا ممكنا **بل** إننا نذهب إلى أبعد من ذلك ونؤكد أن الإنسان لا يمكن أن يعيش ويتمتع بنعمة الحياة ذاتها إلا فى ظل علاقة إنسانية حقيقية تسوده قيم المحبة والأخوة والعدالة والتراحم بين بنى الإنسان .

الحضارة الحقيقية

الحضارة الحقيقية : هى التى تسود فيها القيم الإنسانية من شأنها أن تجعل روح التسامح تسرى بين الناس وفى ظل هذه الحضارة ينتفى التعصب الأعمى ويختفى العنف الجهول والإرهاب الفكرى بكل صوره وأشكاله .

التوازن الحضارى

مفهوم التوازن الحضارى فى فكر : مالك بن نبى

يقول : إن مشكلة كل شعب فى جوهرها هى مشكلة حضارية ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلاته ما لم يرتفع بفكره إلى الأحداث الإنسانية وما لم يتعمق فى فهم العوامل التى تبنى الحضارات أو تهدمها وانطلاقا من هذا الإعتقاد بأهمية الحضارة حاول مالك بن نبى إعطاء تعريف واسع وشامل يتحدد فى ضرورة توفر مجموعة من الشروط الأخلاقية والمادية التى تتيح لمجتمع معين أن يقسم لكل فرد من أفراده فى كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له فى هذا الطور يتضح لنا من خلال هذا التعريف : أن مفهوم الحضارة عند مالك بن نبى شديد الإرتباط بحركة المجتمع وفاعلية أبنائه لأن حركة المجتمعات الحضارية ظاهرة تخضع كغيرها من الظواهر الإنسانية لسنن وقوانين إجتماعية وتاريخية .

مكونات الحضارة وعناصرها

مكونات الحضارة وعناصرها : يشير إلى أن هناك عناصر ضرورية تتشكل منها كل الحضارات تتمثل فى الإنسان والتراب والوقت .

العنصرالأول : الإنسان **.** ولقد أولى مالك عناية بالغة بالإنسان فى معالجته لمشكلات الحضارة انطلاقا من قيمته ودوره فى التاريخ والإنسان يؤثر فى المجتمع أو الحضارة بثلاث مؤثرات هى الفكر والعمل والمال **.**

أما العنصر الثانى : من مكونات الحضارة فهو التراب . وهو أحد العناصر المهمة فى تشكيل الحضارة ولقد عالجه مالك من جانبين **:-**

الجانب الأول : المظهر القانونى (التشريعى) ويتضمن تشريع الملكية

الجانب الثانى : الجانب الفنى **.** ويقصد به الإستخدام الفنى والسيطرة الفنية التى تتيحها العلوم المختصة لعلم التربية ويخضع تقييم التراب فى فكر مالك بن نبى لمعيار الحضارة التى تعمل على استغلاله أحسن استغلال

أما العنصر الثالث : فهو يتمثل فى الوقت ويمثل الوقت ثروة متدفقة **لذا** يجب إستغلاله بالشكل الجيد وهو قيمة لا تقوم بالمال والوقت فى العالم الإسلامى صار من

قيم التخلى لأن المسلم العربى تحديدا صارت أوقاته مضاعفة على واجباته ويشير إلى أننا فى العالم الإسلامى نعرف شيئا يسمى الوقت ولكنه الوقت الذى ينتهى إلى عدم .

ثالثا : سمات الحضارة وخصائصها . يحدد ماك بن نبى عدة سمات وخصائص للحضارة

سمة التوازن أو التعادلية

إن من أهم السمات سمة التوازن أو التعادلية أى التوازن بين الجانب الروحى والجانب المادى فهو يرى أن أى حضارة من الحضارات ما كانت لتقوم إلا على أساس التعادل والتوازن بين الكم والكيف بين الروح والمادة بين الغاية والسبب فأينما اختل هذا التعادل فى جانب أو فى الآخر كانت السقطة رهيبة قاصمة وهذا التوازن فى مفهومه العام لا يخرج عن إطار العدل الذى هو إعطاء كل ذى حق حقه وهذا لا يعنى العطاء المادى دون المعنوى فالحضارة إذا تتركب من تلك النظرة المتوازنة للروح والجسد الكم والكيف الغاية والوسيلة فإذا اختل التوازن من جانب اختلت الحضارة . ومن وجهة نظر مالك بن نبى أن الحضارة الغربية وقعت فى هذا الخلل وعدم التوازن لأنها فقدت معنى الروح لصالح الجانب المادى لذا وجدت نفسها على حافة الهاوية

الإسلام يعد التوازن الدقيق الشامل من أهم خصائصه

الإسلام يعد التوازن الدقيق الشامل منأهم خصائصه : ويشير إلى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يعد التوازن الدقيق والشامل من أهم خصائصه فالإسلام دين التوازن بين مطالب الروح والجسد بين مطالب الدنيا والآخرة بين الفرد والمجتمع .

التعادلية هى أساس الحضارة وشموليتها

إن هذه التعادلية التى يؤكد عليها مالك بن نبى هى أساس الحضارة فى شموليتها وفى توفيقها بين الفكر والإقتصاد وليكون نتاجا لحركة المجتمع هذه التعادلية أو التوازن

الحضـارى يظهر بشكل جلـى فـى فكر مالـك بـن نبـى عنـدما يـرى أن الحضـارة لهـا مظهران :

المظهر الأول : يتضمن شروطها المعنوية . فى صـورة إرادة نحـرك المجتمـع نحـو تحديد مهامها الإجتماعية .

أما المظهر الآخر : فإنه يتمثل فى شروطها المادية فى صورة المكان وهذا التوازن الحضارى كما يسميه مالك بن نبى يتضمن وجهى الحياة المادى والمعنوى فـى إقامـة النسيج المطلوب لصنع حضارة ما .

استحقاقات نموذج الإسلام الحضارى

يظل الإسلام الدين والحياة قادرا على أن يقدم النموذج الفكرى والتشريعى والحضارى الذى يرتقى بالإنسان فى فكره وعقله وسلوكه ولا يجوز الإحتجاج عليه بفشل وإفلاس المجتمعات المتأسلمة التى تقدم الإسلام كدين للعنف والإرهاب وكأنه النموذج الإسلامى بسبب ما يمارسه من الأنشطة التخريبية والدموية لها ولأن التفسيرات التى يقول : بها أصحاب هذه الجماعات من صنع قادة هذه الجماعات كما أنه يعتنق تفسيرات مغلوطة وتأويلات باطلة لما فى النصوص وينزلها على غير محلها فضلا عن أن أفكار هذه الجماعات ومواقفها وممارستها أصابت صورة الإسلام بالتشويه والنقائص والمسلمون بالضعف والتخلف والهزيمة وبلغ أثر هذا الهوان والخسران أن تأثير الأعداء ومؤثولتهم وعدوانهم على الإسلام والعالم الإسلامى على خطورته ودهائه لم يبلغ صنيع الفكر والتصرفات الخاطئة لصنيع بعض جماعات قتل المسلمين باسم الإسلام فهؤلاء يضربون الإسلام والمسلمين فى مقتل والأدهى أنهم يحسبون أنفسهم على الحق وأن جمهرة المسلمين على الباطل وهم الأخسرون أعمالا لن يتوقف الإسلام عن عطائه للبشرية وسيظل قادرا على تقديم الحلول للإشكاليات يملك الفقه والفكر الإلهى والحضارى ليقدم نموذجا أصيلا وعصريا للحياة وينبنى هذا النوذج على الأسس الآتية : -

أولا : إعداد أشخاص مجتهدين مؤهلين . يتوافر لديهم الإستعداد بالفهم السديد للحلم العربى والواقع الحياتى على العلم بطبائع وأحوال الناس فى هذا الزمان **.**

ثانيا : الإعتماد على الأصول الثابتة فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

وفق المنهج الوسطى الحق القائم على العدل فى مقاصده الموافق للفطرة البشرية المستجيب للمطالب النافعة للناس .

ثالثا : الإستفادة من التنوع المعرفى . لمتطلبات الشراكة المدنية والحضارية مع النابهين فى علوم التنمية و العمران وخلق الملكات العقلية المتنوعة التى اعتمد عليها المفكرون والفقهاء فى العصر الإسلامى إذ العقل هو الآداة التى ميز الله بها الإنسان عن سائر المخلوقات وأهله الله تعالى ليكون خليفة فى الكون **.** ومن الوسائل المؤدية

لـذلك المكتبـات والجامعـات النموذجيـة الحديثـة وإلتـزام روح العدالـة والمسـاواة الإجتماعية ووسائل الصحة العامة المتقدمة . وقد حض الإسلام على التفكر والإدراك فـى غيـر موضـع مـا ونعـى علـى الشـخص تعطيـل عقلـه وعـدم الإسـتفادة منـه بالتـدبر والتفقـه واكتسـاب المعـارف فـى كـل المجـالات ومـا كـان الله تعـالى فـى إنعامـه علـى الإنسان بجوهرة العقل أن يحجبه عن الإبداع فبدونه لن تصلح وتستقيم وترتقى حيـاة المسلم فـى الإجتمـاع السياسـى والإقتصـادى والعلمـى فهذا أبعد عن الكمـال الإلهـى والإنعام الربانى .

رابعا : الإيمـان بفكـر الإسـلام الحضـارى . وإشـاعة ثقافتـه فـى المجتمعـات الإسـلامية وإقنـاع النـاس بـه علـى غـرار الإيمـان بـالله تعـالى وبمنظومتـه فـى العقيـدة والشـريعة والأخلاق والحضارة والحرية والتعايش السلمى بين المختلفين والعقل والعلم وإحترام الكرامة ورعاية العدالة والإنصاف والسماحة والعطاء والإيثار وإنكار الذات والعمـل الصـالح والتعـارف والتفـاهم والتكافـل الإجتمـاعى وفـك كربـة المحتـاج وجهـاد الـنفس وصـد الظلـم ورد الحقـوق لأصـحابها والتعـاون لمـا فيـه الخيـر المشـترك ولا يكفـى الإعتراف والإشادة بهذا الفكـر الحضـارى وإنمـا الإيمـان بـه وتفعيلـه مـن خـلال آليـات واقع المجتمع والنـاس إذ هـو وسـيلة لصـحوة الضـمير وخلـق الـوازع الـدينى وطريـق الرقى والعزة والإحسان فى كل ما ينفع الناس إننا بحاجة إلى صياغة رؤية وثقافة لما ينبغى أن يكـون عليـه حاضـر النـاس ومستقبلهم ووضـع الخطـط العلميـة لترجمـة هذا الفكر فى الواقع المعيش ليكون إيمان المسلم مقرونا بالعمل الصالح للفرد والمجتمع .

فصل

مقومات الحضارة من المنظور اقرآنى

مقومات الحضارة فى القرآن الكريم : إن الواقع التاريخى يشهد أن المسلمين أقاموا حضارة إنسانية تناولت مختلف جوانب الحياة المادية والمعنوية فكانت مركز إشعاع على العالم كله ولا شك أن عمدتهم الأول فى بناء هذا المثال الذى يحتزى به هو كتاب الله تعالى . فما هى مقومات الحضارة فى دستور المسلمين ؟

قامت الحضارة الإسلامية : بالأساس على الواحدنية المطلقة لله الخالق عزوجل فهى أول حضارة نادت بالإله الواحد الذى لا شريك له فى ملكه وحكمه هو وحده الذى يعبد وهو وحده الذى يقصد (إياك نعبد وإياك نستعين) (الفاتحة 5) وهو الذى يعز ويذل ويعطى ويمنح وما من شىء فى السماوات والأرض إلا وهو تحت قدرته وفى متناول قبضته هذا هو السمو فى فهم الوحدانية كان له أثر فى رفع مستوى الإنسان وتحرير الجماهير من طغيان الملوك والأشراف الأقوياء ورجال الدين وتصحيح العلاقة بين الحاكمية والمحكومين وتوجيه الأنظار إلى الله وحده وهو خالق الخلق ورب العالمين . وعموما فإن التربية التوحيدية فى الإسلام هى عملية تقوم على جعل التوحيد العقدى شعورا حاضرا عند التدين فهما وتنزيلا وكما أراد الله والعمل لا يكون إلا كما أمر الله ولا يقصد به غير وجه الله .

العلم والتعلم

القرآن الكريم يتضمن : حسب المراجع نحو 77437 كلمة لكن اللافت للنظر أن أول كلمة نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم هى قول : ربنا (إقرأ) والحق أن تقديم هذه الكلمة على غيرها لم يأت عبثا بل لما لها من دور فى تنبيه الأمة إلى ضرورة طلب العلمين الدينى والدنيوى ذلك أن إلهنا عزوجل

قال : (إقرأ باسم ربك ربك الذى خلق) (العلق 1)

فدعا :-

أولا : إلى معرفة الخالق . واستكشاف عظمته فى المخلوقات وعلى رأسها الإنسان وما بث فيه من عجائب قال : تعالى (خلق الإنسان من علق) (العلق 2)

ثم دعا إلى تعلم العلوم الأخرى من رياضيات وفيزياء وكيمياء وفلك فى قوله : تعالى (علم الإنسان ما لم يعلم) (العلق 5)

قيمة الإنسان فى التصور الإسلامى

إن قيمة الإنسان فى التصور الإسلامى بعد الإيمان بالله تعالى تتجلى فى قدراته العلمية لأجل ذلك قال : ربنا عزوجل (يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (المجادلة 11) وفرقت الحضارة الإسلامية بين أمة تقدمت علميا وأخرى لن تأخذ نصيبها من العلم قال : تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) **(الزمر 9)**

وخلاصة القول : أنه لم تقم للعلم قائمة باسقة حقيقية ولا أشرأبت له عنق إلا فى ظل الحضارة الإسلامية وفى محضن القرآن الكريم وبه كانت مرحلة ربيع العلم وما دونها خريف مصفرة أوراقه .

الحـــــــرية

الحرية فى الإسلام منحة إلهية وحق طبيعى للإنسان لممارسة أعماله والقيام بوظائفه ولذا فإن من الطبيعى أن يجعل هذه الحقيقة أساسا مرجعيا فى تشريعاته ويوثق علاقة الإنسان بالله وحده ويفك قيود عبوديته للبشر لا سيما وقد جعل الله عزوجل الإيمان به سبيلا للتحرر والإنفكاك عن الظلم والتسلط والإستبداد والتأله وهكذا انحصرت مهمة الأنبياء والرسل فى تثبيت مفهومى الحرية والإنعتاق وتمثلهما فى الواقع فكانت عبارتهم المتداولة والمكررة فى قولهم :

(اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (الأعراف 59)

وبإعتبار أن الحرية مبدأ فى الإسلام فقد أعطى الإنسان الحق فى قبول حريته وإنعتاقه وقد يسأل سائل عن مغزى العقوبات فى الإسلام ؟ وما قد يتوهم فيها من تضييع للحرية لكن هذا الإشكال يزول إذا علمنا ضرورة رفع الظلم والعنت عن المجتمع اقتضت سن ما يسمى عندنا بالتشريع الجنائى الإسلامى والقصد هو الحد من السوكيات التى تضر بحرية الناس وحقوقهم وقد ورد فى الموسوعة الفقهية الكويتية ما يبين هذا المعنى فهو أن الطباع البشرية والشهوة النفسانية مائلة إلى قضاء الشهوة

وإقتناص الملاذ وتحصيل مقصودها ومحبوها من الشرب والزنى والتشفى بالقتل وأخذ مال الغير بالشتم والضرب فاقتضت الحكمة شرع هذه الحدود حسما لهذا الفساد وزجرا عن إرتكابه ليبقى العالم على نظم الإستقامة فإن إخلاء العالم عن إقامة و الزاجر يؤدى إلى إنحرافه وفيه من الفساد ما لا يخفى .

العـــــــدل

العـــــــدل : من القيم التى دعا إليها ديننا الحنيف قيمة العدل فبالعدل قامت السماوات والأرض وبالعدل تقوم الحكومات والمؤسسات وبالعدل تتحقق السعادة للأفراد والجماعات وبالعدل وإقامته بين الماس يكون النصر وتقوم الدول وإن المتدبر فى كتاب الله تعالى ليلفيه قد اعتنى بهذه القيمة أيما عناية فكثيرا من الآيات الكريمة تأمر بالعدل وتحث عليه فى كل القضايا والمجالات منها قوله : تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) (النحل 9)

قال : ابن عطية رحمه الله .مفسرا لهذه الآية العدل هو كل مفروض من عقائد وشرائع فى آداء الأمانات وترك الظلم والإنصاف وإعطاء الحق والإحسان هو كل فعل مندوب إليه فمن الأشياء ما هو كله مندوب إليه ومنها ما هو فرض إلا أن حد الإجزاء منه داخل فى العدل والتكميل الزائد على الإجزاء داخل فى الإحسان .

مظاهر العدل فى آى القرآن الكريم

العدل : فى قوله : تعالى (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) (الأنعام 152)

أمر تعالى فى هذه الآية الكريمة بالعدل فى القول ولو كان على ذى قرابة وصرح فى موضع آخر بالأمر بذلك ولو كان على نفسه أو والديه وهو قوله : تعالى

(يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) (النساء 125)

العدل فى الحكم : أمر الله عزوجل عباده بالحكم بين الناس بالعدل فى قوله : تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا) (النساء 58)

ملامح الحكمة القرآنية

القرآن روح الأمة الإسلامية

قال : العقاد فى كتابه الفلسفة القرآنية فهل للقرآن فلسفة ؟

أجاب العقاد عن هذا السؤال مبينا أن محور القرآن الكريم هو صلاح العقيدة الإسلامية أو الحكمة القرآنية اللازمة لحياة الجماعات البشرية التى تدين بها وتستمد منها حاجتها من الدين الذى لا يمكن الإستغناء عنه كما لا يمكن الإستغناء عن العلم الحضارة ويقول : حث القرآن الكريم المسلمين على أن يتفكروا فى عالمى النفس والطبيعة بإعتبارهما طريقا إلى الملاحظة والتدبر وبالتالى سبيلا إلى الحق والإلتزام به وهو منهج ثنائى يعصم الذهن والقلب من الوقوع فى الزلل مع تحقق مقام إستحضار عظمة الله والإعتبار بالأمم والتواريخ السابقة وإستنهاض الهمم نحو السعى الحضارى والعمل الصالح وتحقيق العبودية لله تعالى وعمارة الكون وفق مبادىء الإستخلاف التى قررها القرآن الك

ريم ولقد ظل القرآن الكريم بسبب إلتزامه بهذه الواقعية متوافقا مع حركة العلم الصحيح على الدوام لأنه يدعوا إلى التفكر والتدبر وتجاوز عبادة الأسلاف والمفردات الجاهزة والجامدة والتى تقف فى جه العلم والإجتهاد والتجديد وتلك هى إحدى فضائل الإسلام الكبرى .

عزم الأمور فى القرآن الكريم

عرض العقاد : أسس الأخلاق القرآنية وبين أنها ليست مرتبطة بتحقيق المصلحة أو القوة أو المنفعة كما فى بعض الثقافات القديمة والحديثة وإنما مصدرها الرقابة الإيمانية العالية والمسئولية الفردية الواعية وقد رآها متحققة ومتمثلة فى مصطلح قرآنى بديع هو عزم الأمور الذى من مبادئه وسماته ضبط النفس واتخاذ الوازع الدينى مرجعا له فى حالات الغضب والشدة والإنفعال فإذا ما غضب المؤمن احتكم إلى مبدأ عزم الأمور واتجه إلى رحاب المغفرة .

(والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون) (الشورى 37)

ربط القرآن الكريم بين الصبر والمغفرة والعزم برباط وثيق : قال : تعالى (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) (الشورى 43)

يعتبر : ذلك الربط من أهم دعائم التوازن فى الشخصية الإسلامية القادرة على تحقيق الوعى الإسلامى الرشيد الذى يؤدى إلى سبل الإعتدال وعدم الإعتداء وخفض الجناح والقول الحسن وغيرها من فضائل الأقوال والأعمال التى دعا إليها القرآن وجسدها النبى الكريم صلى الله عليه وسلم قدوة المسلمين على مر الزمان وقد رأى العقاد

أن جملة تلك الأخلاق والقيم إنما تستمد وجودها وأصلها ومعانيها من الصفات التى اتصف بها الخالق سبحانه وتعالى فى أسمائه الحسنى وكلها مما يحمد للإنسان أن يروض نفسه عليها وأن يأخذ منها أوفى نصيب يتاح للمخلوق المحدود بإستثناء الصفات التى اختص بها الخالق وحده دون سواه وليس فى تعلق الإنسان بتلك الصفات من غاية سوى حبه للجمال وشوقه للكمال وكلاهما نفحة من الخالق يهتدى بها إلى معارج الرفعة والإرتقاء .

فصل

الأبعاد الأساسية للحضارة

الأبعاد الأساسية للحضارة : فى نهاية الحديث عن مفهوم الحضارة يمكن أن نوجز فى عبارات قصيرة أهم الأبعاد الأساسية التى تنبغى أن تتوفر فى أى مشروع حضارى حقيقى على النحو التالى :-

أولا : البعد الإنسانى . ونعنى بذلك فهما مزدوجا على المستوى الفردى وعلى المستوى العام على المستوى الفردى من حيث ضرورة المحافظة على كرامة الإنسان وحريته كفرد ومراعاة إهتماماته المادية والعقلية والروحية وما يمثله ذلك من احترام عقله وفكره وعقيدته حتى يكون قادرا على الابداع فى مجالات العلم والفلسفة والدين والفن .

أما على المستوى العام : فينبغى بذلك مراعاة الإعتبار الإنسانى بالنظر إلى الإنسان أينما كان وأنى كان من حيث هو إنسان بالمعنى الذى يحقق قيمة الإنسان فى العلاقات بين أبناء البشر فى شتى الحضارات والأديان والأجناس .

ثانيا : البعد الأخلاقى . بمعنى الإلتزام بمنظومة القيم الأخلاقية التى تعنى سيادة العقل على نوازع الإنسان وما يرتبط بذلك من إلتزام أخلاقى مسئول بأوسع الإلتزام والمسئولية .

ثالثا : البعد التقدمى . بمعنى أن الحضارة تعد نقلة تقدمية فى مجالات العلم والفكر والسلوك وفى أسلوب التعامل بين الناس كما أنها ليست مجرد ميراث يرثه الإنسان وليست كذلك مجبولة فى فطرته . ومن هنا ينبغى أن يكتسبها المرء من جديد ويسهم بنصيبيه فى الإضافة إليها بالإبداع الذى يغذيها ويدفع بها إلى الأمام .

رابعا : البعد الدينى . فالدين يعد أحد العناصر الفعالة وأحد المقومات الأساسية فى كل حضارة ومن هنا لا يجوز تجاهله أو تهميشه بأى شكل من الأشكال لأنه مغروس فى الفطرة الإنسانية وتاريخ الحضارات فى السابق وحتى يومنا هذا يبرهن على ذلك.

خامسا : البعد الثقافى . بمعنى مراعاة التواصل الحضارى والحفاظ على كل ما هو جوهرى فى ذاتية الأمة وعدم اللجوء إلى القطيعة الثقافية مع مواريث الأمة بطريقة

تعسفية لأن هذا لا يؤدى إلا إلى نتائج سلبية وإذا كنا نؤكد على ذلك كله فإننا نؤكد فى الوقت نفسه على ضرورة الوعى بالتطور وهذا يعنى مراعاة كل ما هو جديد من مستجدات العصر ومتغيرات الحياة مع إستشراف آفاق المستقبل .

سادسا : بعد التوازن . بمعنى ضرورة مراعاة التوازن بين متطلبات الإنسان العقلية والمادية والوجدانية فالحضارة واحدية الجانب أو التى يختل فيها التوازن تحكم على نفسها بالفناء .

سابعا : بعد التعددية الحضارية . واقع التعددية الحضارية والإعتراف بالتمايز الحضارى فى العالم . بمعنى إدراك واقع التعددية الحضارية والإعتراف بالتمايز الحضارى فى العالم هذا التمايز الذى لا يعنى بالضرورة التناقض أو التضاد ويعنى من جانب آخر الإنفتاح على كل الحضارات والثقافات والأديان والحوار معها بهدف تحقيق الخير للإنسانية والعمل على ترسيخ أسس السلام والعدل والإستقرار فى العالم وغنى عن البيان أن كل هذه الأبعاد التى ينبغى لها أن تتوفر فى أى مشروع حضارى حقيقى متوفرة جميعها فى تعاليم الإسلام .

الثقافة أساس وجود أى حضارة من الحضارات

تمهيد : إن وجود الثقافة هو أساس وجود أى حضارة من الحضارات ولا يمكن أن تموت حضارة من الحضارات والثقافة التى تمثلها موجودة فالإنتاج الحضارى لأى شعب من الشعوب ينعكس عليه ثقافته كما أن التقدم الحضارى لا يرتبط بالثقافة ولكن يرتبط أساسا بالإدارة العلمية والتقنية .

مفهوم الثقافة ومفهوم الحضارة

مفهوم الثقافة ومفهوم الحضارة :هناك آراء متعددة تخلط بين مفهوم الثقافة ومفهوم الحضارة فبعض المفكرين يعتبرون الحضارة ما هى إلا الثقافة والثقافة ما هى إلا الحضارة وبعض الآراء تربط الثقافة بالتقدم التكنولوجى التقنى وهذا التنوع فى مفهوم الثقافة والحضارة يرجع إلى الأسباب الآتية : -

1- الثقافة والحضارة . موجودة منذ أزمان قديمة ولكن وضع تعريف محدد فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى لمصطلح ثقافة وكذلك مصطلح حضارة .
2- اختلاف الثقافات .
3- هو السبب فى اختلاف التعريفات .

أما فى الوقت الراهن : بعد أن تحدد معنى الثقافة ومعنى الحضارة وتم وضع المصطلحات لتعريفهما فإن مصطلح ثقافة لا يوجد اختلاف كبير بين العلماء عليه

أما مصطلح حضارة : فيوجد بعض الإختلافات فى توضيح معناه والإختلافات فى تعريف مصطلح حضارة يرجع إلى اختلاف الخلفية الثقافية للعالم أو المفكر الذى يقوم بالتعريف أى أن اختلاف الثقافات هو السبب فى اختلاف تعريفات مصطلح الحضارة ففى الأدبيات الأمريكية . يرتبط تعريف مصطلح الحضارة بالتقدم التقنى والتقدم الثقافى . وفى كتابات بعض العلماء المسلمين . أن الحضارة الإسلامية هى كل إنتاج مادى أو روحى ينسب إلى الشعوب التى دخلت فى الإسلام وتشربت الحياة الإسلامية وفى كتابات العلمانيين والمتغربين العرب .أنه لا توجد فى العالم الآن سوى حضارة واحدة هى الحضارة الغربية الحديثة ولكن يوجد ثقافات متعددة وهذا الرأى الأخير قد جانبه الصواب لأن جميع الآراء فى الشرق والغرب تربط الحضارة

بالثقافة برباط وثيق فالحضارة ما هى إلا نتاج مجتمعات لها ثقافة معينة كما أن الإنتاج الحضارى يشمل الإنتاج الثقافى .

تعريف الثقافة

الثقافة فى اللغة العربية : من الفعل ثقف أى صار حاذقا وتثقيف الشيء يعنى تسويته وتهذيبه وصقله والثقافة تعنى مصطلح عصرى وضع له تعريف فى القرن التاسع عشر الميلادى لأول مرة سنة 1871ميلادية بواسطة عالم الأنثروبولجيا البريطانى : إدوارد تيلور وقد استخدم مصطلح الثقافة ليشير إلى ذلك المركب الكلى العقدى الذى يشمل المعرفة والإعتقاد والفن والقانون والتعاليم الأخلاقية والعادات وأى عادات أو مقدرات مكتسبة بواسطة الإنسان كعضو فى المجتمع وهذا التعريف العصرى الشامل للثقافة والذى وضعه إدوارد روبرت تيلور والذى يحدد مفهوم الثقافة يحمل فى ثناياه فلسفة الإنسان وفلسفة الجماعة أى مقومات الإنسان ومقومات الجماعة مع ضرورة انسجام هذه المقومات فى كيان واحد وإذا حاولنا أن نتعرف على هذه العناصر التى تكون النسيج المركب العقدى والذى أطلق على مصطلح الثقافة نجد أن عنصر الإعتقاد قد يكون دينيا أو لا دينى وإذا كان دينيا قد يكون دينا سماويا كالإسلام واليهودية والنصرانية أو غير سماوى كالبوذية وغيرها وعنصر الأخلاق قد يكون مصدرها الدين أو مصدرها غير دينى ويتضح من ذلك أن عنصر الإعتقاد هو العنصر الهام فى تكوين النسيج الكلى للثقافة وذلك يرجع لتأثيره على بقية العناصر الأخرى المكونة لهذا النسيج الكلى لهذه الثقافة .

الثقافات تختلف لأن مفاهيم عناصرها مختلفة

الثقافات تختلف لأن مفاهيم عناصرها مختلفة : والثقافات تختلف لأن مفاهيم عناصرها مختلفة فالثقافة الإسلامية مختلفة لأن كل عنصر من عناصرها له مفهوم مختلف فالدين الإسلامى ومفاهيمه الذى يمثل عنصر الإعتقاد فى الثقافة العربية يختلف عن مفاهيم الأديان الأخرى التى تمثل الإعتقاد فى بعض الثقافات الأخرى ومفاهيم الأخلاق ومصادرها فى الثقافة العربية تختلف عن مفاهيم الأخلاق ومصادرها فى بقية الثقافات الأخرى .

إن مصطلح الثقافة الإسلامية : الذى يشير إلى ثقافة الدول الإسلامية التى لا تتكلم العربية يعنى الثقافة الإسلامية وبذلك فهناك مصطلحات ثلاثة بمعنى واحد للثقافة العربية يمكن استخدام أى منها : -

1- الثقافة العربية الإسلامية
2- الثقافة العربية
3- الثقافة الإسلامية . وقد نشأت الثقافة العربية مع مجيء الإسلام وانتشرت بإنتشاره .

الإسلام فتح آفاق العلم والمعرفة لدفع عجلة التقدم فى المجتمع البشرى

الإسلام : قد كرم الإنسان وفتح أمامه المجال للإنطلاق بلا حدود فى آفاق العلم والمعرفة من أجل إعمار الأرض ودفع عجلة التقدم فى المجتمع البشرى وأمرنا أن نسير فى الأرض وندرس ما كان من أخبار السابقين ونستفيد من كل الخبرات البشرية فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها وتعاليم الإسلام تحرص على تأكيد مبدأ الوسطية وإقامة التوازن بين متطلبات الإنسان المادية والعقلية والوجدانية وفضلا عن ذلك .

الإسلام يعد دين الإنسانية

إن الإسلام يعد دين الإنسانية بتأكيده القاطع على حرمة النفس الإنسانية وجعله الإعتداء على لأى فرد من أفراد البشرية بمثابة إعتداء على الإنسانية كلها كما جاء فى القرآن الكريم (من قتل نفس بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا) (المائدة 32)

وكل هذه الأبعاد محوطة فى الإسلام بسياج من القيم الأخلاقية الرفيعة ومن هنا لخص محمد صلى الله عليه وسلم رسالته كلها فى عبارة جامعة حينقال : صلى الله عليه وسلم " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " رواه البخارى

ومن كل هذا يتضح لنا أن الحضارة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى تعد فريضة إسلامية وواجبا دينيا وعنصرا أساسيا من عناصر دين الإسلام .

الباب الثانى

السنن الإلهية مفتاحا لقيام الحضارات

بمفهومها الشامل

من المعروف فى الفكر الإسلامى أن حركة الوجود تخضع لسنن ونواميس إلهية ولقد طرح القرآن الكريم إشكالية السنن التى تحكم حركة الوجود حفظا له من الفوضى والفساد ولما كان عمران الأرض مقصدا من مقاصد الرسالات السماوية كانت سنن المداولة والمدافعة والإستبدال والإستدراج وغيرها من السنن الحضارية هى الحاكمة على الواقع ومن ثم فإن السيرورة الحضارية للأفراد والأمم محكومة بهذه السنن والقوانين المضطردة وهى سنن محايدة (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) (الإسراء 20)

وهذه السنن المحايدة تعتبر سننا جزئية تعطى كل من يوظفها على قدر سعيه فى تسخيرها والتعامل معها غير أن هناك سننا كلية هى السنن التى جعلها الله مفتاحا لقيام الحضارات بمفهومها الشامل كسنة الإيمان (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) (الأعراف 96)

وما ينبغى ملاحظته أنه لا غنى للسنن الجزئية عن السنن الكلية ولا غنى للسنن الكلية عن السنن الجزئية فحضارة تؤمن بالله ولكنها لا تكتشف سنن الآفاق والأنفس وهى سنن جزئية هى حضارة عاطلة وحضارة تستنطق السنن الجزئية يوما بعد يوم كالحضارة الغربية دون أن تهتدى للإيمان الصحيح وهو سنة كلية هى حضارة تائهة ضارة لنفسها نافعة لغيرها عند اكتشافها لسنن الرقى المادى وهذا يعنى أن لهذه الدنيا مقاييسها التى تجرى على المؤمن والكافر وكل ما فى الأمر جعل الله له فى هذا الكون الحسى عالم الشهادة سنة يجرى عليها والإنسان مهما تكن عقيدته وبها تكن نيته وباعثه يمكن أن يستثمر هذا الكون ويستفيد من هذه السنن (ومن يرد ثواب الدنيا نؤتيه منها) (آل عمران 145)

وأدوات الإنسان فى هذه الحياة المادية أو الطبيعية وتسييرها وتسخيرها حواسه ودليله عقله .

محور حركة الإنسان فى هذا الكون يدور فى إطار قانون الإبتلاء

إن محور حركة الإنسان فى هذا الكون يدور فى إطار قانون الإبتلاء فقد خلق الله الإنسان لعبادته وفضله على العالمين وسخر له موجودات هذا الكون ليعينه على آداء رسالته وأوجب عليه إرتقاء هذا الكون وعمارته ونهاه عن الإفساد فيه فقال : تعالى
(ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاها) (الأعراف 58)

الحضارة ظاهرة إرادية إنسانية

التحضر أو الحضارة : إن التحضر ليس وضعا مجبولا فى فطرة الإنسان وإنما هو وضع كسبى يستحدثه الإنسان بإرادته الحرة وفق عوامل ذاتية وموضوعية تفضى إليه وعلى رأسها عامل الفكرة متمثلة فى ذلك التصور الذى يحمله الإنسان عن حقيقة الوجود وغاية الحياة بالغة فى الفعل الحضارى ذروته حينما تكون فكرة دينية الصبغة فالتحضر بما هو جهاد جماعى لإنجاز الترقى المادى والمعنوى ليس فى حقيقته إلا جهادا مدفوعا بالتصور لحقيقة الوجود وموجها بالغاية من الحياة فهو فى مبدئه وإطراده محكوم بتلك الغاية وقائم من أجل تحقيقها ومن ثم فإن قوما لا يمتلكون تصورا بينا لحقيقة الوجود ولا تصورا بينا لغاية الحياة لا تنمو حياتهم إلى وضع من التحضر بل يبقون على حال من البداوة أو ما شبه البداوة ومما لا شك فيه أن التحضر يعتبر مظهرا للسلوك الجماعى فالحضارة ذا ظاهرة إنسانية إرادية

ولذلك فإن قيامها يكون رهين عوامل تدخل فى أغلبها نطاق الإرادة الإنسانية على سبيل التحصيل والكسب كما أن عوامل سقوطها أيضا تدخل ضمن دائرة محكومة بقانون الأسباب ولكنها أسباب إرادية وليست حتمية فإذا شاء الإنسان أن يتحضر فإنه يتحضر وإذا شاء أن ينحدر فإنه ينحدر تلك مسئوليته التكليفية فى نطاق القدر الإلهى العام الذى يدور فيه الوجود كله وعلى هذا الأساس فإن الدارس لعوامل قيام وسقوط الأمم والحضارات يلحظ أنها تكمن فى صميم الموقف البشرى نفسه لا فى الطبيعة أو العلاقات المادية إنما فى إطار الإرادة الإنسانية وهذا يجىء بطبيعة الحال امتداد النظرية الإسلامية الأساسية فى استخلاف الإنسان فى الأرض لآداء دوره الحضارى فيها وما دام هذا الإنسان اختار برفضه لتعاليم الله التى وعد بها دم عليه السلام

وذريتـه لإسـتكمال مهمـتهم الأرضـية الطريـق المعكـوس فمعنـى هـذا أن يقـف علـى النقيض من دوره المرسوم .

إن دراسة عوامل قيام وسقوط الحضارات لا تتم بمعزل عن تصور الجماعة العلمية لحقيقة الوجود وغاية الحياة أى من خلال رؤيتها للعالم غير أنه نتيجة لمركزية الغرب وهيمنته على العالم فقد صارت المصطلحات التى ينظر من خلالها إلى التاريخ وتقوم من خلالها جهود الأمم مصطلحات غريبة مشحونة بمدلولات غربية تنبثق عن الرؤية الخاصة للفكر الغربى وهذا ما يبدوا واضحا فى المفاهيم الحضارية كالتقدم والتخلف والرقى والتأخر .

حاجة الأمة إلى الحضارية إلى تعقل السنن الإلـهية

إن للسنن الإلهية غاية الأهمية لما له من دور عظيم فى تجلية معالم الماضى والحاضر والمستقبل والوصل بين عناصرها جميعا تعتبر هذه السنن منارا هاديا لتسخير عناصر الكون والإستفادة بكل ما فيه من أجل فهم أشمل وأكمل للحياة وتفتح المجال لإمتلاك السبل والمداخل الموصلة إلى إستشراف مستقبل زاهر للبشرية .

فقه السنن فريضة شرعية وضرورة واقعية

يعد فقه السنن الإلـهية من العبادات الواجبة شرعا : فقد تواردت الأدلة الشرعية والكونية على أهميتها وضرورة الإسترشاد بها فى حياة الإنسان بإعتبارها فريضة من فرائض الدين وركنا من عناصر الهداية التى يحتاجها فى مسيرته الحضارية فمن تركها كمن ترك ركنا من أركان الدين **.**

مشروعية الأخذ بهذه السنن الإلـهية

إن ما يؤكد مشروعية الأخذ بهذه السنن ودورها فى التمكين للأمة ما أبداه الجيل الأول وتابعوهم من عناية فائقة بها وتعقلها والتصرف على هداياتها وقد تبعهم فى ذلك علماء الأمة وأئمة الدين وتبعا لهذا عدها الشيخ : محمد الغزالى من القسم المحمود الذى ينبغى أن تقبل عليه الأمة بشغف شديد فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا فإن هذا العلم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد وتحقيقا لهذا

المقصد فقد دعا القرآن الكريم العقل المسلم إلى النظر فى عوالم الآفاق والكون وأمره بالسير فى الأرض كما حثه فى كثير من المناسبات ليكتشف سنن الله تعالى ويتحقق من فاعليتها ونفاذها فى المجتمعات البشرية ويأخذ منها العبرة والعظة

وهو أمر متوقف بقدر كبير على إستجابة هذا الإنسان للنداء الربانى (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) (الأنعام 11)

والمراد أى : سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين فهذه وغيرها من الآيات كثير تحث المؤمن على الإعتبار بعد النظر بمن خلوا من الأمم والجماعات وما حل بهم .

فهم هذه السنن سبيل التقدم والنهوض والرقى

إن سبيل التقدم والرقى والنهوض وإسستئناف الدورة الحضارية إلا بفهم هذه السنن وإتقان تسخيرها واستثمارها والإستنباط منها بقدر ما يخدم مقصد التمكين لدين الإسلام فى المجتمعات البشرية لأنه لو أحسنا التعامل مع السنن لإنطلقنا من نقطة انطلاق صحيحة صوب أهدافنا .

إن السنن الإلهية توجب علينا أن نجعلها علما من العلوم

إن إستمرار هذا الوضع من الغفلة والجهل بسنن الله تعالى فى وقتنا المعاصر يتطلب أن يكون فى الأمة طائفة من أهل العلم يفسرون هذا العلم كما فعلوا مع باقى العلوم

يقول : صاحب المنار رحمه الله إن إرشاد الله إيانا إلى أن له فى خلقه سننا يوجب علينا أن نجعل من هذه السنن علما من العلوم لنستلهم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه .

الأمة الإسلامية بحاجة اليوم إلى فهم واسع للسنن الإلهية إقامة شهود حضارى

إن الأمة الإسلامية بحلجة اليوم إلى فهم واسع للسنن الإلهية فى الأنفس والآفاق وتبين حقيقتها وسبل الإستفادة منها فى إقامة شهود حضارى يليق بالأمة وبما يقوى لديهم الحصانة العقدية والمعرفية التى تجعلهم يميزون بين الغث والسمين وبين الذى يصلح والذى لا يصلح من أجل تفعيل مقتضيات أمانة التكليف المنوطة بهم إن رؤية الحياة

البشرية بغير حاكمية السنن الإلهية سيؤدى لا محالة إلى الفوضى والعبثية وتجاوزا لهذه العبثية كان من الضرورى أن نتأمل هذه السنن ونتوقف معها وقفات علمية وفكرية ونتتبع فاعليتها ونفاذها فى المجتمعات والأمم السالفة لعل ذلك يسعف العقل المسلم بأن يستعيد دوره وينطلق برؤية كونية فى آداء رسالته الإستخلافية على الوجه المطلوب .

لزاما على العقل المسلم أن يدرس السنن الإلهية

لزاما على العقل المسلم الساعة إلى إخراج الأمة من جديد أن يدرس السنن الإلهية دراسة مستوعبة حيث إن المتدبر فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليجد عناية بالغة بإبراز تلك السنن وتوجيه النظر إليها واستخراج العبرة منها والعمل بمقتضياتها لإعادة بناء وإخراج أمة مسلمة .

الإنحصار الحضارى الذى تعانيه الأمة أسبابه العدول عن إكتشاف السنن الإلهية

إن الإنحسار الحضارى الذى تعانيه الأمة فى زمننا هذا كان من أهم أسبابه العدول عن إكتشاف السنن الإلهية والإنضباط بها والذى أورثها الجمود وأوقف تقدمها العلمى حيث لا يزال بعض الفرق الإسلامية تصر حتى اليوم على نقل القدسية من أقوال العلماء الفقهية والفكرية وفعلهم التاريخى حتى أوقعوا عقل المسلم من التقليد والتبرك بالتراث دون أن يحاول الإسهام فى قراءة مشكلات العصر وتقديم الحلول المعرفية والمداخل المنهجية الممكنة لحركة الحياة .

ابتعاد الفكر الإسلامى عن تدبر السنن الإلهية أفقد الأمة الفاعلية للتقدم والنماء

إن ابتعاد الفكر الإسلامى المعاصر : عن التبصر بعواقب الأمور والتدبر فى آيات الله الشرعية والكونية وتنزيلها تنزيلا سننيا على واقع الحياة أفقد الأمة الجدوى والفاعلية المطلوبة للتقدم والنماء على إعتبار أن أى حركة من حركات التاريخ وأى جماعة من الجماعات البشرية إلا وهى خاضعة لسنن الله فمعرفتها بهذه السنن تحقق لها ولا شك السلامة من الوهن والتخلف وتخرجها من زمرة الأمم البائدة وقد ذهب الإمام : محمد

عبده وجمال الدين الأفغانى . إلى أن أسباب الأزمة الحضارية التى تعانيه الأمة اليوم هو نتيجة جهلها بسنن ربها جلا جلاله بحيث ما ضاع ملك شعوب المسلمين ولا سقطت من عرش عزها ولا بادت ومحى اسمها من لوح الوجود إلا بعد نكوبها عن تلك السنن والجهل بها والذى كان سببا لعدم الإهتداء بها فى العمل وما كان سبب هذا الجهل إلا الإعراض عن القرآن ودعوى الإستغناء عن هدايته .

فصل

قيام وسقوط الحضارات بين الرؤية الغربية والرؤية الإسلامية

عوامل قيام وسقوط الحضارات

إن معرفة وتحديد عوامل قيام الحضارات يتطلب معرفة الظروف والتجارب التى مر بها الإنسان وعايشها بهدف الإستفادة من الماضى وتعتبر الحضارة غاية أى إجتماعى بشرى مستقر وإنهيار الحضارة هو نهاية وجود المجتمع البشرى وإستقراره وإن أى مجتمع بدون حضارة سيكون مجتمعا بدائيا فالحضارة تضع حاجزا بين الإنسان وهمجيته فتحميه .

عوامل ظهور الحضارة

أما عوامل ظهور الحضارة : فيرى بعض الفلاسفة والباحثين بتعددها ويرى بعضهم الآخر أن الحضارة تقوم على عامل واحد فقط فمنهم من يرجع قيام الحضارة إلى طبيعة الجنس البشرى أو إلى الظروف البيئية المحيطة أو إلى الأحوال الإقتصادية أو إلى جوهر الإنسان وإرادته وعزيمته أو إلى القيم الإجتماعية فى المجتمع والتى وضعت لتناسب حضارة قوية ومتينة أو إلى قوة المجتمع بحد ذاته حيث يرى بعض الفلاسفةأن قيام الحضارة بسبب أحد هذه العوامل أو بسبب عاملين أو أكثر مجتمعين مع بعضهم البعض .

رؤية الغرب للحضارة

فسرت الرؤية الغربية قيام الحضارات بسبب عاملين فقط وهما : الطبيعة والإنسان وكان من نتيجة تركيز نظرتها فى قيام الحضارات على الذات الإنسانية والطبيعة وأن تعتبر الجنس أو العرق العامل الاساسى فى نشوء الحضارة واختصت بذلك الجنس الأبيض لما يتمتع به من خواص أهلته لصنع الحضارة .

أما دخول الطبيعة : كعامل مهم فى نشأة الحضارة فيكمن فى نشوء صراع بين الطبيعة والإنسان ليتحدى الإنسان نفسه وتتفجر طاقاته ليبنى حضارة مزدهرة إلا أن الصراع أدى مع مرور الأيام إلى إحداث الفساد فى فكرة غريبة بحتة تبدو للوهلة الأولى منطقية إلا أنه عند التوغل فيها نجد أنها فكرة مدحوضة حيث أن الطبيعة

وجدت لخدمة الإنسان وعليه فإن فكرة الصراع بينهما مرفوضة فالعلاقة بينهما علاقة تكامل وانسجام وفى عصرنا الحالى نجد أن الحضارة المعاصرة عملت على إفساد البيئة الكونية وذلك لأن العلاقة قد تأسست منذ البداية على فكرة الصراع دون وجود للقيم الأخلاقية مما أدى إلى ظهور العديد من المشكلات مثل إستنفاد الموارد ومصادر الطاقة المخزونة بالإضافة إلى تراكم النفايات بشكل كبير واستخدام أسلحة الدمار الشامل التى أدت إلى إهلاك النسل وكل ذلك الأمور سببها السلوك الإنسانى الفاسد .

استبعاد البعد الغيبى من عوامل قيام الحضارة

قد تم استبعاد البعد الغيبى من عوامل قيام الحضارة فى الرؤية الغربية حيث تعاملت الحضارة الغربية مع عالم الشهادة واقتصر عملها على المفاهيم الوضعية التى تقوم على الصراع كما أن النظريات الغربية عمدت إلى تعظيم دور الإنسان وجعله مركزا للكون بالإضافة إلى تضخيم دور الطبيعة أيضا وقد سعت الحضارة الغربية إلى تحقيق المنفعة للإنسان وإشباع غرائزه مع إهمال الجانب الروحى الأمر الذى أدى إلى التهديد بالخطر ولم يرى الغرب أن مقاييس تفوق الحضارات لا يكون فى حجم إنتاجها فقط وإنما فى أخلاقية الجماعات المتحضرة فى المجتمع وخدمتها للإنسانية حيث انحصرت وجهة النظر الغربية فى عرق معين أو نظام دولة معينة أو طبقة ما والجدير بالذكر أن إنفصال الحضارة عن الدين فى المجتمع الغربى أدى بها إلى الإنحلال والذى أدى بدوره إلى مشكلات عديدة أهمها انهيار الأسرة وتفككها وإنتشار المخدرات وغيرها من مشاكل المجتمعات الغربية .

رؤية الإسلام للحضارة

رؤية الإسلام للحضارة : لقد استخلف الإنسان فى الأرض للقيام بدوره الحضارى فيها ويمكن القول : أن تقدم المجتمع وتخلفه يرجع للإنسان نفسه وقد أكد القرآن الاكريم هذا الأمر عندما بين أن أى تغيير فى العالم يبدأ من تغيير الناس لما فى نفوسهم وليس إلى الطبيعة أو المادة كما أن بقاء الأمة وحضارتها مرتبط بصلاح نفوسها وفسادها سواءا داخليا أو خارجيا .

أما التغيير الداخلى للنفس : فيحدث من خلال الإيمان والذى يعمل على تنشئة الأفراد على الصدق والأمانة ويعد الإيمان الأساس الذى تقوم عليه الحضارة لما يحدثه من آثار فى حياة الإنسان ويبين الإيمان حقيقة الوجود ويرسم غاية الحياة وحقيقة التوحيد التى تمثل جوهر العقيدة التى يتم بناء الحضارة على أساسها ويشكل الإيمان الوعى الجماعى للمجتمع الذى تقوم عليه الحضارة فلكل دائرة حضارية نظرياتها المعرفية المحددة لحصائصها الجوهرية والتى تمنحها الهوية الثقافية والإجتماعية المتميزة كما أن الإيمان يبدأ بعملية اصلاح القلب والذى يتبعه صلاح فى الأعمال وبالتالى الإنعكاس على قيام الحضارة المادية ويقوم الإيمان على الوسطية فى مبادئه والتى تعد سيرة المسلمين التى بنوا عليها حياتهم القائمة على العدل الذى يعد منطلقا للتغيير والتعمير والإستثمار .

الوسطية قاعدة أساسية من قواعد التحضر الإسلامى

الوسطية قاعدة أساسية من قواعد التحضر الإسلامى : ويمكن القول : أن الوسطية قاعدة أساسية من قواعد التحضر الإسلامى فى مختلف الجوانب الفكرية والسلوكية والتعميرية وبما أن الإيمان يعنى المعرفة والتصديق والعلم والعمل

فإن ذلك يعنى تكامل العلم والعمل معا مما يتيح للفرد أن يتطور ويحقق العمران فى الأرض وبالتالى البعد عن الفساد والإفساد وهذا يعنى تحقيق الهدف من استخلافه

إن الإيمان بالله وتوحيده هو المرجع الذى تنبثق عنه كافة المفاهيم والقيم التى تمزج الحضارة العربية هويتها كما يربط جميع مكوناتها لتصبح كيانا متكاملا وقد ارتبطت علاقة التوحيد بجميع مظاهر الحضارة العربية والجدير بالذكر أن الإيمان يمنح الإنسان القوة التى تجعله يتحلى بالأخلاق الحميدة والتى تحرضه بدورها على الرقى والتقدم فى الدنيا كما يمكن القول : أن الإيمان عامل حضارى يوحد إرادة الجماعات نحو المسار الصحيح ليزيدها عطاءا وقوة ويجعلها تبدع أكثر .

الرؤية الغربية لعوامل قيام وسقوط الحضارات

كل حضارة تصطبغ فى منهجها كله وفى إنتاجها جميعه بلون الفكرة التى منها نشوؤها وتطورها حتى إنه ليتكون من ذلك فى كل حضارة فقه خاص بها يتمثل فى

منطق داخلى تتكون عليه بنيتها وتتحكم به سيرورتها إنفعالا بالفكرة التى نشأت منها ويتمايز ذلك المنطق بين حضارة وأخرى ومعروف لدى فلاسفة التاريخ والحضارة أن الحضارة التى تتمخض عن عقيدة ما يرتبط مصيرها بحد كبير بدوافع نشوؤها فإذا ضعف الدافع العقدى أو عانت المعطيات الحضارية من تقطعه وغيابه بهذه النسبة أو تلك فقدت قدرتها على النمو والإستمرار وتفككت الأواصر التى تشد الجزاءها وتحركها صوب هدفها المرسوم .

الأسس التى نشأت عليها الحضارة الغربية

الأسس التى نشأت عليها الحضارة الغربية : إذا أمعنا النظر فى العوامل التى أنشأت الحضارة الغربية أمكننا إستخلاص النقاط التالية **: -**

أولا : حصرت النظريات الغربية نفسها وهى تفسر نشوء الحضارات فى عاملين يعودان للطبيعة والإنسان . ولا يمكن فهم إنغلاق هذه النظريات على هذين البعدين الإنسان والطبيعة إلا بفهم الظروف والبيئة التى نشأت فيها تلك النظريات أى النظريات الت ى شكلت التصور عن الحياة والكون والوجود ككل حيث أن النظرة للوجود إنبثقت من نظرية المعرفة فى الفكر الغربى ومن المعروف أن النظريات العامة عن الوجود فى الفكر الغربى نترتد فى أصولها الأولى والمنشئة لها إلى التراث اليونانى الرومانى ولقد نتج عن هذا التصور نزعات فلسفية مثل المادية والطبيعية وهذه النزعات فى مجملها كانت وليدة القول بمحورية الإنسان الفرد

ولقد كان من نتائج إنحصار الفلسفة الغربية فى دراسة الواقع المحسوس أو عالم الشهادة تمركزها حول الذات الإنسانية والطبيعة فلا غرو أن يعتبر الجنس أو العرق هو العامل الأساسى فى إنشاء الحضارة لما يتمتع به من خواص حددها واضعوا تلك النظريات وأن تدخل الطبيعة هى الأخرى كعامل فى نشأة الحضارة وأن ينشأ صراع بين الإنسان والطبيعة لتنفجر طاقات ذلك الإنسان الغرد وقد أدى هذا الصراع بين الإنسان والطبيعة فى الفكر الغربى إلى ظاهرة الإفساد بديلا للتعمير حيث أن الإنسان فى تعامله مع الكون يتحرك وفق تصور أيديولوجى وذلك فى نطاق تصوره للوجود عامة ولعل ما رافق حياة بعض الناس من تأليه لعناصر الطبيعة منذ القدم إلى الآن

يمثل أجلى مظهر لعلاقة الإنسان العقدية بالكون وبناءا على ذلك فإن البعد العقدى للكون يعتبر عنصرا أساسيا فى الحضارة من حيث نشوئها وتطورها أساسا ومن حيث صبغتها ومنحاها بعد ذلك وذلك لأن الصورة التى يحملها الإنسان عن الكون من حيث مأتاه ومصيره ومن حيث طبيعته وتركيبه ومن حيث قيمته وعلاقته بالإنسان ستكون هى المحددة لموقف الإنسان العملى من الكون إلتحاما به وإقتحاما لمناكبه أو إبتعادا عنه وإنكماشا عن السعى فيه وإستعلاءا عليه وتسخيرا لمنافعه أو تخوفا منه وتذللا له وتاريخ الحضارات شاهد على ذلك .

الإسلام وتصوره للعلاقة بين الإنسان والعالم : لقد رسم الإسلام تصوره للعلاقة بين الإنسان والعالم وهى علاقة تقوم على الوئام والإنسجام والتكامل والوفاق والتجانس والإلتحام بين الإنسان والطبيعة بين الجماعات المؤمنة والعالم فما دامت قوى الطبيعة وطاقاتها قد سخرت أساسا لخدمة الإنسان ومساعدته على الرقى الحضارى وإعمار العالم فإن العلاقة بينهما ليست علاقة قتل وصراع وغزو وبغضاء إنما علاقة إنسجام وتقابل وتواصل وتعاون وتكامل وتكشف وتنقيب .

فكرة الصراع بين الإنسان والعالم نظرة غربية : إن فكرة الصراع بين الإنسان والعالم نظرة غربية صرفة مهما وضعت فى أطر فلسفية شاملة تبدو للوهلة الأولى منطقية ومبررة فإننا بمجرد التوغل فى دقائقها ومنحنياتها سنعثر على منطق الصراع الذى تبنى عليه معطياتها صراعا يضعه : هيجل فى عالم الفكر ويبرر به أى شوفينية يمارسها شعب أوروبى متفوق لإستعباد وقتل الشعوب المستضعفة ويضعه : ماركس فى ميدان التبادلات المادية ليبرر به أى مذبحة تمارسها طبقة ضد طبقة والتصور الإسلامى على العكس من ذلك إذ يرى أنه ما دام الإنسان قد خلق وفق صيغة تشتبك فيها قوى الروح والمادة فإن له أن ينطلق فى نشاطاته من نقطة التوازن الذى ينتفى فيه الصراع ويتحول الجهد الإنسانى إلى سعى خلاق من أجل التوحد والتكامل والإنسجام وأنه ما دام قوى من جهة أخرى قد سخرت لمهمة الإنسان الأرضية فإن علاقة الإنسان به ليست علاقة صراع وإقتتال إنما هى محاولة

الكشف والتنقيب والإندماجللوصول إلى أكبر قدر ممكن من التفاهم بين الإنسان والعالم بعد الكشف عن سننه ونواميسه الطبيعية .

الحضارة المعاصرة أفسدت الكون لأنها تأسست على فكرة الصراع **:** إن مما لا جدال فيه فى عصرنا الراهن أن الحضارة المعاصرة أفسدت البيئة الكونية لأن علاقاتها بالكون تأسست على فكرة الصراع والمغالبة دون إستصحاب للقيم الأخلاقية فبرزت المشكلات فى العالم المعاصر من قبيل المشكلة البيئية واستنفاد الموارد ومصادر الطاقة وأسلحة الدمار الشامل وهذا الفساد هو نتيجة للسلوك الإنسانى غير الراشد (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس) (الروم 41)

(والله لا يحب المفسدين) (المائدة 64)

ثانيا : تم استبعاد البعد الغيبى فى عوامل قيام الحضارة الغربية . فتعاملت الحضارة مع عالم الشهادة واقتصر علمها وقوانينها وتمثلانها للوجود على المفاهيم الوضعية القائمة على الصراع هذا من جانب ومن جانب آخر فإن النظريات الغربية عملت على تضخيم دور الإنسان بجعله مركزا وإلها للكون كما عملت الفلسفة الواقعة على تضخيم دور الطبيعة فألهتهما هى الأخروهذا يعنى أن الحضارة الغربية سعت لتحقيق اللذة والمنفعة للإنسان أى إشباع غرائزه مع إهمال الجانب الروحى فظهر تبعا لذلك الخواء الروحى فى العالم المعاصر وتعالت الصيحات المنذرة بالخطر .

ثالثا : إن مقاييس التفوق الحضارى **.** لا يكمن فى حجم الإنتاج بقدر ما يكمن فى أخلاقيات الجماعة المتحضرة وسعيها لخدمة الأهداف الإنسانية الشاملة وهذا ما لم تنتبه له الحضارة الغربية إذ أنها تتجاوز حتى على حدود الفكر والفلسفة حدود الموضوعية الشاملة وتهبط كثيرا عن أخلاقية الإنسان بما هو إنسان فتحصر أهدافها ومعطياتها فى نطاق دولة أو عرق معين كما هو الحال عند هيجل أو طبقة معينة كما هو عند ماركس ورفاقه أو على أحسن حال فى إطار وحدة حضارية معينة كما هو الحال عند توينبى .

رابعا : وحيث أن الحضارة الغربية تتعامل مع المحسوس . فقد ستحكمت فيها قين المنفعة واللذة **ومن ثم** فإن حركتها قائمة على فلسفة الصراع ذلك أن فكرة البحث عن عدو كامنة فى فلسفتها .

خامسا : إن إنفصال الحضارة عن الدين . وتحررها من سلطانه أفضى ويفضى بها ولا بد إلى إنحلال الأخلاق وإنحطاطها عاجلا أم آجلا .

سادسا : ولأن الحضارة الغربية أهملت الدين وتعاملت مع المحسوس وفقا لمنهج المعرفة التجريبية . فقد تعاملت مع الإنسان بما فيه من مشاعر بوصفه مادة ومن ثم فقد إنعكس ذلك على الواقع الإنسانى يقول : كاريل إن الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب لأنها لا تلائمنا لقد أنشئت دون أى معرفة بطبيعتنا الحقيقية إذ أنها تولدت من خيالات الإكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم وعلى الرغم من أنها أنشئت من مجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا .

أما كولن ولسن : فإنه يقول وكنت أنظر لحضارتنا نظرتى إلى شىء رخيص تافه بإعتبار أنها تمثل إنحطاط جميع المقاييس العقلية وانعدام الجانب الروحى فى حضارتنا المادية .

سابعا : لا مخرج للحضارة الغربية من الإنهيار والتدهور . الذى بدأت تستعظم أخطاره فى نظر ألبرت شفيتسر إلا بإيجاد نظرية كونية تسير حركتها .

حتمية سقوط الحضارات

حتمية سقوط الحضارات : تجمع معظم مذاهب التفسير الوضعى على الول : بحتمية سقوط الحضارات فا ماركس يخضع حركة التاريخ بدولها وحضاراتها لحتمية تبدل وسائل الإنتاج وانعكاسه على الظروف ويرى أن كل وضع تاريخى مآله إلى الزوال بمجرد هذا التبدل الديناميكى الحركى الدائم لكن ما يلبث ماركس أن يقع فى تناقض أساسى مع نظريته عندما يقرر الدوام والثبات لمرحلة حكم الطبقة العاملة حيث لا زوال بعدها .

اما شبنجلروتوينبى : فيوكدان حتمية السقوط كأمر لا مفر منه غير أن توينبى يقع هو الآخر فى تناقض حينما يؤكد أن هناك أملا فى بقاء الحضارة الغربية المعاصرة يواجه الأعاصير حيث إنه نظر إلى بقية الإشعاعات اللاهوتية الكامنة فيها فقرر أزليتها وذلك لأن كل مادة وكل وقود يتحول إلى إشعاع وقد أرجع توينبى سُقوط الحضارات إلى ثلاثة أسباب هى : -

أولا : عف القوة الخلاقة فى الأقلية الموجهة وانقلابها إلى سلطة تعسفية .

ثانيا : تخلى الأكثرية عن موالاة الأقلية المسيطرة وكفها عن محاكاتها .

ثالثا : الإنشقاق وضياع الوحدة فى كيان المجتمع كله . وفى دور انحلال الحضارات فإن الفساد يدب فى أرواح الناس ويطرأ على سلوكهم ومشاعرهم وحياتهم تغير جذرى ويحل محل الصفات الباهرة والقوى المبدعة التى كانت تزخر بها ذواتهم فى دور النمو الحضارى ثنائية من النزعات والمواقف العقيمة المتناقضة ثنائية فى السلوك تتقاذف نفوس الأفراد بين استسلامها المطلق لمشيئة المقادير الجارية وبين انضباطها انضباطا شديدا بالإرادة القاهرة وثنائية فى الشعور تتقاذف قلوب الناس وفى هذا الدور يتعرض الفساد الروحى أيضا عن فوضوية تعم الأخلاق والعادات وانحطاط يسود الآداب والفنون والفنون واللغات ومحاولات عقيمة للتوفيق بين مختلف الديانات والفلسفات وتسعى الأقلية المسيطرة فى حالات معينة إلى أن تفرض بالقوة على رعاياها فلسفة خاصة أو دينا مختارا ولكنها تخفق فى محاولتها .

حتمية سقوط الحضارات ترجع إلى النظريات التى تأسست عليها

حتمية سقوط الحضار الغربية ترجع إلى النظريات التى تأسست فى ضوئها تلك الحضارة التى ارتبطت بقدرات الإنسان والطبيعة ومن ثم فقد تحكمت تلك التفاسير فى سيرورة الحضارة كما تحكمت فى نشوئها إبتداء .

الرؤية الإسلامية لعوامل قيام وسقوط الحضارات

إن قيام أو سقوط الحضـارات كما سبق أن ذكرنـا يكمن فـى صـميم الموقـف البشـرى نفسه لا فى الطبيعة أو العلاقات المادية إنمـا فـى إطـار الإرادة الإنسـانية فقد استخلف الله تعـالى الإنسـان فـى الأرض لآداء دوره الحضـارى فيهـا ومن ثـم فـإن أسـباب تقدم المجتمع وأسباب تأخره وانحطاطه تعود للإنسان نفسه وقد أكد القرآن الكريم

هذه الحقيقة وهو يتحدث عن الأرضية التى تبذر فيها بذور الرقـى والإنحطـاط حيث أكد أن أى تغيير فى عالم الشهادة يبدأ من نفوس الناس سـواء كـان ذلـك نحـو الأحسـن او نحو الأسوأ ففى سورة الرعد الآية 11 يذكر (إن الله لا يغير ما يقوم حتـى يغيـروا ما بأنفسهم) وفى سورة الأنفال آية 53 يذكر (ذلك بأن الله لم يك مغيـرا نعمـة أنعمهـا على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) . ورة ذلك أن الإنقلاب إلى الرقى أو الإنحطاط له درجتان :-

الأولى : درجة الإنقلاب الذهنى أو النفسى .

الثانية : درجة الإنقلاب العلمى أو الخلقى .

والأول يتعلق بالتغيير الداخلى والثانى يتعلق بالتغيير الخارجى أى أن الأمة إذا تدرجت فى الرقى فإن اصلاح القوى الداخلية يتحقق فى البداية وتتغير الأفكار والأحاسيس والتصورات للحياة ثم تنشأ الجواهر وحينما تصاب أمة بالذل والنكبة تفسد أولا قواها الداخلية ويتغير الفكر والنظم ثم تنشأ الجراثيم التى تقضى هلى أهلية الحياة بالتدرج كذلك أى أن بقاء الأمة مرهون بصلاحها داخليا أولا ثم خارجيا بعد ذلك وفناؤها مرهون بفساد نفوسها أولا ثم فساد أعمالها بعد ذلك فسنة الله تعالى فى خلقه أن الصالح يبقى لأن فيه للبشرية نفعا وغير الصالح لا يبقى لأنه لا نفع فيه (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) (الرعد 17)

وهذا التغيير الداخلى للأنفس هو ما يقوم به الإيمان إذ أن الإيمان هو الوسيلة الوحيد لتنشئة الأفراد على سيرة محكمـة مـن الدرجـة الأولـى وهـو الـذى يطبـع الأفـراد علـى الصدق والإخلاص والأمانة والعفاف ومحاسبة النفس وضبط نوازعها وإيثـار الحق وسعة النظـر والقلـب وعلـو الهمـة والكرم والسـخاء والفدائيـة والتضـحية والتواضـع

والخضوع للحق والشعور بالواجب والإستقامة والشجاعة وعاطفة السمع والطاعة واتباع القانون ويؤهلهم لأن يبرز بهم إلى حيز الوجود أحسن مجتمع وأطهره .

إن مما لا شك فيه أن تغيير عالم الأنفس لا يتم إلا وفقا لفكرة عن حقيقة الوجود وغاية الحياة وينعكس ذلك على عالم الآفاق فينشأ من دفع الفكرة وتوجيهها نمطا حضاريا معينا وهو ما أكده مالك بن نبى بقوله إن حضارة ما هى نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع فى مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التى تدخل به التاريخ ويبنى هذا المجتمع نظامه الفكرى طبقا للنموذج الأصلى لحضارته إنه يتجذر فى محيط ثقافى أصلى يحدد سائر خصائصه التى تميره عن الثقافات والحضارات الأخرىإذا كانت الحضارة تعتبر وليدة فكرة فإن هذه الفكرة ينبغى أن تحمل تصورا معينا للإله والإنسان والكون والحياة والعلاقات الناشئة بينهما والتى تشكل بمجملها علم العقيدة أو الإيمان حسب المصطلح القرآنى .

أهمية الإيمان فى الحضارة

أولا : الإيمان يبين حقيقة الوجود ويرسم غاية الحياة . وحقيقة التوحيد فى بنيتها الشمولية ممثلة لجوهر العقيدة التى رسمت المسار الذى يجرى عليه البناء الحضارى كله وقد أجاب القرآن الكريم فى تقريره لأصول الإيمان على التساؤلات الكلية حول المبدأ والمصير والعلاقة بين الخالق والمخلوق .

ثانيا : إذا كان لكل دائرة حضارية نظريتها المعرفية . التى تحدد حصائصها الجوهرية وتمنحها هويتها الثقافية والإجتماعية المتميزة وتكون النظرية المعرفية عادة تكون مرآة تعكس أوجه نشاطاتها الفكرية المتعددة وفى كافة تجلياتها فإن الإيمان هو الذى يشكل الوعى الجمعى لمجتمع تلك الدائرة الحضارية حيث يصدر الوعى الجمعى لهم على مستويات ثلاثة متضايفة **: -**

أ – منظومة عقائدية تحدد وجة الإنسان الكلية عن الوجود والحياة

ب – مواقف مخصوصة فى الحياة وتتجسد فى نمط سلوكى له خصوصيته

ج – ولأن الدين لا يشكل مرتكز الحياة الفكرية فحسب بل خطاب يتسم بالعالمية

وإلا غاب الإلتحام بين المؤمنين به وجب أن يتخذ الإيمان صيغة هوية إجتماعية مشتركة وبهذا فإن الدين يحدد معالم وحدة إجتماعية تتشكل من أفرادها الذين أصبحوا أمة مخصوصة لها عقيدة نظرية وتسلك فى الحياة منهجا أخلاقيا واحدا ولها هوية إجتماعية مشتركة .

ثالثا : الإيمان فى التصور القرآنى **.** يبدأ كعملية باطنية حيث يتم اصلاح القلب الذى يعتبر منبعا للعوامل الباطنية ثم يتحقق التغيير فى الذهن ووجهة النظر وينعكس ذلك على الأعمال وهذا يعنى أن الإيمان فى التصور القرآنى ليس عملية جوانية تتعلق بالقلب دون أن ينعكس على عالبم الشهادة بالأعمال كما أنه ليس عملية برانية تركز على عالم المادة دون إهتمام بإصلاح الباطن وإذا كان الإيمان ليس جوانيا فقط فإنه ليس برانيا كذلك فهو إذا قائم على التوسط بين الجوانب الداخلية والخارجية للإنسان وقد أكد القرآن الكريم على أن التغيرات الخارجية فى المجتمعات منوطة بتغيير ما بالأنفس (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد 11)

ويتكرر ذلك المعنى فى سوة الأنفال (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الأنفال 53) .

الوسطية فى الإسلام من مبادىء حياة المسلمين فكرا وسلوكا

أصبحت الوسطية فى فى المبادىء الإسلامية سيرة للمسلمين بنوا عليها حياتهم كلها فكرا وسلوكا فإذا هذه الحياة تقوم على العدل فى التصور الإسلامى الوجودى يتخذ فيه العالم المادى بإعتباره حقيقة واقعية مأخوذة بالإعتبار والإحترام ويتخذ منطلقا للتعمير ومزرعة للإستثمار ولكنها تعمير وإستثمار لا يبتغيان لذاتيهما بل يتجه إلى الوجود الأكمل وهو الله سبحانه وتعالى وابتغاء مرضاته وإذا يصور الحياة تجرى على توازن بين مطالب الجسم المادية ومطالب الروح المعنوية تمتعا بطيبات الرزق دون حرمان فى اتجاه روحى إلى الله تعالى بالعبادة كما تجرى على توازن بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع دون إهدار لهذا أو ذاك وتجلى ذلك العدل كله فى الحضارة العربية كما نرى من آثارها .

إن هذه الوسطية كانت قاعدة أساسية من قواعد فقه التحضر الإسلامى فى جوانبه الفكرية والسلوكية والتعميرية على حد سواء .

رابعا : إن اصلاح الباطن هو مناط التغيير . يتم من خلال منهج التزكية للنفس إرتقاءا بها إلى الكمال وهذا المنهج تلعب فيه العبادات دورا كبيرا فتكتسب النفس قيما أخلاقية مأمورة بها فى الدين من جانب ومن جانب آخر تجتنب أمورا منهية عنها فى الدين وبمعنى آخر تنشأ ملكة الحذر والإحتياط فى إتخاذ الحطوات فى مجال الحياة وفى نواحى الفكر والعمل وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بكلمة التقوى وهى فى الحقيقة اسم لكيفية روحية تتعلق بالقلب وتوجه بها حساسية وشعورا فى الإنسان فيتمكن من التمييز بين الخير والشر وفى ضوء ذلك فإن النظام الأخلاقى فى الإسلام الذى يحقق هدف التوازن فى كيان الفرد والمجتمع يمتاز بميزتين أساسيتين : -

ا – أنه نظام شامل بحيث تتسع دائرة الأخلاق الإسلامية . فتشمل أفعال الإنسان الخاصة جميعا أو المتعلقة بغيره سواء أكان هذا الغير فردا أو مجتمعا أو دولة

ب – أن الأخلاق ليست نسبية فى الإسلام وإنما تنبع من حقائق خالدة تسند إلى الوحى الإلهى . وهذه النظرة قائمة أساسا على نظرة الإسلام التعادلية إلى الوجود فمذهبية الإسلام فى الوجود كله تقوم على أساس الترابط والتوازن ولا تقوم على مبدأ النقيض التى يفترض عدم وجود الحقائق الثابتة وينبنى على ذلك نسبية الأخلاق فى الحياة البشرية .

خامسا : وحيث أن القلب هو مقر الحياة الباطنية ومعقد الإلزامية الأخلاقية .فإن النية وحدها هى التى تقود المؤمن المسئول أخلاقيا فى أفعاله وفى علاقاته بالآخرين وفى علاقات الجميع بالله سبحانه وتعالى **.**

سادسا : إذا كان الإيمان هو التصديق الجازم بالقلب أى أن قضيته داخلية فى النفس الإنسانية فإنه يترتب على ذلك عدم إكراه الناس على الدخول فى الدين (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) (البقرة 256)

سابعا : إذا كان الإيمان هو المعرفة والتصديق والإقرار والعمل . فإن هذا يعنى تكامل العلم والعمل وهذا يتيح للعقل الإنسانى النماء والتطور مما يؤدى إلى تحقيق

العمران للأرض وعدم الفساد فيها **أى** تحقيق غاية الإستخلاف فى الأرض وهو ما يحقق مقاصد الشارع من وضع الشريعة والتكامل بين عالمى الغيب والشهادة

ثامنا : الإيمان بالله وحده يمثل المركزية والمرجعية التى ينبثق عنها كافة المفاهيم والتصورات . فالله الواحد هو المبدأ والغاية لكل موجود ولكل فعل فى الوجود والقرآن الكريم يقرر حقيقة التوحيد بكافة أساليب الحجاج والإستدلال مما يؤدى إلى بروز قيم المساواة والعدل والحرية وهذه القيم هى التجسيد الأخلاقى لقيمة التوحيد.

إن مبدأ توحيد الله سبحانه وتعالى ذاتا وصفاتا ومبدأ فى الخلق ومدبرا فى الكون وحاكما فى حياة الناس ومعبودا لهم ومنتهى لكل الكائنات فى المصير هو الذى يمنح الحضارة الإسلامية هويتها ويربط جميع مكوناتها ليجعل منها كيانا عضويا متكاملا نسميه حضارة وفى ربط هذه العناصر معا يقوم جوهر الحضارة .

التوحيد جوهر الحضارة الإسلامية

إن جوهر الحضارة العربية الإسلامية الذى قامت عليه مؤسساتها وحدد امتدادها التاريخى وشكل تفاعلها الخارجى وحدد أهدافها هو التوحيد وإن التوحيد هو الذى يعطى الحضارة العربية والإسلامية هويتها وهو الذى يربط بين أجزائها وهو الذى يطبع كل ما يدخل إليها من عناصر فيؤسلمها ويطهرها من غيورها فى التوحيد متجانسة مع كل ما حولها وعليه فإن التوحيد هو محور الحضارة الإسلامية وهذه المحورية تعنى أن الحضارة الإسلامية تعتمد فى أصولها وتتفرع بالتالى من الأصول كل الفروع على إستيحاء مبادئها الرئيسية لها من توجيه الإله عزوجل فما من حقيقة من حقائق الدين الشاملة عقيدة كانت أو شريعة إلا وهى منبثقة عن التوحيد وراجعة إليه فهو روح الدين كله السارى فيه مسرى الماء من النبات وأيما موضع أصابه الجفاف آل إلى التلاشى وهذا يعنى : -

ا - أن الحضارة الإسلامية حضارة أيديولوجية مبدئية عقدية تعتمد على الأيديولوجية والمبدأ إعتمادا كليا .ولأن هذه الأيديولوجية ركيزة أساسية فى الحضارة الإسلامية فإن أية دعوة للحضارة الإسلامية منسلخة عن أيديولوجية التوحيد تعتبر انحرافا وضلالا عن الخط الرئيسى لها فالذين يريدون إسلاما بلا إله أو دينا بلا آخرة أو

أحكاما بلا روح إنما هو تأثير وتوجه تابع من الحضارة المادية لا يمت إلى الحضارة الإسلامية .

ب – إن مبدا الحضارة الإسلامية الدين وهو التوحيد يعتمد على أساس الوحدة لا التنوع .

ج – إن الحضارة الإسلامية التوحيدية تبتدىء من الله سبحانه وتعالى وتنتهى إليه. ولهذا فإن الفروع والأصول تبدأ من ذلك أيضا وتنتهى إليه والنتيجة إذا أن محورية التوحيد فى الحضارة الإسلامية ثابتة وعقيدة ولهذا فإن تأثيراتها تصل إلى كل حكم وكل قانون وكل توجه وتنبثق من هذا الأساس سائر القواعد المتينة التى تعتمد عليها الحضارة الإسلامية مثل الإستقلال والأمن والخير والصلاح والتكامل والتقدم

وعلى هذا الأساس تتضح بعض معالم الحضارة الإسلامية فهى حضارة الإنسان وهى حضارة الجمال وهى حضارة التطلع وهى حضارة البحث عن الأفضل .

فصل

الأمة العربية وصنع الحضارة

شهد عالمنا العربى فى العقود الأخيرة تحولات مجتمعية على أكثر من صعيد ولكنها افتقدت خصائص التقدم الحضارى ومن هنا فقد المجتمع العربى حيويته حتى بالبناء الثقافى ومجالاتـه المتنوعة بالتصور الكونى والمفاهيم الحضارية ونما القصور الثقافى بسبب آليات التعليم العربى ومناهجه وبضعف التعليم والتربية انعزل العقل العربى المجتمعى عن واقع أمته وبالتالى تعطل دور العقل الإنسانى نحو تطوير الواقع العربى المجتمعى وتغييره نحو الأفضل برغم أن مكونات العصر الثقافى تتشكل من التربية الأخلاقية والمعلومات والمعرفة والتطور التقنى واتجاهات الأمة العربية افتقدت السمة الإبداعية ولم تستحق من العقل العربى وقفة تأمل مع الذات لإمتلاك يقظة وكأن العقل العربى لا يعايش متغيرات الألفية الثالثة وكثرت خلالها الفلسفات الروحية والوضعية لتصل الأمة العربية لمرحلة القصعة والوهن الحضارى قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم " يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن قيل وما الوهن يا رسول الله قال : حب الدنيا وكراهية الموت "

رواه ابو داود

مسارات الصعود والهبوط للأمم والشعوب

مسارات الصعود والهبوط للأمم والشعوب : ومن التربية والتعليم وطبيعة عمل الإنسان تتشكل للأمم مسارات الصعود والهبوط ووعى العقل العربى لا يتشكل من انتشار الفضائيات العربية أو الإصدارات الثقافية الورقية بسبب ضعف القراءة لدى قطاع عريض من الشباب العربى وانتشار الأمية الأبجدية والتعليم العربى لم يحقق تنمية الموارد البشرية ويقيم أخلاقية وسلوكية وكيفية التعامل مع الآخرين وحينما تنمو محاور التعليم والتربية ينمو فكر الإنسان والواقع العربى المعاصر أصبح أشبه

باللوغارتيم حتى صعب التنبؤ بمسار الأداء المستقبلى وتحضرنى مقالة للزعيم : غاندى يقول : أفتح نافذتى للرياح جميعها ولا أسمح لأحد بإغلاقها ومن هنا نطرح التساؤل هل العرب يستطيعون امتطاء الركب الحضارى العالمى بهوية تعليمية وثقافية عربية ؟

ونحن مع رؤى الأصالة والمعاصرة والهرية العربية ولكن أين أدوات الواقع العربى المعرفى ؟

أو من زمن التكنولوجيا للمعلومات والتعليم فى عالم اليوم تخطى الحواجز والصعاب والمسافات التاريخية والمكانية بسهولة ويسر ؟

وأمة العرب رغم ذلك فى مجموعة بلدان العالم الثالث أو العالم النامى إن جاز التعبير والآخر يتقدم بخطوات شاسعة والتغيير يتشكل من التطور التكنولوجى والمعلوماتى وكلاهما له مستويات تعليمية وعلمية وفكرية وثقافية حتى أصبحت الأمية العربية أمام تحد حقيقى ولا أحد يملك احتكار المعرفة فى عالم اليوم لأن العقول الإنسانية هى التى تفكر وتنتج وتبدع ودون أى منازع ولدينا عربيا رغم معايير الضعف سياسات تعليمية وثقافية إن تحركت بتخطيط مرحلى مستقبلى مع ربط مخرجات التعليم بإحتياجات المجتمع لإمتلك المجتمع العربى قدرة ابداعية تساعده على حل مشكلاته المعاصرة والتعليم الحديث أصبح يلعب دورا محوريا فى عملية التنمية الإقتصادية وكل المنتج الحضارى اليوم نتاج إفراز عقول العلماء والمخترعين ولذلك منظومة التعليم مكنت العقل الإنسانى من الإستفادة من تكنولوجيا العصر المتطورة للتعليم الذاتى وتعليما العربى يعانى من ضعف المعرفة وإيقاع حركته بطىء ويمكن تعريف التعليم بمعناه الواسع على أنه كل أنواع التعليم الإنسانى أو بمعناه الضيق على أنه العملية التى تجرى فى المؤسسات المتخصصة من مدارس وجامعات والبلدان العربية تنفق على التعليم الكثير ماديا ولكنه فى ذات يفتقد معالم الإبداع والإبتكار لتحركه بالحفظ والتلقين وليس بتعليم تحصيل المعرفة .

القراءة والحضارة طرفان فى معادلة التقدم : والعقل العربى لمجتمع الغد عليه إدراك عمل آليات تفكيره والتفكير من عناصر امتلاك المعرفة وداخل العلوم وتنوع

الثقافات بيان لوعى الذات ولكل عصر نتاج تعليمى وثقافى وتربوى ونحن أمة إقرأ ولكنا لا نقرأ والقراءة والحضارة طرفان فى معادلة التقدم وبينهمال الكثير من التلازم والتكامل وبنظرة تأملية لتاريخ العرب نجد استيعاب العرب المسار العلمى فصنعوا حضارة كان لها التأثير الشامل على شكل الحضارة الأوروبية .

نهضة الأمم بحاجة لمرتكزات حضارية : ومن هنا نهضة الأمم بحاجة لمرتكزات حضارية وأى أمة تضعف يصبح حاضرها ومستقبلها فى مهب الريح ولا تستطيع أن تحقق لها موقعا فى ظل تعددية عالم اليوم وللنظر لوعد الله عزوجل للأمة قال :تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) (النور 55) .

ماذا عن أمتنا العربية وحضارتنا الإسلامية

إن شعوب أمتنا فى جملتها تصنف فيما يعرف بالعالم الثالث على تفاوت محدود فى تلك الثالثية واأزمات والمآسى التى ترزخ تحتها تمثل ضعف ما يجتاح عالم اليوم من مآسى وأزمات ذلك أنها ترزخ تحت مشكلات عالم ما قبل الصناعة التى ترجع إلى ما يعرف بالتخلف فهى أكثر شعوب العالم تخلفا بمعايير التقدم الصناعى والتقنى والعلمى والتنموى كما أنها لم تنس نصيبا من أزماتها الخاصة بها التى انحدرت إليها من ماضيها وبعض الجوانب السلبية من تراثها ولم يخفف وطأة تلك الأزمات ماضيها المجيد ولا كونها صانعة الحضارات الإنسانية التاريخية فى وادى الرافدين ووادى النيل وبلاد الشام والصين والهند وفارس واليمن وأنها بعد الإسلام قد قامت حضارة كان لها أثرها الحميد فى تسديد مسيرة البشرية وإرساء الدعائم التى مهدت لهذه الحضارة التى صارت تعرف بالغربية إننا نقولها وكلنا حسرة إن أمتنا فى حالة سبات عميق لم تستيقظ منه بعد ولم تسلك للنهوض سبيلا ولا تزال عاجزة عن الفعل وتعيش حالة ردود الأفعال الناجمة عن الصدمات التى تصنعها وتبلورها الحضارة القائمة الأوروبية والأمريكية ولم ترتق بعد إلى حالة الفعل إذ لم تتوفر فيها شروط

الفعل بعد ففقدت الفاعلية وقيادتها بمستوياتها المختلفة أفرزت تلك الصدمات ثم صارت قشرة أو فئة أو طبقة فوقية صغيرة توزعت وانتمت إلى الخيارات الغربية فى الخلاص فى خارطتها العامة فكان منها الليبرالى والماركسى والرأسمالى والثورى والإشتراكى والإنقلابى العسكرى والإنقلابى الحزبى وكذلك الدكتاتورى فكانت تلك الخيارات منبتة منقطعة زادت فى أزمات الأمة فهى لم تنبع من تفاعل مبدع مع قضايا الأمة وجل ما حدث فى داخل تلك المجتمعات وانبثق عنها لم يكن من الفاعلية بحيث يؤدى إلى تطوير طبيعى فيها فبقيت حتى اليوم فى إفتقار شديد للقواعد الفكرية والإجتماعية والإقتصادية لتستند إليها وتبلور تجاربها وتفجر طاقاتها وتنمى أفكارها وتنتقل بها إلى حالة الإبداع الضرورية لأنه نهضة وقد عانت مجتمعاتنا ولا تزال تعانى من التناقض الحاد بين القيم الغربية التى أفرزتها الحضارة الغربية المهيمنة وفرضها على مجتمعاتنا .

نقطة البداية فى فهم الحالة الراهنة

إن نقطة البداية أو الإنطلاق نحو الخروج من أزماتنا وبناء البديل الحضارى الإسلامى العالمى تكمن فى محاولة فهم الحالة الراهنة لأمتنا والعالم كله فهذا العالم بكل ما فيه صار يؤثر فى كل شىء فى أمتنا فيؤثر فى فكرها وأنماط حياتها وسياستها وإقتصاها بل وطرائق تعليمها وتدريبها وتربيتها بحيث صار يختار لها ما تقرأ أو ما تدرس وما تسمع وما ترى هنا نحتاج إلى دراسة المآسى الإنسانية الراهنة والأزمة العالمية الحالية التى تزداد كثافة وظلاما عبر الأيام .

فصل

رسالة الإسلام لإيقاظ الوعى بالذات والوعى بالمجتمع معا

رسالة الإسلام لإيقاظ الوعى بالذات والوعى بالمجتمع معا : بمنظور آخر كانت رسالة الإسلام تخطيطا للطريق الذى يوصل الإنسان إلى أن يكون ذا إرادة وذا قوة واستطاعة للمقاومة والمغالبة وذا مشاركة إجتماعية كانت رسالة الإسلام لإيقاظ الوعى بالذات والوعى بالمجتمع معا إذ الأضرار البشرية فى فقدان إرادة الأفراد وانعدام المشاركة الإجتماعية بينهم واسلامنا لا يتصل بالشرق أو الغرب لأنه يقوم على الإيمان بالله وعلى تمجيد القيم الإنسانية ومكافحة الطغيان فى أية صور إننا دعاة الإيمان بالله وحده وبالقيم الإنسانية الفاضلة إننا مجندون لخدمة ديننا لمقاومة الطغيان واحلال العدل والسلم محله إسلامنا يعتمد على الضمير فى الإنسان .

الأمة العربية والإسلامية تحتاج إلى صحوة قوية متحدة فى عالم اليوم

أصبحت الأمة العربية فى وضع لا تحسد عليه ولا يجوز لها أن تستكين وتنعى حظها فهذا لن يرد الحقوق المسلوبة إنها فى حاجة إلى صحوة جديدة حتى يمكن أن تعود مرة أخرى قوية ومتحدة فى عالم لا يحترم إلا القوة ولدينا العديد من أسباب القوة التى لا نوظفها للأسف الشديد لخدمة القضايا المصيرية لقد كتب الله العزة للمؤمنين فى قوله : تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) (المنافقون 8)

وهذه العزة لها ضريبة مستحقة على المسلمين فنصر الله لا يمنح مجانا للكسالى والمتخاذلين والمتاجرين بالشعارات وإنما يمنح للعاملين بجد وإخلاص من أجل بلوغ الأهداف المرجوة وفى هذا السياق يقول : الله تعالى (وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) (النور 55)

إن هذه الوعود الإلهية غير متحققة للمسلمين فى عالم اليوم فقد إختزلنا الدين وإختزلنا عمل الصالحات الذى نصت عليه هذه الآية فى العبادات والشكليات وصرنا نقول : لنا الآخرة ولغيرنا الدنيا وهو أمر مغلوط فالدنيا مزرعة الآخرة والعمل الصالح

يقصد به كل عمل يقوم به المرء فى هذه الحياة سواء كان هذا العمل دنينيا أم دنيويا طالما قصد به المرء وجه الله تعالى ونفع الناس ودفع الأذى عنهم فهو عمل صالح وهو عبادة لله تعالى فإذا ساد هذا الفهم إستقامت الأمور فإختزال الصالحات فى العبادات ظلم .

الأمة العربية غنية بثرواتها

إن أمتنا العربية غنية بثرواتها الطبيعية والبشرية التى تمكنها من تحقيق نهضة علمية وتقنية تنقلها إلى صفوف المتقدمين ففى الوقت الذى تعانى فيه البشرية الآن من مشكلات .

الباب الثالث

مفاتيح الحضارة فى التصور الإسلامى

القرآن الكريم يقص علينا أن الله تعالى بعد أن خلق الإنسان من طين أى من مادة أضاف إلى هذه المادة عنصرا آخر روحيا بأن نفخ فيه من روحه وقد نسب الله تعالى ذلك إلى ذاته سبحانه فلم يقل ونفخت فيه الروح ولكن

قال : تعالى (نفخت فيه من روحى) (ص 72)

وبذلك كرم الله الإنسان تكريما لم يرق إليه كائن آخر وقد أكد القرآن الكريم ذلك حين

قال : تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم) (الإسراء 70)

واقتضت إرادة الله تعالى أن يعد الإنسان للخلافة فى الأرض وأن يكلفه بعمارتها ولما كانت عمارة الأرض لا تكون إلا بالعلم فقد كان التكريم الثانى للإنسان بالعلم فعلمه الله الأسماء كلها قبل أن يهبط إلى الأرض أى سلحه بالعلم الذى يستطيع به أن يقوم بمهمة إعمار الكون وصنع الحضارة فيه وجاء هذا التكليف بهذه المهمة فى قوله :

تعالى (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) (هود 61)

أى طلب منكم عمارتها ومفهوم العمارة هنا مفهوم شامل لكل ألوان التعمير المادى والمعنوى ويختلف هذا العلم الذى سلح الله به آدم عليه السلام عن العلم الذى علمه الله للملائكة اختلافا بينا نظرا لإختلاف المهمة المكلف بها كل من الفريقين ولذلك عندما عرض الله تعالى هذا العلم على الملائكة كما جاء فى الآية الكريمة

(وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) (البقرة 31)

كان رد الملائكة على ذلك

(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العزيز الحكيم) (البقرة 32)

ومن ذلك يتضح أن العلم الذى منحه الله تعالى للإنسان هو العلم الذى يتناسب مع قدراته وملكاته من ناحية وهو الذى يفيد فى إعمار الأرض وصنع الحضارة فيها من ناحية أخرى وهذا علم لا حاجة للملائكة إليه ومن هنا أعلنت عدم معرفتها به فكل ميسر لما خلق له وليس معنى ذلك أن الإنسان منذ اللحظة الأولى قد كشف له عن كل

أسرار العلم وعليه أن يبذل جهده فى التعرف على كنوز هذا العلم وعلى قدر جهده ينكشف له بالتدريج بعض أسرار هذا الوجود وسيظل الأمر كذلك إلى قيام الساعة فالعلم بحر لا شاطىء له .

مفاهيم الإنسان والدين والحضارة

نود أن نتحدث عن بعض المفاهيم الأساسية وهى مفاهيم الإنسان والدين والحضارة لنتبين من خلال الآية القرآنية الكريمة

(إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) (العلق 1-5)

إن الأمر بالقراءة تكرر مرتين فى الآيات يحمل معانى عديدة تعنى الإمساك بمفاتيح الحضارة فالقراءة هنا تفهم بمعنيين : -

أولهما : قراءة الكتاب المسطور . وهو القرآن الكريم الذى يحمل المنهج الإلهى للإنسان .

ثانيهما : قراءة الكتاب المنظور . وهو الكون المفتوح الكبير كما جاء فى قوله : تعالى (قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض) (يونس 101)

والمطلوب منه القراءة هو الإنسان فمن هو هذا الإنسان الذى تكرر ذكره مرتين أيضا فى هذه الآيات الأولى من الوحى القرآنى الإنسان إنه مخلوق فريد وكائن متميز يعد نسيجا وحده بما لديه من الصفات ينفرد بما حباه الله من قدرات وملكات لا تتوفر لغيره فى هذا الوجود بل جعله الله مكلف أى صاحب مسئولية الأمر الذى أهله لكى يكون بتدبير من الله خليفة فى الأرض ليعمرها بالخير وقد كرمه الله تعالى وفضله على جميع الكائنات وهذه الكرامة التى اختص بها الإنسان ذات أبعاد مختلفة فهى حماية إلهية للإنسان تنطوى على إحترام عقله وحريته وإرادته وتنطوى أيضا على حقه فى الأمن على نفسه وماله وذريته ومن أجل ضمان تحقيق الحماية الإلهية للإنسان حددت الشريعة الإسلامية لنفسها مقاصد خمسة لتأكيد هذه الحماية وهذه المقاصد هى حفظ النفس والدين والعقل والمال والنسل وبها كان الإنسان مكلفا أى

مسئولا فلا بد أن يكون حرا من أجل ذلك منحه الله الحرية فى الفعل والترك حتى فى قضية العقيدة الدينية نجد أن القرآن الكريم يؤكد هذه الحرية بكل وضوح فى قوله : تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (الكهف 29)

وهذه المسئولية التى ألقيت على الإنسان لم تستطع الكائنات الأخرى تحملها وقبل الإنسان وحده تحمل هذه المسئولية بكل ما تعنيه من إلتزامات وفى ذلك يقول :القرآن الكريم (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان) (الأحزاب 72)

والأمانة المقصودة هى أمانة التكليف والمسئولية وحتى يستطيع الإنسان تحمل تبعات هذه المسئولية وتنظيم الحرية التى منحت له أنعم الله عليه بنعمة العقل الذى يميز به الخير من الشر والنافع من الضار والحق من الباطل فالعقل آداة التفكير لدى الإنسان من خلاله يستطيع أن يبتكر ويخترع ويضيف كل يوم جديدا من أجل البشرية وسعادتها وبالعقل يبحث الإنسان وينقب ويفهم ويدرك العلاقات بين الأشياء ويكتشف القوانين التى تحكم الكون ويدرك الأسباب والمسببات ومن خلال العقل أيضا يمتلك سلاح العلم الذى سلح الله به الإنسان قبل أن يهبط إلى الأرض والذى أعاد القرآن الكريم التأكيد عليه فى بداية الوحى القرآنى ويصف حجة الإسلام الإمام : الغزالى العقل بأنه أنوذج من نور الله ويصفه : الجاحظ بأنه وكيل الله عند الإنسان ومن هنا كانت أول كلمة من الوحى الإلهى على محمد صلى الله عليه وسلم وهى (إقرأ) تتجه إلى مخاطبة هذا العقل كما وردت فى هذه الآيات الأولى من الوحى إشارة إلى القلم والعلم وهذا تأكيد على أهمية القراءة التى هى مفتاح العلم والعلم هو مفتاح الحضارة كما أكدت هذه الآيات على أهمية تدوين العلم بالقلم وحفظه من الضياع لتستفيد منه الأجيال وذلك كله من المهام الأساسية للعقل الإنسانى .

أهمية العلم فى إعمار الكون وصنع الحضارة

أهمية العلم فى إعمار الكون وصنع الحضارة : ولأهمية العلم والتعويل عليه فى إعمار الكون وصنع الحضارة فيه جعله الإسلام فريضة من فرائض الدين وقد جاء فى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " من سلك طريقا يلتمس به

علما سهل الله به طريقا إلى الجنة فإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن العلماء ورثة الأنبياء " . والإنسان يستطيع من منطلق حريته أن يسخر علمه وفكره وقدراته من أجل خير الناس وهنا تكون الفرصة مواتية لصنع الحضارة والتقدم كما يستطيع الإنسان أن يفعل العكس من ذلك تماما ويسخر كل إمكاناته للهدم والتخريب والتدمير وهنا تكون الحرب التى تهلك الحرث والنسل وتعصف بكل شىء جميل بناه الإنسان وحتى تنضبط حركات الإنسان ولا يعتريه الغرور أو يضله الهوى أراد الله أن يساعده فى إكتشاف طريقه وتوجيه طاقاته نحو البناء والتعمير من أجل خير الإنسان وسعادته فى دنياه وأخراه من هنا كان الدين .

فصل

العلوم فى الحضارة الإسلامية عصرالعلم

فـى كتـاب الثقافـة والحضـارة الإسـلامية للأسـتاذ الـدكتور : محمـد الجـوهرى حمـد الجوهرى يقول : من الحقائق التاريخية أن العلوم الطبيعية نشـأت أول مـا نشـأت عند المسلمين فى أحضان الدين الإسلامى وفى ظل تعاليم القرآن الكريم وكانت أول آيـات القرآن الكريم علـى الإطـلاق تحض علـى طلب العلم والمعرفـة فكانـت إيذانا بعصـر العلم قال : تعالى (إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم) (العلق 1- 5)

وقوله : تعالى (وقل ربى زدنى علما) (طه 114)

ويقول : سبحانه وتعالى

(قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) (العنكبوت 20)

ويقول : المولى عزوجل (سنريهم آياتنـا فـى الآفـاق وفـى أنفسـهم حتـى يتبين لهم أنـه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد) (فصلت 53)

وغيرها من الآيات القرآنية العديدة والأحاديث النبوية الصحيحة التى تبين اهتمام الإسلام بالعلم والعلماء مثل قوله : تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) (الزمر 9)

وقوله : تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (فاطر 28)

وغيرها من الآيات العديدة التى تبين أهمية العلم والعلماء يقول : صلى الله عليه وسلم " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " رواه ابن ماجة

إذن الإسـلام مـن بدايتـه يحـض علـى طلـب العلـم ويـدعوا المسـلمين إلـى طلـب العلـم والقرآن الكريم به كثير من الحقائق التى لم تكن معروفة وقت نزولـه وعندما تقدمت العلوم اتضـح لنـا معناهـا فـى العصـر الحـديث والقـرآن الكـريم لا يوجـد فـى آياتـه مـا يتصادم مع الحقائق العلمية الصحيحة لذلك لم يكن غريبا أن يهتم المسلمون بالعلم فـى عصر إزدهار المسلمون وعندما انحرف المسلمون عن جادة الصواب وأهملوا دينهم تأخروا فى المجال العلمى وسبقهم غيرهم .

المسلمون أبدعوا فى جميع المجالات العلمية

المسلمون أبدعوا فى جميع المجالات العلمية : وللمسلمين اسهامات عظيمة فى المجال العلمى فقد أبدعوا فى جميع المجالات العلمية وقاموا بترجمة التراث اليونانى والفارسى والهندى وغيره وفهموا هذا التراث وهضموه وما كان منه صالحا استفادوا منه وتركوا ما عداه وجاءت ابداعات العلماء المسلمين فى شتى العلوم جديدة بعيدة عن تقليد من سيقوهم وابتدعوا علوما جديدة لم تعرفها البشرية قبلهم مثل علم الجبر الذى اخترعه الخوارزمى وعلم الإجتماع الذى اخترعه عبد الرحمن بن خلدون وعلوم أصول الفقه الذى اخترعه الإمام الشافعى ووضعوا الأساس العلمى لهذه العلزم وهو نفس الأساس الذى نسير عليه اليوم هذا غير اسهاماتهم الجديدة فى شتى العلوم الأخرى وكان للعلماء المسلمين مناهجهم العلمية فى التفكير والبحث والتجريب ولذلك جاءت ابداعاتهم المميزة عنوانا على ذلك فى العلوم المختلفة مثل الرياضيات والكيمياء والصيدلة والطب وعلوم النبات والحيوان وعلوم التاريخ والجغرافيا والفلك والإجتماع وغيرها من العلوم التى ساهمت فى تقدم المسيرة البشرية .

القراءة صانعة الأمم والحضارات

إذا ما أرادت أمة ما أن تمتلك زمام القيادة وتصبح فى موضع الريادة فعليها بالقراءة فهى ذات دور محورى فى صقل شخصية الإنسان ومنحه القدرة على إكتساب كل ما يحتاج إليه من مهارات ومعارف ومن ثم مواكبة التطور فى شتى مناحى الحياة فضلا عن معرفة دينية وعبادة ربه على الوجه الصحيح فالقراءة بحق هى صانعة الأمم والخضارات .

القراءة والحضارة سلاح الأمم المتقدمة

القراءة والحضارة سلاح الأمم المتقدمة : ما أحوج أمتنا إلى للقراءة ؟ القراءة منذ القدم سلاح الأمم المتقدمة فكل أمة أرادت النهوض كانت تشرع من حيث إنتهت الأمم التى سبقتها والقراءة بضاعة من أراد الرقى ومفتاح التاريخ والتطور .

القراءة المصدر الأول للمعرفة

إن القراءة تعد المصدر الأول للمعرفة والأهم للرقى بالعلوم والحضارات والمجتمعات فلا يمكن أن ننهض وتنهض أمتنا العربية بلا علوم وبلا معارف .

القراءة قوة

إن من يملك العلم والمعرفة يملك القوة والسيطرة فالحرب اليوم لم تعد تعتمد على السلاح فقط **بل** إن أغلبها حروب فكرية وحروب تعتمد على العقول المفكرة وعلى صناعة العقول والتغيير بها .

إن التغيير فى العقول المنتجة لا يكفيه المعرفة السطحية أو ما يدرس فى المدارس فقط بل يحتاج إلى الجهد الذاتى والإطلاع المستمر على أحدث ما توصل إليه البشر.

القراءة مقياس تقدم الأمم أو تأخرها

إن الحقيقة التى لا يمكن نكرانها أن القراءة مقياس تقدم الأمم أو تأخرها فإنتشار الأمية يعنى البقاء فى قاعدة الهرم وإن قلت الأمية إرتفعت الأمة إلى مركز أقرب من رأس الهرم **ومن** تكون هذه القمة هى تلك التى قضت تماما على الأمية وغدت القراءة ركنا أساسيا فى حياة أفرادها .

المعرفة منارة لا ينطفىء نورها

إن القراءة هى المصدر الأنقى للحصول على المعارف والخبرات حيوات أمم كاملة وعصور وعقود مضت تجارب سطرت وخلدت بين صفحات الكتب ليحفظها التاريخ بدوره لنا لنتعلم ونتطور من يقرأها ويطلع عليها لا بد وأن يضع قدمه على أول الطريق لبلوغ المكانة التى خلدت هذه الأمم وجعلتها منارة يتتبع ضوؤها من أراد أن يسير فى الطريق الصحيح ويصل لمكانة متميزة فالشعب القارىء المثقف هو شعب قائد متحرك لأنه يملك سلاح المعرفة .

العلم أمل الأمم والشعوب والمستقبل

العلم أمل الأمم والشعوب والمستقبل : لا شك أن العلم هو مستقبل الأمم والشعوب وأملها الوحيد فى تحقيق نهضة حقيقية تستطيع من خلالها توفير حياة أفضل لشعوبها.

الإهتمام بالعلم يعنى الإهتمام بالمستقبل

الإهتمام بالعلم يعنى الإهتمام بالمستقبل : فالإهتمام بالعلم يعنى لدى الشعوب المتحضرة الإهتمام بالمستقبل .

العلم : هو الحياة وهو الذى ينير الطريق ودون العلم سيعيش العالم فى ظلام فلا مستقبل لأمة أو شعب إلا بالعلم فهو الدافع الحقيقى للأمم نحو التقدم والبناء فالعلم نور وهو الطريق نحو مستقبل مشرق والبديل له التخلف والجهل والظلام والإرهاب .

التطور العلمى فى المنظور الإسلامى

إن الواقع العربى وبالرغم من حضوره الفكرى والثقافى فى جميع مناحى الحياة إلا أنه لا يزال يعيش مخاضة فى الإبداع وذلك لغياب شروط البيئة الخاصة أمام الزحف العلمى والحداثة التكنولوجية فمما شك فيه أن العلم بكل مفاصله لا يقوم إلا على منهج يبين هيئته وآلياته لتتساوق على عمق واتساع التحولات التى تتعرض لها حركة التطور العلمى فى العالم .

إشكالية علاقة العلم بالمستقبل فى

المنظور العربى

إن إشكالية علاقة العلم بالمستقبل فى المنظور العربى يكتنفها الكثير من معوقات مشروعات التحديث فى مفاصل المنظومة التعليمية والعلمية لذا فإنه لا يتأتى فهم وإدراك الحركة العلمية فى سياقها التنموى لها شاملا إلا إذا توطنت فى محيطها الموضوعى .

إن متطلبات العصر قد فرضت بعض الملامح والسمات الضرورية كبناء المستقبل وتأسيس علومه حتى ينصهر الإنسان فى بوتقته ليتم تشكيله أى الإنسان وفق رؤية المستقبل وللإقتراب من هذا المفهوم لا بد من توظيف الإمكانيات العلمية .

علم المستقبل وإنفتاح الهوية الفردية

إن أهم القضايا التى تعصف ذهن الإنسان العربى فى خضم التطور العلمى والنظرة المستقبلية التى تتصارع عليها القوى الكونية هو حضوره الفعال وتثبيت هويته العلمية وبصمته الخاصة به ذلك الإنفتاح العلمى يقع فى صلب التحولات فى مفهوم الهوية الفردية القائمة على الشعور الواعى بالفردية الذاتية وعلى الجهد اللاواعى فى تضامن الفرد مع الجماعة كما حددها عالم الإجتماع : أريكسون ذلك أن ما يفرزه المستقبل من جهود علمية لا تكون موجهة إلى قومية معينة أو دين معين ويبدوا واضحا سطوة التأثير العلمى على مفاصل العالم ما يجعل الفكر العربى يقف فى مواجهة فضاء التحديات الملىء بالتساؤلات فى زمن إنتفت فيه الحدود المعرفية

فالولوج فى فلسفة علم المستقبل وما ينتج عنه من إبتكارات تستهدف غور الكون لتحقيق الطموح البشرى سيحيل فى الوقت ذاته الهويات الفردية المختلفة إلى هوية معرفية بعيدة عن الإنتماءات القومية أو العرقية **إذ أن** الثقافة والمعرفة بدأت تنمو نحو العبور للإنتماءات وبما أن الزمن العربى ليسا واضحا فى التعامل مع التفاؤل والتشاؤم فى القادم من الزمن فإن الحاجة لتأسيس الوعى بالمستقبل أصبحت حاجة ملحة لتجنب الوقوع فى المفاجآت الكارثية وأن موضوع علاقة المستقبل بالإنسان والمجتمع أصبح محط إهتمام جميع العلوم الإنسانية والعلمية

الذاتية

إن الجماعة كالفرد لا تستطيع أن تبادر إلى عمل أو تقوم بإنجاز مشروع مهما كان نوعه أو حجمه دون أن تعرف نفسها وتحدد مكانها ودورها وشرعية وجودها كجماعة متميزة أى تعرف أيضا ما هى وما تريد أن تكون عليه وقبل أن تريد تحقيق شيء يجب أن تدرك من هى ومن تكون وقبل أن أغير وأطور وأنهض لا بد لى من أن أكون ذاتا أى صاحب إرادة على حد قول : غليون برهان فى كتابه إغتيال العقل من هنا يتضح لنا حجم المكابدة فى إكتناه نسق التفكير المعرفى وأنماطه وإنفتاح الهوية الذاتية على فضاء الإنسانية لتحقيق أحلام الإنسان العربى وطموحاته .

المستقبل ليس أمنيات

إن المستقبل ليس مجموعة من الأمنيات التى لم تتحقق بعد **إن** المستقبل حتمية يجب الإعداد لها للعبور بسلام إلى الضفة الأخرى والعلم يتجه كغيره من مجريات الحياة إلى مراحل أكثر تقدما وربما أكثر تعقيدا لكنه يتيح فى الوقت ذاته الحلول التى توفر الجهد على الإنسان وتضمن له حياة كريمة وإذا كان المستقبل مبهما فالماضى موثق وواضح فقد إمتلك العرب قديما علوما متطورة ساهمت فى تقدم المسيرة البشرية .

التنمية المستقبلية

صناعة التنمية المستقبلية

إن الأخلاق والعلم والإبداع تمثل أضلاع مثلث التنمية كإستيراتيجية لا بديل لها للتنمية المستدامة وتوسيع دائرة المعارف وتثقيف النفس تحدث من خلال الإلتحاق بالمؤسسات التعليمية المختلفة بما فى ذلك المدارس والجامعات والمؤسسات التدريبية والتثقيفية والندوات والحرص على جعل القراءة والمطالعة إحدى أهم العادات الروتينية الثقافية حيث ضمن ذلك زيادة الوعى والمعرفة وتنمية القدرات والمهارات العقلية والذهنية وتهذيب السلوك العام .

صناعة مستقبل الأمة تقع مسئوليته على أفرادها

تقع مسئولية صناعة المستقبل على عاتق العنصر البشرى وتعنى بذل الجهود الشخصية للنهوض بالذات الإنسانية وصناعة مستقبل أفراد الأمة والإنطلاق نحو

تشكيل المستقبل المشرق للأمة وقد تشير كلمة المستقبل إلى الخوف والقلق والتساؤل وذلك لأن الإنسان لا يعرف الغيب فالمستقبل يثير التساؤل عن شىء غير معروف أى العمل من أجل الزمن القادم لذلك تتداخل فى دراسته حركة التاريخ والمجتمع وتتشابك فى إطارها معادلات الماضى والحاضر والمستقبل على أساس أن البدايات تلد النهايات وما بين البدايات والنهايات وجود متحرك قيمته بتكويناته وعلومه وإبداعاته وبذلك فإن الماضى يشير إلى الزمن الذى انقضى فلم يعد له وجود .

أما الحاضر : زمن يتحقق وهو فى طريقه إلى الإنتهاء والإنقضاء بينما المستقبل زمن لم يتحقق بعد وما زال يفتقر إلى الوجود .

بناء المستقبل

إن الحاجة لبناء المستقبل الذى يكون أفضل من الماضى وأفضل من الحاضر هو حاجة ضرورية لأن الإنسان يتطلع دوما وأبدا إلى التنمية المستقبلية واستدامة الرخاء الأمر الذى دفع الإنسان إلى إستقراء المستقبل وصناعته وفق ما يريد ولا يحدث العكس أى المستقبل هو الذى يصنع الإنسان لأن الإنسان كائن فريد من نوعه يملك خصائص لا تكتلكها الكائنات الأخرى وبذلك وظفت العلوم الطبيعية والفلسفية لخدمة الأغراض التنموية وراحة الإنسان .

علوم الخطط المستقبلية

تنقسم علوم الخطط المستقبلية إلى التالى : -

1- المستقبل المباشر ويمتد من عام إلى عامين من اللحظة الراهنة .
2- المستقبل القريب ويمتد من عام إلى خمسة أعوام من اللحظة الراهنة .
3- المستقبل المتوسط ويمتد من خمسة أعوام إلى عشرين عاما من اللحظة الراهنة .
4- المستقبل البعيد ويمتد من عشرين عاما من الآن إلى خمسين عاما .
5- المستقبل غير المنظور ويمتد من الآن إلى ما بعد الخمسين عاما وأكثر .

سمات التنمية المستقبلية

سمات التنمية المستقبلية عموما نوجزها فى التالى : -

- يعتمد علم المستقبل بصورة أساسية على العقل والعلم والإبداع مقترنا بالخيال والعاطفة والحدس ومعنى ذلك أن الأرض الأساسية للتفكير المستقبلى هى أرض الوقائع والمعلومات والمعطيات لا أرض الأوهام والتخيلات .
- وعى المشتغلين فى هذا العلم وعيا تاما بأهمية الزمن . فهم يدركون أن لمشكلات اليوم جذورا فى الماضى وأن تلك المشكلات لا تنشأ بين يزم وليلة وإنما تتكون تدريجيا وبالتدحرج وبصورة لا يلحظها غالبا الإنسان العادى
- إن المستقبل زمن لم يحدث بعد ولكنه حادث لا ريب . وإنه لا تتوفر بشأن طبيعته إلا معلومات ناقصة ولا يمكن لهذه المعلومات إلا أن تكون كذلك
- إن الإنسان هو الكائن الوحيد الذى يستطيع ممارسة التأثير فى تكوينه أو تشكيله .
- إن المستقبل لا يقترن بصورة واحدة وإنما بصور متعددة .
- العمل الجاد والفعال وتحسينه المستمروالإجتهاد فى التحليل . للمعلومات والإستقصاء ومتابعة كل جديد فى ثورة الإتصالات والمعلومات والتحلى بالأخلاق والقيم والفضيلة والسلوك الحسن هى من الأدوات والطرق الناجحة والإبداعية للتنمية المستقبلية .

أمتنا العربية والمستقبل

يحمل العلم اليوم وفى المستقبل مفاجآت كثيرة يكسر من خلالها كل التوقعات ليتخطى حاجز المعقول فى معادلة تجعل المتخيل واقعا والخيال حقيقة ومع كل تقدم وتطور وفى مجالات مختلفة ومتنوعة نصاب بالدهشة وفى العلاقة بين العلم والعالم ربما يصح أن القول إن من يملك العلم يصنع المستقبل ربما يزال أما العرب فسحة لبناء مساحات صغيرة من الأمل فى علوم المستقبل وهذا ممكن عبر الإستثمار برأسمال مادى وبشرى يتمثل فى إستيعاب العقول المهاجرة وتطوير مناهج التعليم ليكون المختبر والبحث مكونان رئيسيان فى العملية التربوية وإخراج التخصصات

الأكاديمية العلمية من المحفوظات النظرية إلى التطبيقات والعمل الميدانى والدفع بالطلبة نحو الإبتكار وتشجيع الإختراعات وتبنى كل هذا التوجه .

المستقبل يبدأ الآن لمن يريد

المستقبل يبدأ الآن لمن يريد : أفضل الطرق لإستشراف المستقبل هو أن تخترعه بنفسك هكذا تفكر الدول المتقدمة ومراكز الأبحاث الدولية وشعارها أى شىء غير مستحيل هو ممكن إن لم يكن اليوم فبمزيد من البحث العلمى سيغدو كذلك .

أين موقع أمتنا العربية الآن

ما هو موقع العرب من هذا التطور العلمى العالمى ؟

وما دورهم فى صنع المستقبل ؟

هناك نقاط مضيئة فبعض الجامعات تتقدم فى طريق البحث العلمى إلا أنه على العموم ليست لدينا حتى الآن منظومة علمية متكافئة وقاعدة صناعية علمية وما ينفق على البحوث العلمية والتطوير أدنى بكثير من معدلات الإنفاق العالمية والدولية فى هذا المجال منسوبا إلى الناتج القومى الإجمالى وعلى الرغم من أن هناك الكثير من العلماء العرب فى المؤسسات البحثية الغربية فإن البيئة العربية ما زالت طاردة للعلماء وعاجزة عن إستيعابهم ولا توجد جامعات بحثية متخصصة تقوم بتوظيف أساليب البحث العلمى فى حل المشكلات بشكل مكثف ومؤسسى رغم أن هناك محاولات لتوطين التكنولوجيا عربيا إلا أن سوء التخطيط وفشل التنمية الإقتصادية والإجتماعية والفشل الذريع فى التربية والعلوم جعلنا نعتمد على المؤسسات البحثية الغربية فى حل مشكلاتنا ودراستها ولا يزال شعار اصنع مستقبلك بنفسك قبل أن يصنعه الآخرون حبرا على ورق فى كثير من الحالات .

فصل

الدين نزعة فطرية أصيلة فى نفس الإنسان

الدين نزعة فطرية أصيلة فى نفس الإنسان : يعد الدين نزعة فطرية أصيلة فى نفس الإنسان وليست هناك أمة فى التاريخ عاشت ثم مضت دون أن يكون لها تصوربشكل من الأشكال عن الدين والألوهية والمصير وإذا كان الدين يلبى حاجات الإنسان الروحية فإن ذلك يعنى أنه جاء لمصلحة الإنسان وإذا تأملنا تشريعات الإسلام كلها بما فيها العبادات نجد أنها جميعا تنطلق من منطلق واحد هو مصلحة الإنسان وسعادته فى الدنيا والآخرة ومن هنا وجدنا القرآن الكريم يركز على موضوع أساسى هو الإنسان فكل ما فى القرآن إما حديث إلى الإنسان أو حديث عن الإنسان أو فى أمر يتصل بالإنسان بشكل أو بآخر فالإنسان إذن هو قضية القضايا فى الدين وهو محور هذا الكون وهو سيد فى هذا الكون والذى أعطى له هذه المكانة الفريدة هو الله الذى جعله خليفة فى الأرض وأسند إليه مهمة تعمير الكون وصنع الحضارة فيه فالدين إذن يدفع الإنسان دفعا إلى طلب العلم الذى هو فريضة إسلامية إيمانا منه بأن ذلك الطريق سيوصل فى النهاية إلى خالق الكون أى إلى الإيمان بالله إن الإسلام فى تعاليمه يدفع الإنسان دفعا إلى صنع الحضارة وضمان إستمرارها ليس فقط بتأكيده على العلم وأهميته البالغة فى صنع الحضارة وإنما أيضا بتأكيده على ضرورة دراسة الحضارات السابقة والإستفادة من الدروس والعبر وهناك آيات كثيرة فى القرآن الكريم تحثنا على معرفة أسباب إنهيار الحضارات السابقة ومواطن الخلل فيها حتى نتجنبه ونتفادى حدوثه مرة أخرى .

حاجة الإنسان إلى الدين

ما تحدث به الإمام الأكبر الشيخ : محمود شلتوت رحمه الله تعالى

يقول : يقف الإنسان فى هذه الحياة بمقتضى الخلق والتكوين لحكمة سامية دبرها الخالق المكون على حسب ما يعلم من طبائع خلقه وعباده وما وضع فى الكون من سنن بين قوتين تدفعه إحداهما إلى الشر بما ركب فيه من شهوة وغضب وقد يتشيتط فى سبيل ذلك حتى يستبيح إنتهاك الأعراض وسفك الدماء وسلب الحقوق وتدفعه الأخرى بما ركب فيه من عقل يعرف به الهدى من الضلال والرشد من الغى إلى الخير فتدعوه إلى العدل والمساواة والعطف والرحمة والأخذ بيد الضعيف وإعاثة الملهوف وتوجيه المجتمع بقدر ما يستطيع إلى وسائل الخير والفلاح .

الإنسان يقف بين قوتين مختلفتين

يقف الإنسان بين هاتين القوتين ولكنه ببريق الدنيا وزخارفها وشهواتها ومغرياتها يميل إلى جانب الشر (إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى) (يوسف 53)

(والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (العصر 1-3)

(إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) (المعارج 19- 23)

وعلى هذا لو ترك الإنسان ونفسه تتجاذبه القوتان لما استطاع أن يحقق التوازن بينهما ولغلب شره خيره وفساده صلاحه وتنعكس عندئذ حكمة خلقه وجعله خليفة فى الأرض وبذلك تصدق فيه نبوءة الملأ الأعلى حينما قال : تعالى الله لهم

(إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) (البقرة 30)

مدد الخير فى الإنسان

إذن لكى تتحقق الحكمة الإلهية فى خلق الإنسان ويتبين المصداق الحق لقوله : تعالى (إنى أعلم ما لا تعلمون) (البقرة 30)

لا بد لقوة الخير فى الإنسان من مدد يعينها ويقويها على سد منافذ الشر والطغيان وعلى استخدام قوتى الشهوة والغضب فيما يحفظ له نوعه وكيانه ولكن ما الذى يمكن

أن يفترض مدد لقوة الخير حتى يسلم من قوة الشر نفترض الفكرة العقلية التى يضع الإنسان مقاييسها ويحدد بها موازين الخير والشر والفضيلة والرذيلة ويتخذ منها دستور الحياة يسير على مقتضاه أو يحمله مجتمعه على الخضوع له والإستظلال بظله وهو الفرض التى تسير عليه اليوم أمم الحضارة ويتحكم به الفلاسفة والمفكرون وأرباب القوة والمال فى تنظيم الحياة وفى رقاب العالم أوقعت الشعوب فى الحيرة والإضطراب رأينا شيوعية ورأسمالية وديمقراطية وديكتاتورية إلى غير ذلك من أنواع الحق البرق ذى الألوان الخاطفة وكلها يلبس الحق بالباطل ويحاول أن يغتصب ما إستطاع أن يغتصب .

ثانيا : ولأن العقول عرضة لأن تطغى عليها فى تفكيرها وتقديرها . للشهوات والأهواء والتأثر بالشخصيات والعنصريات والإقليميات وسائر الأغراض الكامنة فى النفس التى لا يستطيع أن ينتزعها ويطهر النفس منها علم ولا فلسفة وكم رأينا من قوانين وضعف على أساس الفكرة العقلية وقيل إنها وضعت لحفظ السلام ولصيانة حقوق الإنسان ولكنها لم تلبث أن تبين أن باعثها فى الواقع لم يكن سوى تحقيق رغبة شخصية أو نزعة عنصرية أو أهداف عصبية غير أنها ألبست تغريرا بالناس وخداعا لهم ثوب المصلحة العامة **.**

ثالثا : ولأن العقول محدودة الإدراك ليس فى إستطاعتها أن تكتنه كل مقتضيات الغد وحوادث المستقبل على حسب ما دبر العليم الخبير فى خلقه وكم رأينا من قوانين تسن وتقام لسنها الحفلات ثم تلبث أن يظهر ضعفها ويتجلى قصورها فيسن غيرها ثم لا تلبث هذه أيضا حتى تصاب بما أصيبت به سابقتها وهكذا دواليك وبذلك تظل الأمة حائرة بين تقنين وتقنين وتبديل وتبديل وتلك رجات تعوق دون شك عن السير فى طريق التقدم والكمال .

رابعا : ولأن العقول إن اتفقت على ما وضعت وآمنت به حقا وكان بمحض إرادة الخير للإنسانية غير متأثرة بنوازع خاصة فإنه لا يمس إلا قلوب أصحابها التى نبع منها **.**

أما الأمة : التى تقاد إليه وتحمل عليه فإنه لا ينبع من قلبها إحترامه ولا تخشاه إلا حينما تخشى الوقوع تحت طائلته .

أما : حينما يأنسون من أعين القانون لا تراهم وأن يد القائم عليه لا تمتد إليهم فإنهم لا يجدون فى قلوبهم من الإحترام والتقديس ما يمنعهم من المخالفة وبذلك كانت القوانين الصادرة عن الفكرة الإنسانية فى نظر الناس ليست إلا مانعة من الظهور بالمخالفة وليست مانعة من المخالفة ذاتها ولا من التفكير فيها والتصميم عليها والتدبير لها وكم رأينا من مخالفات ترتكب وتفوض بها الفضيلة وتزهق بها الأرواح وتستلب الأموال فى ظلال تحين الفرص لغفلة القانون .

الإعتماد على الفكرة العقلية يرمى بالعالم إلى الخراب والدمار

الإعتماد على الفكرة العقلية يرمى بالعالم إلى الخراب والدمار : من ذلك كله يتضح أن الإعتماد فى تنظيم العالم والسير بالحياة على الفكرة الإنسانية إعتماد على شفا جرف هار إعتماد يؤدى بالعالم إلى الخراب والدمار وإذن فلا بد تلمس مدد آخر يملك على الإنسان بمصدره باطنه وظاهره وخلوته قبل جلوته .

الضمير الدينى

الضمير الدينى : وليس من ذلك سوى الضمير الدينى الذى يربط الإنسان بالرقيب الذى لا ينام وبالعالم الذى لا يجهل وبالقوى الذى تؤمن الفطرة بقوته والذى يتلقى الإنسان به نظم حياته عن ذلك الرقيب العالم القوى القاهر فتأخذ من نفسه ما يأخذ منها مصدرها ويمنحها نفس الإحترام الذى يمنحه لمصدرها ويتوخى فى جميع أفعاله ما يرضى ذلك المصدر القوى القاهر فيكون خيرا كله فلا يمارى لا يخادع ولا يغش ولا يخون ولا يقصر فى حق ولا يتقاعس عن واجب فيسلم فى الحياة وتسلم له الحياة.

الضمير الإنسانى أساس الخير والصلاح

الضمير الإنسانى أساس الخير والصلاح : هذا هو المدد الذى علم الله سبحانه أن عباده لا ينتفعون بمدد سواه وهو المدد الذى طواه قوله : تعالى للملأ الأعلى منذ التدبير فى خلق الإنسان وجعله خليفة فى الأرض

(إنى أعلم ما لا تعلمون) (البقرة 30)

قد وضعه الله أساسا لحياة الإنسان منذ خلقه وعلق به عمارة الدنيا

(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . (البقرة 37- 38)

المدد هو الهداية السماوية : (فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) . (طه 123 – 124)

هذا المدد هو الهداية السماوية التى تعهد الله بها لعباده وآمنت به الأرواح الصافية المؤمنة بمهمة الإنسان فى هذه الحياة

الفكرة الإنسانية فى نظر إبراهيم وولده اسماعيل عليهم السلام

آمن به جد العروبة الأعلى إبراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام فكان مما طلب من ربهما اسعاد ذريتهما (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم ءايتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) (البقرة 129)

طلبا منه ذلك وهما يعلمان أن ذريتهما لا تخلو عن تفكير عقلى يستطيعون أن يتخذوا منه قانون حياتهم وتنظيم شئونهم لعلمهما أن الفكرة الإنسانية مهما سمت ومهما تجرد أصحابها عن الأغراض والشهوات فهى بمكان من الضعف والهزال لا تستطيع معه أن تنهض بالعالم دون أن تتصل فى تنظيمها بعالم السر والنجوى وعلى هذا الأساس تعهدت العناية الإلهية الإنسان فى جميع أطواره ترشده إلى وسائل الإصلاح التى يحتملها إستعداده فأرسلت الرسل وأنزلت الكتب وسارت على هذا السبيل حتى وصل الإنسان إلى درجة من الإستعداد لرسالة عامة خالدة تضمن بنصوصها وإشاراتها وعللها جميع ما يحتاج إليه الإنسان فيما يتقلب فيه ويجد فى الحياة وبهذه الرسالة بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل القرآن وبه أكمل هدايته وأتم على عباده نعمته وكان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين وكان القرآن آخر الصحف

والكتب وفيما بين دفتى المصحف وفى بيان خاتم الرسل يجد الناس إن أخلصوا لأنفسهم وعرفوا قيمة حياتهم سبل السعادة الحقة واضحة جلية

(إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) (الإسراء 9)

الدين بين الحقيقة والخيال

من هذا يتبين أن الدين للإنسان من الشئون الضرورية التى لا حياة له إلا بها

ولكن ما هو الدين الذى له هذا الأثر فى حياة الإنسان ؟

إن الدين يتردد عند الناس وفى أذهانهم بين الحقيقة الماثلة فى الرسالات الإلهية وبين الخيال الذى ينسج به الإنسان حقيقة رداء الدين الذى تدعوا فطرته إليه فقد علم من تاريخ البشرية أن الإنسان يتأثر فى كثير من الفترات بموجات من الأعاصير الفكرية تزجيها ثم تسددها نحوه بيئة أو شهوة أو عصبية فينحرف بها عن إدراك الحقائق على وجهها الصحيح وبذلك تحدث هوة بين الحقيقة فى واقها وبين ما تصورت به فى الأذهان وبقدر هذه الهوة يبعد الإنسان عن معرفة الحقيقة وعن الإيمان بها ويحال بينه وبين الإنتفاع بثمراتها الطيبة وفى ظل الإنحراف تظل الحقيقة مظلومة بسوء تصور الإنسان وهجره إياها وإعراضه عنها ويظل بالتالى واضعها مظلوما متهما بإرادة القهر والإعنات لمن وضع لهم تلك الحقيقة وطلب منهم أن يعتنقوها ويسوسوا بها أنفسهم ومجتمعاتهم وليس لكل ذلك من أثر سوى حرمان الناس من هداية تلك الحقيقة وإحاطة الظلمات المتلاحقة بهم لا يهتدون منها إلى الخير سبيلا

(وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (النحل 33)

الدين فى تصوره المنحرف

إن أبرز ما أصيب بهذه الظاهرة ظاهرة الإنحراف فى التصور كلمة الدين فقد إقترنت فى عهود طغت فيها الشهوات والأهواء وجمدت فيها العقول عند كثير من الناس إقترنت بصورة جافة رهيبة لا تسنح بعلم ولا تفكير ولا تسمح بلين ولا رحمة ولا تسمح بتمتع ولا تبسط إقترنت بصورة كونها مزيجا من القسوة والشدة والإنطواء

على النفس والإستسلام لطوارىء الطبيعة والجمود على المألوف والحرمان للذائذ الحياة ومتعها والإنقطاع عن الدنيا وقهر النفس على ما تكره ويشق وكان ذلك اليصور لمعنى الدين سبيلا إلى أن زعم بعض الناس أن الدين بلوازمه هذه وتعاليمه تلك لا يصلح للدنيا ولا يسير إلى جانبها بل لا يصح أن يقترب منها أو يتحكم فيها أو يتخذ أساسا لها وأنه لذلك يجب تنحيه وعزله عن محيط الجماعة الإنسانية وأن تخلص الجماعة فى دنياها بحرياتها عرى كما تريد خلاعة كما تريد إفتيات على الحقوق والواجبات كما تريد تقرر لنفسها ما شاءت وتشرع لنفسها ما أرادت غير مقيدة بدين ولا مكترثة بوحى وأن الدين والوحى عندها للسماء لا يصح للأرض

وبهذا التصور الفاسد والحكم المجحف صار أساس الحكم عند الناس مجرد التقدير الإنسانى ونزعة الهوى والشهوة وعن هذا الطريق تعرض العالم للإضطراب والفوضى وتردى هاوية من الشر وسوء الأخلاق والإنحلال فغشيته ظلمات وعبثت به مظالم فى كل أرجائه ونواحيه فاضطرب جل الحياة بالناس وصاروا على شفا جرف هار أو على شفا حفرة من النار ومصداق ذلك قوله : تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك ءايتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) (طه 124- 127) .

حقيقة الدين جلية واضحة

حقيقة الدين جلية واضحة : وكان جديرا بهؤلاء الذين إنحرفت بهم السبل فتصوروا الدين هذا التصور الفاسد وبشعوه عند الناس أن يكبحوا جماح شهوتهم وأن يفكروا بطبيعتهم البريئة فى أمرين هما من الجلاء والوضوح بمكان النظر فيهما سفير صادق فى التعبير الحق عن الدين وحقيقته تلك التى تدفع الإنسان إلى الكمال والتقدم دفعا لا تعرف فى ذلك عنتا ولا مشقة ولا جمودا ولا بطئا كان جديرا بهم أن ينظروا أولا إلى أن الذى خلق هذا الكون وسخر للإنسان كل ما فيه من جمادات ونبات وحيوان وأسرار ظاهرة وباطنة فيه يفكر ويعمل وبه ينفع وينتفع وله ينظم ويعمر هو

نفسه الذى وضع الدين وإرتضاه للإنسان وحثه فى كتابه على النظر والتفكير فيه والعمل على إدراك ما يستطيع أن يدركه من أسراره فيكمل النحو الذى يغرى بنفسه إلى التفكير فيه ثم يمنع الإنسان بالدين أن يعلم ويعمل ويدبر وينتفع محال أن يتناقض الحكيم مع نفسه محال أن يخلق الكون ويخلق الإنسان ويمنحه العقل ويجعله سيدا لما خلق ثم يمنعه من لذة أن يعلم ولذة أن يتحرك ولذة أن ينظم ولذة أن يكمل أو يكتمل ومن هنا لم يكن للدين وهو هداية الله لعباده من أين ويوجههم إلى النظر فى هذا الكون وفعلا قد حث القرآن الكريم وهو آخر صورة أكملها الله للدين الإلهى على التفكير وإستعمال العقل والرفق بالنفس والناس والجد فى العمل وإستفادة العلم وما إلى ذلك مما تقتضيه طبيعة الإنسان وطبيعة الكون الذى سخر للإنسان .

يسر الدين وسماحته

كان جديرا بهم أن ينظروا ثانيا فى تعاليم الدين من مصادره الحقة ليروا فيه حقيقة ما يكبل الإنسان ويرهقه ويحرمه التمتع الإنسانى الشريف ؟ أم أن كل تعاليمه تلبية لطبيعة الإنسان على وجه معتدل لا إفراط ولا تفريط ؟

(قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) . (الأعراف 32)

كان جديرا بهم أن يعرفوا الأساس العام الذى بنيت عليه التشريعات الدينية وأن يقرءوا قول : الله تعالى

(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) (البقرة 186)

وقوله : تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (البقرة 185)

وقوله : تعالى (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) (الحج 78)

وأن يسمعوا قول : النبى الكريم صلى الله عليه وسلم " إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا " وقوله : صلى الله عليه وسلم" بشروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا " . كان جديرا بهم أن ينظروا إلى تشريعاته الجزئية فيعرفوا كيف يسرها على الناس حتى فى العقيدة فاكتفى منهم بما يدل على إعتقاد الوحدانية ولو بإشارة السبابة إلى السماء ولم يكلفهم فيها إلا بما تشهد مع فطرتهم دون تعقيد أو

إلتواء وفى العبادة إكتفى منهم فى طهارة الصلاة بالتيمم إذا خافوا إستعمال الماء فى الصلاة إكتفى منهم بالإيماء إذا شق عليهم القيام والقعود وأباح لهم فى الصوم أن يفطروا إذا كانوا مرضى أو على سفر أو كان الصيام يوقعهم فى مشقة لا يحتملونها بل أباح لهم المحظورات عند الضرورات وبذلك لا نجد ناحية من التشريعات الجزئية إلا دخلها اليسر ولا معاملة إلا أمر فيها باليسر مع الإحتفاظ بوسائل العزة والكرامة والتقدم من القوة والعلم والمال .

هدف الدين

إن القصد من الدين ليس إلا تزكية النفس وتطهير القلب وظهور روح الإمتثال والطاعة وإستشعار عظمة الله وإقرار الخير والصلاح فى الأرض على أساس قوى كتين من ربط الإنسان بخالقه الذى يعلم سره ونجواه **نرى** كل ذلك فى تشريعات الدين ونرى بعد ذلك أنه أطلق للعقل حريته فلم يلزم الناس بتشريعاته الجزئية فى كل شىء بل ترك لهم كثيرا من الشئون يشرعون فيها بما يرونه محققا للمصلحة تبعا لما يجود به الزمن ولم يكلفهم فيها سوى الشورى وتبادل الرأى ليقع فى دائرة العدل والرحمة والإحسان والمساواة وفى ذلك يقول : النبى صلى الله عليه وسلم " إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها " .أى لا تنتظروا حكمها من الله فقد فوض الحكم فيها إليكم تبعا لما ترونه من الخير والمصلحة

(والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء لأعنتكم إن الله عزيز حكيم) (البقرة 220) .

مطالب الإيمان

المؤمنون بحكم دينهم مطالبون فى كل وقت ومكان بحفظ عقائدهم من الشكوك والشبه ويزكية نفوسهم من الشهوات والأهواء ومطالبون ببذل الجهود الصادقة فى الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مطالبون بالمحافظة على حدود الله فيما بينهم وبالعمل على خير الأمة وإسعادها وأخيرا مطالبون ببذل الأموال والجود

بالنفس فى سبيل أمن الجماعة وإستقرارها وفى سبيل رفع المظالم والقضاء على الفتن وفى سبيل إعلاء كلمة الله وحرية الناس فى الدين والوطن

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) (البقرة 193)

محن الحياة وشدائدها

المؤمنون مع هذا كسائر الناس عرضة بمقتضى سنة الله فى خلقه لكثير من المحن الكونية من موت بعد الحياة ومرض بعد الصحة وفقر بعد الغنى وذلة بعد العزة لأنفسهم وعشيرتهم ومواطنيهم والإنسان أمام كل هذه التكاليف وتلك المحن إذا ترك وما طبع عليه من تنازع الرغبات فى نفسه وما أودع فيها من إيثار الراحة واللذة العاجلة ولم يشد أزره بإرشاد إلهى يؤمن به ويثق بعدله ويطمئن إليه ناء كاهله بعبء الحياة وخارت قوته وذاب إحتماله وفقد إستعداده ولا يكون بعد ذلك هو الإنسان الذى أختير للخلافة فى الأرض وحمل الأمانة التى أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها لهذا كله شد الله أزر عباده المؤمنين وقوى فيهم روح العمل وأرشدهم أن يستعينوا على تكاليفهم الدينية وواجباتهم الإجتماعية ومحنهم الكونية بأمرين لهما خطرهما فى قوتهم وإحتمالهم بهما يستعذبون مشاق التكاليف فى سبيل اللذة التى لا يشوبها كدر والسعادة التى لا يعقبها شقاء وبها تهون لديهم مصائب الدنيا وتذل أمامهم الصعاب ولا تقف بهم دون خير أو فضيلة فوجه الخطاب إليهم فى ذلك الإرشاد بنداء التكريم وبالوصف المحبوب عند الله الذى يرفعهم عمن سواهم ويبعث فى نفوسهم دوافع الإمتثال والمسارعة .

(يا أيها ءامنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إن لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) (البقرة 153- 157)

الصبر

الصبر : هو الثبات فى القيام بالواجب وبذل المجهود فى مقاومة الصعاب دون يأس وليس الصبر مجرد الإستسلام والخنوع أمام الحوادث وترقب ما يسوقه القدر المجهول **فإن** ذلك عجز وصغار لا يرضى الله لعباده المؤمنين وقد حذر الله المؤمنين من اليأس وأرشدهم إلى أنه من خلال الكافرين (ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يايئس من روح الله إلا القوم الكافرون) (يوسف 87)

وقرن الصبر بالعمل فى مواضع كثيرة

(ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (النحل 96)

(نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) (العنكبوت 58- 59)

ولقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ...

أن يبشر الصابرين على إحتمال هذه المكاره والإطمئنان إلى قضاء الله فيها هكذا (وبشر الصابرين) دون أن يذكر نوع المبشر به إعلانا بعظمة البشرى وعمومها لكل ما يسعد الإنسان فى دنياه وأخراه وقبل أن يرسم لهم خطوط البشرى الإلهية العظيمة ويبين منابعها الكلية يمهد لها البيان السر فى إستحقاق الصابرين لهذه البشرى وهو فى الوقت نفسه يكون علامة يعرف بها الصدق (الذين إذا أصابتهم مصيبة) عظمت أو صغرت حتى الشوكة يشاكونها أو السراج يطفأ عليهم لم يفكروا فى المصيبة وآثارها فيهم وإنما يعبرون بلسان صادق عما تكنه قلوبهم من قوة العقيدة فى الله ويقولون (إنا لله) هو خالقنا ومالكنا ويدبر فينا أمره كما يشاء (وإنا إليه راجعون) ينتصف لنا بما يشاء ويمتحنا بما يشاء ويختبرنا بما يشاء فنحن منه وإليه وفى يده (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) . (البقرة 157)

الصلاة

أما الصلاة : التى أمر بالإستعانة بها مع الصبر فهى التى قال : الله تعالى فيها

(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (العنكبوت 45)

صلاة الخشوع والتذكر والمراقبة وهى فى حقيقتها رحلات إلهية أوجب الله منها على عباده خمس رحلات فى اليوم والليلة وجعلها فيما وراء ذلك خيرا موضوعا يقوم به

العبد كلما أراد يخلص فيها من دنياه ويفرغ فيها لربه بالتكبير والمناجاة وطلب المعونة والهداية ويلقى فيها بنفسه فى كفالة الربوبية الرحيمة يتمثل بها عظمة يصغر أمامها كل عظيم فى هذه الحياة وقد كان من سنة النبى صلى الله عليه وسلم الفراغ إلى الصلاة كلما أحزبه أمر وكان يقول : صلى الله عليه وسلم " جعلت قرة عينى فى الصلاة " . ومن هنا كانت الصلاة أحد أركان الإسلام الخمسة وكانت أقدم عبادة عرفت مع الإيمان

(وإذ أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة) . (البقرة 83)

فالصلاة وهى شأن عظيم يبعث على مراقبة الله تعالى واستحضار عظمته مما يجعل الإنسان فى حذر دائم من مخالفته فى أحكامه أو التقصير فى حدوده وشرعه وبذلك يكمل للروح تهذيبها وللنفس صلاحها وللعقل إدراكه وللمجتمع إرتقاؤه وعلى هذه السنة جاء الأمر بالمحافظة على الصلوات وبالقيام فيها لله مع القنوط والخشوع وكمال التوجه والتفرغ له (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) (البقرة 283)

أثر الصبر والصلاة فى تهذيب االنفوس : وقد صرح القرآن الكريم بما للصبر والصلاة من أثر كبير فى تهذيب النفوس وتطهيرها من خلق اليأس والهلع عند المصيبة ومن خلق الطغيان والبطر عند النعمة فهو يقول فى الصبر

(ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) (هود 9-11)

ويقول فى الصلاة (إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) (المعارج 19- 23)

فالصبر والصلاة من أقوى عدد المؤمن فى هذه الحياة الدنيا بهما تحقق الرغائب وتدفع النوائب وبهما يكون المؤمن ملحوظا من الله بعين الرعاية والتوفيق ويكون منه سبحانه فى معية النصرة والمعونة والحفظ (إن الله مع الصابرين) (البقرة 153)
وحسب المؤمن من سعادته أن الله معه .

أما بعد : فهذا هو الدين فى حقيقته النقية المصفاة وهذا هو أثره المبارك فى تهذيب النفس وإسعاد الإنسان وتوجيه الحياة وجهة الحق والخير إنه ضرورة من الضروريات الإنسانية الراشدة لا تغنى عنه فكرة عقلية ولا تنظيم وضعى والإنسان فى عصرنا هذا أشد ما يكون حاجة إلى الدين فإن التقدم العلمى المادى الذى غزا الفضاء لم يستطع أن يحقق للناس السعادة والطمأنينة التى ينشدون بل زادهم كلبا على المادة وتنافسا جشعا جر إلى حروب كونية مدمرة وينذر بأخرى لا يعلم نتيجتها إلا الله لا خلاص للإنسانية إلا بالرجوع إلى الدين الحق ولن نجد هذا الدين كما أنزله الله واضحا ميسرا خاليا من الغموض والتعقيد سليما من التحريف والتبديل إلا فى الإسلام خاتم الرسالات الإلهية فهو دين الروح والمادة والقلب والعقل والفرد والجماعة والدنيا والآخرة فإلى هذا الإسلام فى عقيدته وشريعته فى عباداته ومعاملاته فة نظمه وأخلاقه تدعوا البشرية كلها (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا فأما الذين ءامنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما) (النساء 174- 175)

دور القضاء والقدر فى حياة الإنسان

لا تعلل بالقضاء والقدر

ما تحدث به فضيلة الإمام الأكبر إمام الجامع الأزهر فضيلة الشيخ : محمود شلتوت

السؤال إذا كان الإنسان مسئولا أمام الله عن فعله للخير وفعله للشر فبماذا يمكن تبرير دور القضاء والقدر فى حياة الإنسان ؟

الجواب : يقرر الإسلام أن الله خلق الإنسان مستعدا لأن يسعد نفسه بالخير أو يشقيها بالشروالخير هو ما ينفعه وينفع جماعته فى الدنيا ويرضى الله عنه فى الآخرة والشر هو ما يؤذيه فى حياته ويغضب الله عليه فى آخرته (وهديناه النجدين) (البلد 10)

(إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) (الإنسان 3)

والإنسان بذلك كان صالحا بعقله وعمله ومسلكه فى الحياة لدرجت القرب من الله ولدرجات البعد عنه وما كانت هداية الوحى إلا لتقوية لجانب الخير فيه وللأخذ بيده من نزعات الطغيان والهوى إلى ما قدر له من كمال فى دنياه وأخراه والإسلام حينما يضع الإنسان فى تلك المنزلة لا ينظر إلى ما بين أفراده من فوارق شخصية من ذكر وأنوثة وسواد وبياض فالذكر والأنثى والأسود والأبيض فى الوضع الإسلامى بالنسبة إلى الخالق وبالنسبة إلى الكون سواء فالكل عباد مطالبون بالعقيدة وما أنزل الله من شرع وأكرمهم عند الله أتقاهم وكلهم أناس ينظرون ويفكرون ويعملون لا حجر لأحد فى أن ينظر ويعمل ولا حجر على أحد فى أن ينتفع وأسعدهم فى الدنيا العاملون المخلصون المؤمنون

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (النحل 97)

حرية الإنسان وإختياره

حرية الإنسان وإختياره : هذا هو وضع الإنسان فى نظر الإسلام وهو وضع يدل دلالة واضحة على أن الإسلام يرى ذو حرية وإختيار فى حياته فهو يفعل الخير مختارا فيثاب ويفعل الشر مختارا فيعاقب وبتلك الحرية وهذا الإختيار كلفه الله وأرسل الرسل تهديه وترشده ثم تركه وما يختار لنفسه من مسلك الخير أو الشر لا

يدفعه بقوة خارجة عن نفسه إلى خير أو شر ولو شاء ذلك لخلقه بطبيعة الخير فلا يعرف شرا أو بطبيعة الشر فلا يعرف خيرا وعندئذ لا يكون هو الإنسان الذى جعله خليفة فى الأرض وكلفه بدينه وشرائعه وأعد له الثواب والعقاب ولكن خلقه مختارا فى أفعاله وبذلك جزاؤه فى يوم الدين تبعا لما يختاره لنفسه فى الحياة يكون صورة من اللذة والألم مساوية لما حملت نفسه من بواعث الخير وبواعث الشر

(هل يجزون إلا بما كانوا يعملون) (الأعراف 147)

(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)

(الشمس 7 – 10)

والقرآن ملىء بمثل هذه النصوص الدالة على أن الإنسان مختارا فى فعله ليس مقهورا ولا مجبورا على خير أو شر .

القضاء والقدر

القضاء والقدر : وما القضاء والقدر اللذان ورد فى القرآن ذكرهما وجهلهما الناس مرتبطين بفعل الإنسان ومسلكه فى الحياة سوى النظام العام الذى خلق الله عليه الكون وربط فيه بين الأسباب والمسببات والنتائج والمقدمات سنة كونية دائمة لا تتخلف وكان من بين تلك السنة أن خلق الإنسان حرا فى فعله مختارا غير مقهور ولا مجبور وقديما اعتذر المشركون عن شركهم بأنهم مجبورون بمشيئة الله لشركهم فأنكر الله عليهم وأعلمهم أن حجته قائمة بما منحهم من عقل وأرسل إليهم من رسل

(سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا أباؤنا ولا حرمنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فالله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)

(الأنعام 148 – 149)

يريد أن الله وما يختارون لأنفسهم من ضلال أو هداية نعم يعلم الله بشمول علمه ما سيكون الإنسان بإختياره من هدى أو ضلال وخير أو شر وليس فى علم الله بذلك شىء من معانى القهر والإلزام وإنما هو مجرد انكشاف ما وقع وسيقع على السنة الدائمة التى رسم وهى سنة الإختيار التى بنى عليها التكليف والثواب والعقاب

وإذا فلا يسمح الإسلام أن يضل الإنسان أو ينحرف عن أوامر الله فى عقائده ودينه ثم يعتذر بالقضاء والقدر ولو صح ذلك لبطلت التكاليف وكان بعث الرسل وإنزال الكتب ودعوة الإنسان إلى دين الله وما يجب ووعده بالثواب لأهل الخير وبالعقاب لأهل الشر باطلا وعبثا لا يتفق وحكمة الخالق الحكيم فى تصرفه وتكليفه الرحيم بعباده

هذا رأى الإسلام بالنسبة إلى إختيار الإنسان وجبره .

الإسلام رسالة للإصلاح والتقدم

الإسلام رسالة للإصلاح والتقدم : من غير المقبول ولا المستساغ أن تبلغ المدنية المعاصرة هذا المبلغ من العلم والتقدم المادى والنهضة الفكرية ثم تتنكر لدور الدين الإسلامى والأديان السماوية فى إصلاح الإنسان روحا ووجدانا وعقلا وإنتصارا للقيم السامية من الرحمة والمحبة والتسامح والعطاء وإنكار الذات والإخلاص والإحترام والعدالة فقد أغرت المدنية المهيمنة ما حققته من تقدم مادى وتقنى وفكرى فإعتبرت العقل وحده كافيا فى صنع التقدم والرقى والإزدهار فلا حاجة به إلى الأديان وتناست أن العقل إذا كان قوة مفكرة وطاقة مبدعة فى العلوم الطبيعية فإنه لا يصلح أن يكون مصدر للقيم ومنبعا للهداية والسكينة وأن حقائق الوجود الإنسانى والخير والشر لا يستقل بإدراكها العقل وحده وهى منطقة قد يضل المر ويشقى ويفقد كل شىء مع فكرة ضالة أو رأى خاطىء وكثيرا ما يحدث وانصرفت القوى الغربية عن تنبيه الأديان السماوية لعدم الإغترار بزخرف المادة ولا الخضوع لهوى القوة وأنه إذا إستبد بالإنسان عقله وإرتكن إلى الإلحاد وإنكار الدين فهذا هو إيذانا بالنهاية فأحرى بالمدنية الغربية ومن لف لفها أن يكونوا على وعى بأن الإلحاد لا يصلح فى العقائد السماوية **لأن** الدين إنما جاء لإصلاح العقائد وغرس الإيمان بالله الواحد مالك الوجود ومليكه فلا تستقيم وكما جاء فى الكتب السماوية القرآن والتوارة والإنجيل إلا برفض الإلحاد والشرك وتأسيس الإيمان بالله تعالى وبوحدانيته وبصلاحية شريعته فى تنظيم الحياة .

ينبغى عدم الخلط بين رفض الإلحاد والتعامل مع بعض الأفكار والمذاهب المادية التى يناقض بعضها أحكام الشريعة

ينبغى عدم الخلط بين رفض الإلحاد والتعامل مع بعض الأفكار والمذاهب المادية التى يناقض بعضها أحكام الشريعة : لأن ما فيها ما يصلح لتقدم الحياة فما ينفع الفكر ويحقق التنتمية والتقدم ويمثل تراثا مشتركا للإنسانية ويدخل فى الإبتكارات الفكرية والنظريات والحضارات التى أثرت فى مسيرة البشرية خلال العصور وفى العصر

الحديث هو ما نحتاج إليه من مدنية الغرب لكن ليس بمعزل عن الإسهام الإسلامى فى الفكر المعاصر والمدنية الحديثة .

مدنية الإسلام تتأسس على الإيمان والعلم

إن مدنية الإسلام تتأسس على الأيمان والعلم كما فى الإيمان بوجود الله والإقرار بالنبوات ووجود السعادة والشقاء فى الآخرة وأن يعلم كما يقول : ابن رشد أنه إذا كانت هذه الشريعة حقا وداعية إلى النظر المؤدى إلى معرفة الحق فإنا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدى النظر البرهانى إلى مخالفة ما جاء به الشرع فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له فالشريعة تقوم على النظر العقلى والنص النقلى بلا تضاد فهى جامعة بين التقل والعقل والتكليف الشرعى أداة معرفته العقل والشرع سبيل السعادة الدنيوية والأخروية .

الباب الرابع

العمل سبب تقدم الأمم وبناء الحضارات

العمل سبب تقدم الأمم وبناء الحضارات : بالعلم والعمل والأخلاق تتقدم الأمم وتبنى الحضارات .

إن الأرض بما فيها وما عليها والسماوات كذلك مسخرة للإنسان لكن الخيرات التى أودعها الله فى الأرض لا يستطيع أن يسلفيد منها الإنسان غالبا إلا إذا تدخل بجهد منه علما أو عملا هذا الجهد الذى يبذله الإنسان من أجل أن تصبح هذه الخيرات قابلة للإنتفاع فالبئر مثلا لا بد من تحفر والنبات لا بد من أن يزرع والمعادن لا بد من أن تستخلص وفوق ذلك أودع الله فى الإنسان دوافع فطرية خلق له حاجة إلى الطعام والشراب وأودع فيه الدافع نحو الطعام والشراب وأودع فيه الحاجة إلى الجنس الآخر فخلق فيه هذه الغريزة وأودع فيه رغبة فى التفوق أو ما يسميه علماء النفس تأكيد الذات فالإنسان من جهة يحس بالجوع إذا يبحث عن الطعام يحس بحاجة إلى الطرف الآخر يبحث عن زوجة يحس بحاجة إلى تأكيد ذاته إذا يبحث نحو البطولة وبقاء أثره بعد موته .

الإسلام حدد مفهوم الحاجة إلى العمل والإنتاج وبين عناصره

الإسلام حدد مفهوم الحاجة إلى العمل والإنتاج : وبين عناصره فى جملة من النصوص والمفاهيم أوضح أن الطاقة الإنسانية بالتفاعل مع عناصر الطبيعة هى التى تنتج السلع التى يشبع بها الإنسان حاجاته المادية المختلفة ويسد بها نواقص حياته كالطعام واللباس والدواء والحاجة إلى الشىء هى السبب الأعمق فى انتاجه وإيجاده ولولا الحاجة إليه لكان وجوده عبثا لا مبرر له والسعى من أجله تضييعا للجهد والمال والوقت الإنسانى الثمين .

العلم قرين العمل

قرن الله عزوجل فى فى القرآن الكريم فى أكثر من مائتى آية العلم بالعمل لأن العلم بحد ذاته ليس غاية إنما هو وسيلة لآداء وظيفة فى الحياة فما لم يستخدم العلم من أجل

رفع مستوى العمل ومن أجل نفع البشر فلا قيمة له فالناس يحاسبون على أعمالهم وما العلم إلا من أجل العمل الصالح .

مفهوم الإسلام عن الطاقة البشرية

مفهوم الإسلام عن الطاقة البشرية : هو أن الإنسان وحدة حياتية قائمة بذاتها وأن لها حاجاتها من الخدمات والسلع والمنافع تقوم هى هى ذاتيا بتوفيرها وصيانة نفسها بإستعمال الطاقة المخزونة فيها بالتفاعل مع العناصر الأولية والأساسية للإنتاج .

إدراك الإسلام لقيمة الجهد والوقت والطاقة

إدراك الإسلام لقيمة الجهد والوقت والطاقة : يكفى أن تعلم مدى إدراك الإسلام لقيمة الجهد والوقت والطاقة من إعتباره إراقة الماء لا الدم فى غير نفع واضح قتل لهذا الماء يحرم شرعا إرتكابه **لأن** الإسلام يربط بين الماء وبين الحياة وصرفه فى غير وجهه محاربة لهذه الحياة حتى إنه حرم الإسراف فيه ولو كان ذلك للتطهير أو للتمكن من آداء فريضة أو شعيرة ما دام ذلك مجاوزا للحد المعقول المؤدى إلى الغرض فما بالك بالطاقة الإنسانية ذاتها وقد كرم الله الإنسان وطلب أن يحيا الإنسان على مستوى هذه الكرامة بما تتطلبه من صنوف المعالى ومقومات الإعزاز والإعتزاز .

لا يمكن لأمة أن تنهض بغير العمل

إن العمل وإتقانه أمر مهم لتقدم الأمم ولا يمكن لأمة أن تنهض أو تكون لها مكانتها بغير عمل وعلينا أن نحول تلك الطاقة الحبارة لدى شبابنا فى أمتنا لطاقة بناء وليست طاقى هدم لنعبر بأوطاننا من كل محنة ولنضع أمتنا فى الصفوف الأولى بين الدول المتقدمة .

العمل من مقاصد الإسلام وغاية من غاياته

إن الإسلام ركز على ثلاثة أشياء العلم والعمل والأمن وإن نصوص العلم فى القرآن الكريم جاءت عامة تشمل العلم الدينى والعلم الدنيوى وأن الخطأ الذى وقع فيه الكثير قصر العلم على العلوم الشرعية دون العلوم الدنيوية النافعة أدى إلى تأخر المسلمين

فى العلوم التجريبية فأصحاب العلوم الدنيوية إذا ابتغوا بعلمهم وجه الله تعالى فعملهم وعلمهم أخروى يؤجرون عليه من الله عزوجل .

إن عمران هذا الكون ودوام الحياة فيه وتحقيق عزة المسلمين وقوتهم وعلو شأنهم فى هذه الحياة مقصد من مقاصد الإسلام وغاية من غاياته سعى لتحقيقها فى حيز الواقع وتركيز التسليم بها فى عقول المسلمين فدنيا المسلمين مزرعة لآخرتهم ومرحلة مؤدية إليها وما أنزل الله لهم الدين إلا لينظم حياتهم وتجتمع كلمتهم وتتحقق عزتهم وغناهم عمن سواهم **ليست** الدنيا فى منظار الإسلام ضرة للآخرة ولا عدوة لها والمسلم فى حال الإختيار الصعب .

أما الدنيا أو الآخرة : فالإسلام يرفض الرهبانية والإنقطاع فى الزوايا والجبال والحياة الدنيا التى تسوسها القيم السامية والمثل العليا محراب عبادة يتقرب المسلم فى كل أركانها وأرجائها إلى ربه بما يأتيه فى إطار الشرع من تصرفات ظاهرها العمل للدنيا الفانية ذلك هو التصور الفريد الجديد الذى جاء به الإسلام وبشر به الناس وحقق به لهم السعادتين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة جاءت مبادىء الإسلام تقول : للناس كافة (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين ءامنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) (الأعراف 32)

والمسلم وهو يسعى إلى ربه وتتعلق همته بالدار الآخرة غير مطالب بأن يعرض عن حياته الدنيا فيتناساها ويهملها (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك) (القصص 77)

لقد استطاع الإسلام أن يجمع بين الثنائيتين الدنيا والآخرة المادة والروح والعاجل والآجل والفرد والمجتمع وقد كانت قبل ذلك ولا تزال بعد فى كل المذاهب والنظريات متناقضات لا سبيل إلى تآلفها وإنسجامها وسيرها فى خط واحد ولكن الإسلام الذى جعله الله رحمة للعالمين ونافيا للحرج والضيق عن عباد الله المسلمين ألف بين الدنيا والآخرة وجعلهما يسيران جنبا إلى جنب لقد أكد ذلك فى آيات الكتاب العزيز وزاد ذلك بيانا وتفصيلا صاحب الرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

الذى أعلن لأمته " أنه ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة ولا تكونوا كلا على الناس " .

فالمسلم مدعوا بأن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا وأن يعمل لآخرته كأنه يموت غدا وهكذا اعتبر الإسلام أعمالا تبدوا لا علاقة لها بالآخرة ظاهرا من أكبر القربات والطاعات والمكفرات للخطايا والسيئات فالزرع والحرث وعمارة الأرض أعمال ذات فائدة عاجلة ألا وهى تحقيق كفاية المسلمين وتسديد حاجاتهم المعيشية ولكنها إضافة إلى ذلك يكتب بها لمن يؤديها بإخلاص الأجر العظيم ولقد ورد فى الحديث الشريف قول : الرسول صلى الله عليه وسلم " ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا إلا كتب الله له من الأجر قدر ما يخرج من ثمر ذلك الغرس " **رواه ابن عساكر** وهكذا فإن الغرس مطلوب من المسلم فى كل مراحل حياته صغيرا كان أم كبيرا سيجنى ثمرته هو أو سيجنيها غيره ممن يأتى بعده فالمسلم لا تتطرق الأنانية إلى نفسه لأنه سمع قول : رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن أحب عباد الله إليه أنفعهم لعباده " . بل يصل الأمر إلى قمته ومنتهاه عندما يتطرق إلى سمع المسلم قول : رسول الله صلى الله عليه وسلم " لو كانت الساعة تقوم وبيد أحدكم فسيلة فليغرسها فله بذلك أجر " . إنه الأمل العريض الذى لا حد له والحرب التى لا هوادة فيها على اليأس والقنوط والرسول صلى الله عليه وسلم المسلم الأول والنوذج الأمثل والمثل الأعلى الذى ينبغى الإقتداء به لتحقيق مرضاة الله ها هو ذا يعلن لجمع من أصحابه أساءوا الفهم واعتقدوا أن مرضاة الله عليهم لا تتحقق إلا بطلاق الدنيا والإعراض عنها قال : لهم ولأمته من بعدهم " أنا محمد بن عبد الله غفر لى ربى ما تقدم وما تأخر من ذنبى أصوم وأفطر وأتزوج النساء وأمشى فى الأسواق فمن رغب عن سنتى فليس منى " . بهذه الروح ينبغى أن يستهدى المسلمون فى هذا العصر الذى اشتدت فيه عليهم التحديات وتكدست على مجتمعاتهم رواسب التخلف والتقهقر والضعف بعد سنوات طويلة من الإستعمار .

المسلمون مدعون إلى التدبر فيما يدعوهم إليه دينهم وما يرمون تحقيقه من قوة وتقدم وإزدهار

المسلمون مدعون إلى التدبر فيما يدعوهم إليه دينهم وما يرمون تحقيقه من قوة وتقدم وإزدهار: إنهم لواجدون فى تعاليم الإسلام وتشريعاته ما يحقق لهم هذه الآمال شريطة أن يقرؤها قراءة واعية مخلصة ذلك أن خيرية أمة الإسلام وعزة المؤمنين وشهادتهم على الناس أجمعين لا يمكن أن يحققها اليوم فى هذا العالم الذى تتقاسمه الأطماع وتسيطر عليه الأحلاف وتغلب عليه نزعة الإستغلال والإمتصاص والإمتهان لن يحقق للمسلمين ما يصبون إليه من آمال إلا فهم روح الإسلام وإستفادة وتوظيف لقيمه السامية ومثله النبيلة من أجل تحريك عجلة التنمية والنهوض بالمسلمين أفرادا أو مجتمعات فليس من الإسلام أن يقبع المسلم فى ركن ويسأل ربه أن يؤتيه مسألته فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وليس من الإسلام ألا يأخذ المسلم بالأسباب فيتعاطاها بدعوى التوكل على الله والحال أن المسلم مدعو بأن يعقل ناقته ويتوكل على الله .

أما : إذا أهمل المسلم الأخذ بأسباب القوة والعزة والتقدم والإزدهارفإن ذلك تواكل ما أنزل الله به من سلطان وقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين حتى لا يقعوا فريسة لمثل هذه الأفهام الخاطئة ولفت أنظارهم إلى ما فى الكون حولهم من كائنات غير عاقلة ولكنها مدركة أن الرزق لا بد أن يكون مسبوقا بسعى وهذا السعى مشروع بل مطلوب فلينظر المسلم حوله فى هذا الكون ليرى كما يقول : الرسول صلى الله عليه وسلم توكلا حقيقيا " لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كالطير تغدو خماصا وتعود بطانا " . لقد أعد الإسلام لمشكلة الفقر والضعف والحاجة حلولا عديدة وهى حلول يهتدى إليها كل عامل بل عملت بها أمم ليس لها قيم الإسلام ومثله وتشريعاته وحققت قفزات عالية وعملاقة فى ميادين العطاء الإقتصادى وهى ما حققت ذلك رغم بدائية عقائدها وبساطة مثلها إلا أنها أخذت بالأسباب وشمرت على السواعد وضاعفت من المجهودات وجعلت لها هدفا تروم بلوغه فبلغته وهذا الهدف هو تحقيق كفاية شعوبها وغناها عن سواها فى قوتها وحاجاتها وحتى كمالياتها **إن** المرء ليعجب من أحوال المسلمين أفرادا وجماعات كيف لا يوظفون ما عندهم من قيم ومثل وتشريعات تدفع بالناس دفعا إلى البذل والعطاء والإجتهاد فى كل ما يحقق

للمسلمين العزة وعلو الشأن فى كل ميادين الحياة فالإنسان عندما يلتفت إلى ما يزخر به الكتاب العزيز والسنة النبوية الطاهرة من نصوص ودعوات ملحة للعمل والجد والكد ثم لا يرى أثر ذلك فى سلوك المسلمين فى الحقول والمزارع وفى المعامل والمصانع وفى مختلف الإدارات والوظائف يعجب الإنسان لذلك شديد العجب ويستغرب كيف يوفق المسلم بين اسلامه الذى يدعوه إلى العمل المخلص والجاد وإلى البذل ويعده على ذلك بعظيم الأجر والثواب ثم يتقاعس المسلم ويتكاسل ويغش ويغالط ألا يجد المسلم العاقل فى هذا التصرف تناقضا وتضاربا وإنحرافا مشينا عن جوهر الإسلام وروحه .

العمل فى الإسلام عبادة لا تساويها أى عبادة

سوى الفرائض

إن العمل فى الإسلام عبادة لا تساويها أى عبادة أخرى مما سوى الفرائض والأركان وقد باشر العمل الأنبياء والرسل عليهم السلام وهم صفوة خلق الله ولو كان فيه ما يخدش مروءتهم وفضلهم لما باشروه فقد أخرج البخارى فى صحيحه

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة " . وسيدنا دواد عليه السلام كان زرادا يصنع الدروع وكان آدم عليه السلام حراثا وكان نوح عليه السلام نجارا وكان إدريس عليه السلام خياطا وكان موسى عليه السلام راعيا فهل يستنكف بعد ذلك مسلم حقيقى عن العمل والكد وبذل الجهد والإستغناء عن الطلب والمساهمة فى تحقيق إزدهار بالمسلمين وتقدمهم **إن** الإسلام يربى المسلم على التعفف والإستغناء ولا يقبل منه أن يتكفف الناس ويتسول فالله تبارك وتعالى يعلن لكل عباده ضمان الرزق حيث يقول : جل من قائل (ومامن دابة إلا على الله رزقها) . (هود 6)

بثه الله فى الكون الواسع ودعا المسلم إلى البحث عنه والجد فى طلبه (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) (الملك 15)

فالضرب فى الأرض والإبتغاء من فضل الله مما دعا إليه الإسلام وأكد عليه بعد آداء ما فرض الله على المسلم (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) (الجمعة 10)

وأفضل الطعام وأطيبه ما يقتنيه المسلم من عمل يقوم به بإخلاص

قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده " رواه البخارى

واجب على المسلم إخلاص العمل

واجب على المسلم إخلاص العمل : فإذا انصرف المسلم عن المسألة وطلب الناس واندفع نحو العمل يحقق به مرضاة ربه وقضاء حاجاته ومطالبه فينبغى عليه أن يخلص فى العمل الذى أوكل إليه فهو عقد بين طرفين لا بد من الوفاء به كاملا غير منقوص (يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود) (المائدة 1)

والعمل أمانة ولا بد من آداء الأمانات

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) (النساء 58)

والغش والخيانة ليسا من خلق المسلم (يا أيها الذين ءامنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) (الأنفال 27)

فالمسلم لا يبخس الناس ولا يطفف ولا يغش ولا يكون عمله إلا صالحا متقنا

(إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا) (الكهف 107 – 108)

والمسلم متشبه بربه الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون يقول : رسول الله صلى الله عليه وسلم " من غش فليس منا " . وإن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن عمله ولا يكون محسنا إذا هو غش وزور وتحيل وطفف وأقسم بالأيمان المغلظة ولا يكون محسنا إن هو غالط ونال أجرا على عمل لم يقدمه ولم يخلص فيه والله تبارك وتعالى يقول : لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه **وكيف** يتجاسر مسلم على إدخال درهم واحد من الحرام إلى جيبه أو يطعم منه نفسه وعياله أيريد أن يحبط عمله أيريد أن يكون مثل الأشعث الأغبر الذى يطيل السفر ويرفع يده إلى السماء

قائلا يا رب أنى يستجاب له ومأكله من الحرام ومشربه من الحرام وقد غذى بالحرام فالله طيب ولا بل إلا طيبا وأن لحما نبت من الحرام النار أولى به وأن المرء ليلقى فى بطنه اللقمة الحرام فيبقى أربعين يوما غير مستجاب الدعوة والمسلم إذا أراد أن تستجاب دعوته فليطب مطعمه وإذا كانت هذه بعض واجبات العامل فى العمل الذى يقوم به فإن له حقوقا ينبغى أن ينالها ليستمر عطاؤه فلا يكلف فوق طاقته ولا بد أن يعطى أجره كاملا غير منقوص يقول : عليه الصلاة والسلام " أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه " . ويتوعد الله تبارك وتعالى من يأكل أجر مستخدمه حيث يقول : الله تبارك وتعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بى غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجا إستأجر أجيرا ولم يوفه أجره . مسند الإمام أحمد

فصل

وقفات مع إتقان العمل

يد تحتاجها الأمة وتقدرها يد ترضى الله ورسوله يد تنفع المجتمع وتعلى شأنه إنها اليد العاملة المنتجة البناءة وحصوصا التى تتقن العمل وتخلص به لله تعالى والإسلام يحض على العمران ويجعل الإنسان بحق خليفة الله تعالى فى الأرض **بل** وجعل الدين لتنظيم الحياة والقوة لحماية الدين وإنه يجب على المسلمين أن لا ينسحبوا من ساحة الحياة وإعمار الكون وبناء إقتصاد قوى يعود نفعه على أفراد المجتمع **إن** أمتنا فى حاجة إلى مزيد من العمل فى شتى المجالات بل وفى حاجة ملحة وضرورة قصوى إلى إتقان كل عمل ويعتبر إتقان العمل فى الإسلام وسيلة من وسائل الرزق الخالص المبارك الحلال بل إنه عبادة خالصة لله فالدين الإسلامى يدعوا المسلم إلى العمل وعدم التكاسل وإجادة كل عمل ولنا وقفات مع العمل : -

الوقفة الأولى : المراد بإتقان العمل

إتقان العمل معناه القيام بالعمل المراد انجازه والإنتهاء منه بأفضل صورة وعلى أتم وجه ويكون ذلك ببذل الجهد والبعد عن التراخى فى العمل ولفظ إتقان هو مصدر لكلمة أتقن بمعنى أنجز العمل بإحكام ومنتهى الدقة

الوقفة الثانية : القرآن الكريم يحث على إتقان العمل **.** يحث القرآن الكريم الناس على إتقان العمل فالناس فى الدنيا يغدون ويروحون ويعملون ويكدحون ويخططون وينفذون ويراجعون أنفسهم ويتابعون ثمرات سعيهم وما لم يهتموا بإتقان العمل والإتيان به على الوجه المطلوب فإنما هم فى ضلال وسعيهم وبال وبالنظر فى القرآن الكريم نجد أن الله تعالى قد صنع كل شىء فى هذا الكون بإبداع وإتقان وأنزل فى الأرض هذا الإنسان وأوجب عليه الإحسان ونهاه عن الفساد فيها فأهمية إتقان العمل من جهة العامل المسلم هو أن يعتقد أن عمله محل نظر الله تعالى قال : عزوجل (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (التوبة 105)

وقد جعل الله تعالى طريق الإيمان والتوحيد هو الإتقان فخلق الله محكم ومتقن فى سماواته وأرضه قال : تعالى (تبارك الذى بيده الملك وهو على شىء قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) (الملك 1 – 4)

وقد أحسن الله عزوجل كل شىء خلقه قال : عزوجل (الله الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) (السجدة 4 – 7)

الوقفة الثالثة : السنة النبوية الشريفة وإتقان العمل .

حفلت السنة النبوية الشريفة بما يحث المسلم على إتقان عمله ولا يخفى على أحد أن العمل بلا إتقان لا ينفع صاحبه ولا ينتفع به وهو مردود على صاحبه **وإن** قيام المسلم بالعمل على أتم وجه يكون عبادة تضاعف الأجر ويقول : الرسول صلى الله عليه وسلم " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل فى أهله راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته " . متفق عليه

.

إن إتقان العمل واجب شرعى : فإتقان العمل واجب شرعى على كل موظف وعامل مهما كانت وظيفته **.**

الوقفة الرابعة : عقلاء الناس وإتقان العمل **.** يعلم كل عاقل أن عمله أمانة عنده فلا يضيعها ويفرط فيها يقول : أبو الحسن الندوى إن التقوى المنشودة ليست مسبحة درويش ولا عمامة متمشيخ ولا زاوية متعبد إنها علم وعمل ودين وروح ومادة وتخطيط وتنظيم وتنمية وإتقان وإحسان ويقول : أمير الشعراء : أحمد شوقى

أرضيتم أن ترى مصر فى الفن خرابا

بعدما كانت سماء للصناعات وغابا

اطلبوا الحق رفقا واجعلوا الواجب دأبا

واستقيموا يفتح الله لكم بابا فبابا

الوقفة الخامسة : آثار عدم إتقان العمل . إذا لم نتقن العمل نضر أنفسنا وأمتنا ويجب أن يكون منتج المسلمين الأعلى جودة وإتقانا ومن آثار عدم إتقان العمل الإساءة إلى الدين وتشويه صورته فإن تخلف المسلمين وعدم إتقانهم هو بعدهم عن الإسلام وعدم التمسك به فالإسلام يأبى أن يأكل مسلم حراما بعدم إتقانه للعمل

والإسلام من أهم أخلاقه الأمانة والأمانة تقتضى من العامل أن يقوم بعمله على أكمل وجه وأفضل حال .

الوقفة السادسة : فوائد إتقان العمل **.** إتقان المسلم لعمله واجب شرعى ومجتمعى وأخلاقى وفوائده كثيرة منها : -

أولا : الأجر والثواب الذى أعده الله سبحانه فى الآخرة لمن أتقن عمله فى الدنيا والجزاء من جنس العمل .

ثانيا : توفيق الله تعالى لمن يتقن عمله فى الدنيا قبل الآخرة .

ثالثا : فى إتقان العمل تحقيق لنجاح المسلم وتعزيز لقوته فى مواجهة أعداء الإسلام وإظهار قوة المسلمين وعدم حاجتهم لغيرهم .

رابعا : المتقن لعمله فى أى صنعة أو مهنة أو عمل يكتسب محبة الآخرين .

الوقفة السابعة : نداء إلى كل البشر **.** الله عزوجل خلقكم لعبادته ومن عبادته عمران الكون وإعمار الكون لا يكون إلا بإتقان العمل فراقبوا الله تعالى القائل

(هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) (هود 61)

أى طلب منكم عمرانها فإن كل عالم وصانع وتاجر وزارع وسياسى وطبيب ومهندس ومدرس إلى الجميع أمتنا تحتاج منكم عملا صالحا متقنا يكون لكم نفعه وثوابه فى الآخرة .

التفانى فى العمل من أجل البناء

التفانى فى العمل من أجل البناء : قد أخلى الإسلام أولا طريق الإنسانية من العقبات كى يضع الناس جميعا أمام الله فى مستوى واحد وفى بداية واحدة ويترك بعد ذلك مجال السبق بينهم فى طريق الإنسانية وهو طريق السعى إلى الله تعالى وتقواه فأبعد استغلال المال وأبعد استغلال الشرف فى الأسرة وحال فى صور شتى دون الرق وعمل بوسائل عديدة على تصفية رواسب هذه المشكلة وهى مشكلة الرقيق فى المجتمع الإسلامى وأخلى الطريق من تلك العقبات التى تحول دون نمو البشرية فى خصائصها ودون نمو المجتمع فى صلة الأفراد بعضهم ببعض ولم يكن ليكفى فى نمو الخصائص البشرية فى الأفراد وفى نمو العلاقات بين بعضهم وبعض أن يزيل الإسلام العقبات من طريق الإنسانية حتى تصبح عملية النمو عملية طبيعية تتقدم خطوات من ذاتها وحتى تصبح تلك العلاقات أمرا مستقرا يزداد بمرور الزمن فحسب لم يكن ليكفى ذلك اطلاقا فى الوصول إلى الهدف وكان لا بد بعد إزالة تلك العقبات من أن يكون للإسلام دفع آخر إيجابى يدفع الطبيعة البشرية فى الأفراد إلى أن ينمو ويتطور نحو استكمال خصائصها وتدفع العلاقات بين الأفراد إلى أن تزداد وتتأكد وبذلك يكون المجتمع مجتمعا إنسانيا سليما يحقق أهداف البشرية من السلام والأمن والطمأنينة والسعى فى الحياة فى جد وفى عزم وإيمان ومن صور هذا الدفع الإيجابى أنه لم يشأ للأفراد أن يكون وضع الفرد مع الفرد الآخر وضع المبادل فحسب يعطى مقابل ما يأخذ لقاء ما يجب عليه ألأن يعطى ولم يشأ كذلك أن تكون العلاقة عندئذ علاقة حقوق وواجبات متكافئة فقط لم يشأ أن يكون وضع العامل فى المصنع أو فى المزرعة مع صاحب المصنع أو صاحب المزرعة وضع الذى يأخذ أجرا مقابل ما يؤدى من خدمة فقط ولا أن يكون وضع التلميذ فى المدرسة أو الطالب فى الجامعة مع والده ومع مدرسيه وضع الذى يحرص على التعليم مقابل الرعاية التى تتوفر له من والده ومن أستاذته فحسب ولم يشأ أن يكون وضع الموظف فى وظيفته مع أصحاب المصالح أن يأخذ راتبا مقابل ما يؤدى من خدمات لأصحاب هذه المصالح لا غير ولم يشأ كذلك أن يكون وضع الزوجة فى الأسرة مع زوجها أن

تؤدى ما يجب عليها من أمومة ومن شئون الزوجية فى الأسرة مقابل ما ينفق عليها ومقابل ما يجب على الزوج أن يوفر لها من خدمات فقط وهكذا بين كل فرد وفرد لم يشأ أن تكون العلاقة هى علاقة حق وواجب وأخذ وعطاء فحسب وإلا بقيت العلاقة بين الإثنين بين كل فرد وآخر تدور فى إطار الوجود المادى وحده وكانت العلاقة بينهما علاقة حسية سرعان ما تضعف أو تتلاشى إذا قل ما يعطى مقابل ما يؤخذ أو إنعدام ما يؤخذ مقابل ما يعطى وستهتز العلاقة إهتزازا قويا إذا خيل لواحد من الإثنين المتعاملين أن ما أخذه أقل مما كان يجب أن يأخذ .

الإسلام لا يحب أن تدور هذه العلاقة فى هذا الإطار التقابلى المادى وحده

الإسلام لا يريد بحال من الأحوال أن تدور هذه العلاقة فى هذا الإطار التقابلى المادى وحده وإلا لما كانت هناك حاجة إلى الدعوة إلى الإيمان بالله لأن الإيمان بالله سيترتب عليه أن المؤمن بالله سيتعامل مرة مع الله الذى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ومرة أخرى يتعامل مع الفرد الذى يدركه ويعيش معه فى وجود مشترك وفى حياة مشتركة والله إن أعطاه وهو معط قطعا لأنه صاحب الكون وصاحب التدبير فيه وحده لا يأخذ لنفسه شيئا بل ما يجب أن يكون لله مقابل إعطائه يعود لأفراد المجتمع من جديد فهناك إذا إعطاء للأفراد فى غير مقابل

وبناءا عليه فالذى يؤمن بالله إن أعطى فرد وأخذ منه فى غير مقابل قد يعطى أفرادا ولا يأخذ منهم وفى إطار العلاقة بين الفرد والفرد فى نظرة الإسلام ليس هو إطار التقابل المتساوى حتما وإنما هو التقابل زائد الفضل وقد دعا الإسلام إلى ذلك إذ أصبح من مبادئه (وأحسن كما أحسن الله إليك) (القصص 77)

ما هو هذا الفضل الذى يجب على الفرد المؤمن فى المجتمع الإسلامى أن يعطيه للأفراد دون مقابل ؟ القادر يعطى من ماله للمجموع دون مقابل فقد أدى فضلا هو خدمة بشرية والعالم الذى يعطى من علمه ومن تبصيره ومن إرشاده للمجموع دون مقابل أدى فضلا هو خدمة بشرية والعامل الذى يعطى إتقانا وجودة فى نوع العمل بعد إعطاء الكم المطلوب منه أعطى فضلا هو خدمة بشرية والمدرس الذى راعى

الضعفاء من بين تلاميذه وطلابه ووجه إليهم خاصة مزيدا من العناية أدى فضلا هو خدمة بشرية والتلميذ الذى بذل كثيرا من جهده فى تحصيل المعرفة وفى إعانة الضعفاء من رفقائه أدى فضلا وهو خدمة بشرية والموظف الذى راعى حاجة أصحاب المصالح وأسرع فى إنجازها أدى فضلا وهو خدمة بشرية والفرد نفسه الذى حصل فضيلة القناعة وحرم نفسه من جزء مما عنده ليسعف به أصحاب حاجة أدى فضلا وهو خدمة بشرية وهكذا هذا الفضل الزائد عن المقابل بين الأخذ والعطاء يخرج حتما العلاقة بين الفرد والفرد عن أن يكون إطارها إطار ماديا ويدخل بها فى إطار لإنسانى وهنا المطلوب من المؤمن بالله حسب نظرة الإسلام ألا يكون عدلا صاحب تقابل فحسب بين ما يأخذ وبين ما يعطى وإنما يكون فوق ذلك صاحب إنسانية فى تبادله مع الآخرين والله سبحانه وتعالى إذ يقول : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) (النحل 90)

يحدد إطار هذه العلاقة فبالعدل يكون التقابل بين الأخذ والعطاء وبالإحسان يكون الفضل الذى هو خدمة للإنسانية على نحو ما شرحنا وليس الإحسان إطلاقا هو ذلك المفهوم العامى الذى يقصد به إنفاق شىء من المال أو أى شىء مادى وإنما هو أدخل كثيرا فى معنى الإنسانية فالقول المعروف إحسان ورد التحية بأحسن منها إحسان والمعاملة الكريمة فى من الزوج للزوجة إحسان وهكذا فأمر الله بالإحسان لا يعقل إطلاقا إذا أريد به بذل شىء من المال لأن البذل المفروض للمال عرف فى الإسلام بالزكاة وغير المفروض عرف بالصدقة فلم يبق إذا لمعنى الإحسان إلا أداء الفضل الذى هو خدمة إنسانية .

هدف الإسلام هو الإنسانية فى أدق معانيها

هدف الإسلام هو الإنسانية فى أدق معانيها : وهنا نؤكد مرة أخرى أن هدف الإسلام هو الإنسانية فى أدق معانيها فى ذات الفرد وفى علاقة الأفراد بعضهم ببعض والإطار المادى وحده فى تقابل العلاقات ليس الإطار المتكامل الذى يبغيه الإسلام إنما يضاف إليه من خدمات تنم عن إنسانية وبشرية مهذبة إذ سار المؤمنون بالله فى إطار العلاقات الإنسانية فكل منهم عندئذ يكون قد أعطى المزيد مما أخذ ويكون بذلك

مسهما فى بناء المجتمع بما يسمى فى عرف الناس تضحية أو تفانيا ولكنه فى واقع الأمر الإطار الإنسانى الذى يحدده نظام الإسلام وتدعوا إليه رسالته .

فصل

مجالات النشاط الإنسانى

كل ما عدا الإنسان فى هذا الكون مسخر لخدمة هذا الإنسان ومجال نشاطه .

إن الإسلام قد هيأ لنا المجال الملائم أمام الإنسان لإستخدام كل طاقاته الإبداعية ووفر له كل الشروط الضرورية التى تساعده على القيام بمهمته الكبرى المتمثلة فى خلافته لله تعالى فى الأرض والنهوض بمسئوليته فى عمارة الأرض وجعل الله الكون كله بسمائه وأرضه وما بينهما مجالا لنشاط الإنسان فكل ما عدا الإنسان فى هذا الكون مسخر لخدمة هذا الإنسان ومجال نشاطه وفى ذلك يقول : القرآن الكريم (وسخر لكم ما فى السماوات والأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (الجاثية 13) .

كما يقول أيضا :

(سنريهم ءاياتنا فى الأفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (فصلت 53)

وقد حدد الحق تبارك وتعالى مهمة الإنسان الحضارية فى هذا الكون بقوله تعالى :

(هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) (هود 61)

وهذا يعنى أن الله قد أمر الإنسان بعمارة الأرض والعمارة نقيض الخراب وتعنى تمهيد الأرض وتحويلها إلى حال يجعلها صالحة للإنتفاع بها وبخيراتها والإستعمار فى الآية الكريمة هو طلب العمارة فالإنسان مطلوب منه طبقا للمشيئة الإلهية أن يجعل الأرض عامرة تصلح للإنتفاع بها وأن يبحث عن أفضل السبل لتيسير الحياة فيها وكشف ما فى الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات من أجل البشرية جمعاء وقد أعطى الله الإنسان من الطاقات والإستعدادات والإمكانات ما يتناسب مع ما فى الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات فهناك تناسق بين القوانين الإلهية التى تحكم الأرض وتحكم الكون كله والقوانين التى تحكم الإنسان وما حباه الله من قوى وطاقات حتى لا يقع التصادم بين هذه القوانين وتلك القوى وحتى لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون وعمارة الأرض تتحقق بالعلم الذى هو فريضة إسلامية وبالتقنية التى هى تطبيق للعلم ومن أجل ذلك تدخل تحت مفهوم الفريضة .

الجانب الآخر الذى به تكتمل الحضارة أو عمارة الأرض بالتعبير القرآنى فإنه يشمل كل القيم الدينية والعقلية والأخلاقية والجمالية

الجانب الآخر الذى به تكتمل الحضارة أو عمارة الأرض بالتعبير القرآنى : فإنه يشمل كل القيم الدينية والعقلية والأخلاقية والجمالية ولكن العمارة على هذا النحو المشار إليه ليست هى الحضارة بإطلاق وكذلك ليست هى العمارة بإطلاق بل هى أحد جوانب العمارة ويمكن أن يطلق عليها مصطلح الحضارة الشيئية أو المادية

أما الجانب الآخر : الذى به تكتمل الحضارة أو عمارة الأرض بالتعبير القرآنى فإنه يشمل كل القيم الدينية والعقلية والأخلاقية والجمالية .

الحضارة فى المفهوم الإسلامى تعنى تحقيق المشيئة الإلهية فى عمارة الأرض ماديا ومعنويا

إن الحضارة فى المفهوم الإسلامى تعنى تحقيق المشيئة الإلهية فى عمارة الأرض ماديا ومعنويا وبذلك يحقق الإنسان ذاته بوصفه خليفة الله فى الأرض وبذلك يكون الإنسان أيضا فى صلة مستمرة بالله خالق الكون تصحح له دائما مساره على الأرض حتى لا يضل الطريق فيظن أنه سيد هذا الكون مع إن دوره لا يعدو أن يكون سيدا فى هذا الكون بإرادة الله وهذا هو معنى خلافته لله تعالى فى الأرض .

واجب المسلم أن يفكر ويبدع

إن واجب المسلم أن يفكر وأن يعبر عن رأيه ويبدع موقنا أن قضية الإيمان والشريعة أساس فى الهوية الإسلامية لا يمكن إغفالها أو إنكارها أو تجاوزها وأن العلوم العقلية والكونية والإنسانية جزء من العلم الإسلامى فإنها من فروض الكفاية يشترك فيها المسلم مع غير المسلم يؤثر فيها ويتأثر بها وهو ما قامت عليه الحضارة الإسلامية فى مناحى التخصصات المختلفة .

الباب الخامس

القيم الحضارية فى التصور الإسلامى

إن هناك كثيرون من أبناء الأمة الإسلامية قد ضيقوا رحمة الله الواسعة وكان فهمهم للإسلام ينحصر فى مجموعة الشعائر الدينية المعروفة وكادت أهم القيم الحضارية تختفى من حياتهم وتصبح واقعهم قيما منسية لا أثر لها ولا تأثير الأمر الذى جعلهم يتخلفون عن ركب التقدم الحضارى ومن أجل ذلك يصبح الحديث عن القيم الحضارية أمرا ضروريا وليس ترفا تذكيرا بها وتأكيدا على أهميتها البالغة فى التحول الحضارى المأمول فى حياة الأمة الإسلامية وليس من غرضنا بطبيعة الحال أن نقوم بحصر شامل للقيم الحضارية ولكن يكفى أن نعرض أهم القيم فى مجالات متعددة ومن جانب آخر علينا بعد ذلك أن نطرح السؤال عن الموقف الراهن للمسلمين من حضارة العصر ولكن قبل ذلك نود أن نتحدث عن أمرين مرتبطين بذلك إرتباطا وثيقا : -

أولهما : يتعلق بأهمية القيم فى الحياة الإنسانية عامة

ثانيهما : يتصل بوعود إلهية ثلاثة تتعلق بالتحقق الحضارى للأمة الإسلامية

وفيما يلى تفصيل القول فى ذلك

أهمية القيم فى الحياة الإنسانية

أهمية القيم فى الحياة الإنسانية : مفهوم القيم من المفاهيم الشائعة فى حياتنا اليومية بوصفها معايير للسلوك الإنسانى فكثيرا ما نتحدث عن القيم ونشكو فى أحيان كثيرة من إنهيار القيم ونعبر عن الحاجة الملحة للإنسان المعاصر إلى الإحساس بالقيم بعد أن إنتشرت السطحية التى نأخذ بها الأمور والتى أدت بنا إلى عدم إدراك القيم الحقيقية للأشياء والأشخاص والخلط بين القيم الحقيقية والقيم النسبية أو الوسيلية ويرتبط بضآلة الإحساس بالقيم ظواهر سلبية كثيرة مثل التخلف والإنحلال واليأس والتشاؤم وفى المقابل يرتبط بإزدياد الإحساس بالقيم مفاهيم التقدم والتفاؤل والنظام والترابط وليست القيم خاصة بالجانب الأخلاقى فقط فهناك مجالات كثيرة مثل قيم الحق والخير والجمال كما أن هناك قيما دينية تتداخل مع هذه المجموعات من القيم

التى تحكم حياة الإنسان أو التى ينبغى أن تحكم حياة الإنسان والإسلام يهتم بكل القيم التى ترتقى بالإنسان وتهذب من أخلاقه وتسمو بعواطفه وترقق مشاعره وتنمى إحساسه بالجمال ويضع الإسلام القيم الأخلاقية بوجه خاص فى مرتبة عليا وفى قمة سلم القيم ويجعلها حاكمة لغيرها من القيم ومن هنا يقول : النبى محمد صلى الله عليه وسلم " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " .

قانون الأخلاق فى الإسلام يرسم للإنسان منهجا قويما لسلوكه فى جميع مجالات نشاطاته وعلاقاته

إن قانون الأخلاق فى الإسلام يرسم للإنسان منهجا قويما لسلوكه فى جميع مجالات نشاطاته وعلاقاته فى شتى النواحى الفردية والإجتماعية بل وفى علاقته بالكون كله فليس هناك أى وجه من وجوه النشاط الإنسانى لم يخضع لتقنين الأخلاق الإسلامية وإذا كانت الأخلاق فى الإسلام تعتمد على الوحى الإلهى فليس معنى ذلك أنها تتصادم أو تتناقض مع مقررات العقل الإنسانى فهذا أمر غير وارد إطلاقا كما أن الضمير الحى اليقظ لا تصدر منه إلا ما يتفق مع ما يأمر به قانون الأخلاق فى الإسلام .

الإنسان لا يستطيع أن يعيش فى هذه الحياة بدون قيم تحكم سلوكه على المستوى الفردى والإجتماعى

إن الأمرالذى لا جدال فيه أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش فى هذه الحياة بدون قيم تحكم سلوكه على المستوى الفردى والإجتماعى بل وتحكم سلوكه إزاء الكائنات جميعا وهذا يؤكد أن الإنسان يعد كائنا أخلاقيا لديه بالفطرة يلزمه ضميره بالسلوك الأخلاقى بإستثناء من فسدت فطرتهم وصموا آذانهم وعقولهم عن سماع صوت الضمير فهؤلاء من الشواذ الذين لا يمثلون النوع الإنسانى ولا يؤثر وجودهم فى جعلنا نفقد ثقتنا فى الإنسان الذى خلقه الله تعالى فى أحسن تقويم ويدخل حسن التقويم بطبيعة الحال الفطرة السليمة النقية التى فطر الله الناس عليها وليس التكوين البدنى فقط كما يتبادر إلى الأذهان .

الإسلام حين يتحدث عن الإنسان فإنه يتحدث عنه

بوصفه كائنا متكاملا

إن الإسلام حين يتحدث عن الإنسان فإنه يتحدث عنه بوصفه كائنا متكاملا من الجسم والروح والعقل والوجدان وعلى أساس من هذه الفطرة الإنسانية النقية يبنى الإسلام تعاليمه ليوقظ فى النفس كل عوامل الخير والحق والجمال ويزيل منها ما قد يكون علق بها من شوائب حالت بينها وبين الرؤية الصحيحة الأمر الذى يجعل صفحتها واضحة جلية تنطبع فيها بلا عوائق كل القيم الدينية والأخلاقية والعقلية والجمالية .

الوعود الإلهية بالتحقق الحضارى

نود أن نلفت الأنظار إلى حقيقة مهمة تتمثل فى وعود إلهية ثلاثة للمؤمنين ورد ذكرها فى القرآن الكريم وهى وعود يؤدى تحققها إلى الوصول بالأمة الإسلامية إلى الدرجة العليا فى التقدم الحضارى وقد وردت هذه الوعود الثلاثة فى سورة النور فى قوله : تعالى (وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) (النور 55)

وغير خاف على أحد أن هذه الوعود الإلهية الثلاثة غير متحققة بالنسبة للمسلمين فى عالم اليوم بل ومنذ عدة قرون وعلى مدى حوالى ثمانية قرون رغم ما شابها فى بعض الأحيان من بعض السلبيات ولكن السبب فى عدم تحققها واضح إذا رجعنا إلى صدر الآية فهى وعود للمؤمنين الذين يعملون الصالحات والإيمان ليس بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل .

الوعود لا تتحقق للمسلمين إلا بإستيفاء شرطين أساسين هما

الإيمان والعمل الصالح

جاء فى ذلك كثير من الآيات والأحاديث التى تؤكد ذلك ويتضح من ذلك أن هذه الوعود لا تتحقق للمسلمين إلا بإستيفاء شرطين أساسين هما الإيمان والعمل الصالح وهنا يمكننا أن نستعير عبارة لحجة الإسلام الإمام : الغزالى قالها فى مناسبة الربط بين العقل والدين قال : لا يغنى أساس ما لم يكن بناء ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس

وكلاهما الإيمان والعمل الصالح يرتبط بالآخر إرتباطا لا ينفصم وجهين لعملة واحدة.

العمل الصالح ليس مجرد آداء الشعائر الدينية

يفهم البعض العمل الصالح بأنه مجرد آداء الشعائر الدينية المعروفة ويظن هؤلاء أنهم بذلك قد أدوا ما عليهم وإستوفوا الشروط المطلوبة وهذا خطأ فاحش لأنه يعنى التقوى السلبية وهذا ليس المقصود من العبادات فى الإسلام فالشعائر الدينية أو العبادات بجانب أنها تعبير عن الخضوع لله وحده فإنها من ناحية أخرى تهيىء الإنسان ليكون عضوا صالحا فى مجتمعه يفعل الخير لنفسه ولمجتمعه إستجابة لأمر الله تعالى بإصلاح الأرض ومنع الفساد فيها وبالتالى يكون إعمار الأرض وصنع الحضارة فيها عبادة لأنه إستجابة لأمر الله فى قوله : تعالى (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) (هود 61)

العمل الصالح مفهوم عام وشامل لخيرى الدنيا والآخرة

إن العمل الصالح هو كل عمل يقوم به الإنسان فى هذه الحياة دينيا كان هذا العمل أو دنيويا ما دام قد قصد به المرء وجه الله تعالى ونفع الناس ودفع الأذى عنهم فالعمل الصالح مفهوم عام وشامل لخيرى الدنيا والآخرة والإسلام كما هو معروف دين للحياة بكل أبعادها لا فرق فى ذلك . هذه الوعود لا تتحقق للمسلمين إلا بإستيفاء شرطين أساسين هما الإيمان والعمل الصالح كما بين أمر دينى بحت وأمر دنيوى صرف فهذه التفرقة غريبة عن صبغة الإسلام وهذا يعنى أن العمل الصالح مفهوم يقصد منه تحقيق القيم الدينية والأخلاقية بالمعنى الشامل الذى يمكن أن نعبر عنه بالقيم الرافعة إلى تقدم الإنسان ورقيه وتقدم المجتمع وإزدهاره وهذا معناه تحقيق القيم المؤدية إلى بناء الحضارة وإذا تم ذلك تحققت بالتالى الوعود الثلاثة المشار إليها وهى : -

أولا : التمكين فى الأرض والسيادة عليها . وهو المعنى المقصود بالإستخلاف فى الأرض مع ملاحظة أن الإستخلاف هنا نقيض الإستعلاء لأن الإستخلاف يتضمن

الإرادة الإلهية فى جعل الإنسان خليفة فى الأرض وإذا كان الأمر كذلك فإن على المستخلف أن يتخلق بأخلاق من استخلفه ويلتزم بتوجهاته وأوامره

ثانيا : التمكين للدين . والتمكن للدين لا يأتى عفوا ولكنه يأتى نتيجة طبيعية للتمكين فى الأرض الذى يتحقق عن طريق الإستخلاف المشار إليه وهذا ما أشارت إليه آية أخرى فى سورة الحج (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) (الحج 41)

فالتمكين فى الأرض هنا كما هو واضح سبيل لإقامة شعائر الدين التى هى فى جملتها قد شرعت لمصلحة الإنسان ومن أجل خيره وسعادته فى دنياه وأخراه

ثالثا : الإستخلاف فى الأرض والتمكين للدين . يؤديان فى النهاية إلى نشر الأمن والسلام والإستقرار وهذا هو الوعد الثالث : (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) . (النور 55)

وهذا يعنى أن المسلمين من شأنهم أن يكونوا مصدر أمن وإستقرار فى هذا العالم وأن قوتهم ستصب فى النهاية لمصلحة البشر جميعا .

فصل

الأبعاد الحضارية للأخلاق الإسلامية

الأخلاق أساس كل مجتمع

لعل شاتوبريان : لم يكن مبالغا حين قال : الأخلاق أساس كل مجتمع وهذا القول يعنى وجود علاقة طردية بين الإجتماع والأخلاق فالتمييز بين مجتمع فاضل ومجتمع غير فاضل يعكس الفرق بين أخلاق فاضلة وأخلاق غير فاضلة ويعكس أيضا الفرق بين حضارة إنسانية حقيقية وحضارة غير إنسانية زائفة ومن أجل هذا كانت رسالات الأنبياء على تباين آفاقها زمانيا ومكانيا تحث على مكارم الأخلاق وتنهى عن رذائلها أو إن شئت قل كانت تهدف إلى إحلال نظام أخلاقى صحيح محل نظام أخلاقى باطل وتكوين ضمير خلقى يكون معيارا للتمييز بين الحق والباطل.

النظام الأخلاقى فى الإسلام تتويجا لكل المبادىء الأخلاقية

النظام الأخلاقى فى الإسلام تتويجا لكل المبادىء الأخلاقية التى جاءت بها رسالات السماء السابقة عليه ولم يجاوز : جوستاف لوبون الصواب حينما ذكر فى كتابه حضارة العرب . أن أصول الأخلاق فى القرآن عالية على نحو ما جاء فى كتب الديانات الأخرى جميعها .

الأخلاق فى المحيط الإسلامى

قال : صلى الله عليه وسلم " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " . لقد كان للعرب مثلهم وتقاليدهم وأنماطهم السلوكية وقيمهم الخلقية الخاصة ولقد أبقى الإسلام بعضا وأقرهم عليها بعد أن تمم محاسنها وصحح وجهتها كما أبطل الإسلام البعض الآخر وهو القدر الذى كانت تحركه ضيق النظرة أو المنهجية أو الجهل ولقد تجلت خلاصة المكارم العربية فى محمد صلى الله عليه وسلم الشاب الذى تبرأت صفاته وتنزهت أخلاقه عن ثوب الجاهلية وإنحرافاتها فكان شبابه صلى الله عليه وسلم مقدمة طبيعته لإصطفائه ولقد علم بحاله أكثر من مقاله ولا غرو أن يقول : صلوات الله وسلامه عليه " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " **. أى** يضع اللبنة الناقصة فى هذا البناء الأخلاقى الضخم وكان من أهم المميزات التى اتسمت بها التعاليم الأخلاقية المحمدية هذا التحرير التام للإنسان وتخليصة من العبودية أيا كان مصدرها عبودية المال الجاه والقبيلة والأهل والولد بل ويشمل ذلك أيضا العبودية لهوى النفس ذاتها وبذلك سلم الإنسان من أن يكون نهبة لشركاء متشاكسون كما يعبر القرآن الكريم الذى يبرز فى وضوح حقيقة المؤمن الموحد والموحد المكتمل المتماسك المتزن مقارنا إياها بحقيقة إنسان آخر توزعته أهواؤه وتناوشته نزواته ومزقته عوامل جمة حتى إنه ليفقد حقيقة ذاته ويعمى عن جوهر نفسه ويغفل عن قيمة إنسانيته .

محمد صلى الله عليه وسلم تجسيدا
حيا لأخلاق القرآن

كان الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم تجسيدا حيا لأخلاق القرآن ولقد صدقت عائشة رضى الله عنها حين سئلت عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم إذ قالت : كان خلقه القرآن . ومعنى ذلك أن صفات الكمال التى رسمها القرآن والتى أنبأنا الله أنها موضع حبه وتقديره قد تجلت فى محمد صلى صلى الله عليه وسلم أقدس ما تكون وأسمى ما يؤمل لها فى إنسان هو بإختصار على خلق عظيم ولما كانت هذه الصفات موضع حب الله كان التخلق بها مؤهلا طبيعيا لنيل رضى الله وهو أقصى ما يراد من العبادة وأن من يتصفح القرآن ليوخذ بتلك الروعة القدسية التى

تشع من هذه الصفات الإلهية كما يحكيها القرآن الكريم فالله جل جلاله مع أنه ليس كمثله شيء يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وهو على صراط مستقيم وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وهو العزيز الحكيم والعليم الخبير والقوى المتين والسلام المؤمن المهيمن وهو يضرب الأمثال للناس ولا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وهو يذكر من يذكره وهو فى مقام الجلال عزيز ذو إنتقام جبار متكبر متعال له الأسماء الحسنى والصفات المثلى لا قنوط مع رحمته ولا إسخفاف بنقمته ولا يأس من نعمائه ولا حول إزاء بأسائه وهو العلى وهو العظيم ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المرآة المجلوة التى ظهرت فيها خصائص هذه الصفات بقدر ما سمحت به بشريته .

الأخلاق البشرية تربط الفضائل ربطا وثيقا بالأخلاق الإلهية

إن الأخلاق البشرية تربط الفضائل ربطا وثيقا بالأخلاق الإلهية : لا يقتصر المثال الأخلاقى على المستوى البشرى بل ينشد سموه فى السماء بحيث تربط الفضائل ربطا وثيقا بالصفات أو الأخلاق الإلهية وهذا فى حد ذاته تحول ذو بال فى المقاييس الأخلاقية ومن هنا ظهرت قيمة البواعث والدوافع فوق الأعمال فى حد ذاتها .

المسلمون بذلوا جهودا فى تمثل تلك المكارم وإمامهم محمد صلى الله عليه وسلم

بذل المسلمون جهودا صادقة فى تمثل تلك المكارم وإمامهم فى ذلك الرائد الأول والقدوة الأمثل محمد صلى الله عليه وسلم الذى جمع فى أعطافه بين جلال القرب من الله تعالى : (فكان قاب قوسين أو أدنى) (النجم 9)

وبين جمال خفض الجناح حيث قال : صلى الله عليه وسلم " أنا ابن إمرأة كانت تأكل القديد " رواه ابن ماجة

وكان هذان الطرفان المتباعدان يتجاذبانه ليؤديا ما أريد له من بسط الدعوة وإعلاء كلمة الحق وسيادة قانون السماء .

القرآن الكريم وترجمته الحية المتمثلة فى سلوك محمد صلى الله عليه وسلم منبعثا للقيم والمثل الأخلاقية

وجد المسلمون فى القرآن الكريم وترجمته الحية المتمثلة فى سلوك محمد صلى الله عليه وسلم منبعثا للقيم والمثل الأخلاقية وتفاوتت فى تطبيق ذلك ومحاكاته فمنهم المقتصد ومنهم السابق بالخيرات بإذن الله ومنهم الظالم لنفسه حيث حرمها هذا الشرف وقد يثوب هذا الظالم إلى رشده ويعود إلى صوابه لتستقبله أبواب المكارم من جديد فإنها لا تغلق فى وجه إنسان مهما أسرف على نفسه وكيف لا يراجع الإنسان نفسه وهو يسمع هذا النداء الإلهى الحبيب (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذونوب جميعا) (الزمر 53)

سعدت الأرض فى فترة البناء الأخلاقى على مستوى الفرد والجماعة

من الصحيح أن يقال : إن الفترة التى سعدت فيها الأرض بالوجود المحمدى بعد الرسالة كانت فترة البناء الأخلاقى الكامل على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة ولقد أثبت هذا البناء قوته ومتانته بقدر ما خاض من صراع تمثلت فيه كل ما يمكن أن يتصور من قوى الشر والخير كما أثبت هذا البناء قدرة هائلة ونجاحا أكيدا اتجاه الأحداث التى أحاطت به سواء كان ذلك تجاه المعارك والغزوات أو تجاه المواثيق والمعاهدات أو تجاه الغدر والخيانة وسائر الحماقات أو تجاه الدماء والحرمات كان هذا البناء الأخلاقى بناءا حيا لا يقوم على الوصف والشرح والتحليل قدر ما كان يقوم على التجربة والتطبيق العملى الإيجابى لما رسمه القرآن الكريم من قواعد ومثل

ولقد سجلت هذه المواقف العديدة التى أثبتت جدارتها بالتأسى والإقتداء وعاها الناس فى ذاكرتهم أولا وحاولوا التأسى بها ثانيا ثم دونوها حين خشوا عليها الضياع وحين وجدت حركة التدوين وسمح فيها لغير القرآن الكريم بأن يكتب أو يسجل وجمعت السيرة المحمدية بما تتضمنه هذه المواقف المشرقة للنبى صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله تعالى عليهم ومن ثم أصبحت الحياة الأخلاقية وصفا أكثر من أن تكون رسما وقولا من أن تكون فعلا وسلوكا وعملا خصوصا بعد أن تغير الحياة

السياسية والإجتماعية والإقتصادية وبدأ الناس يخصون الأخلاق بالدراسة عن طريق الوعظ وبالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقصص المؤثرة وألفت كتبا كثيرة فى المواعظ والرقائق التى أريد منها أن تأخذ الناس بمكارم الأخلاق عن طريق التأثير فى مشاعرهم وإماطة القسوة عن قلوبهم .

الأخلاق النبوية المطهرة

مما لا جدال فيه أن عصر الرسول صلى الله عليه وسلم تمثلت فيه الأنماط الخلقية للسلوك مهتدية بهدى القرآن يشرحه صلوات الله وسلامه عليه بحاله ومقاله وما أكثر وصاياه لأصحابه بإلتزام ألوان من هذه المواقف والنظر الواعى البصير تجاه الحياة فى جوانبها المختلفة ولعل لب هذه الوصايا يهدف إلى إشعار الإنسان بنفاسة الوقت وقيمة الطاقة المادية والروحية فى تقدم الحياة وتأمل قوله : صلى الله عليه وسلم " نعمتان مغبون فيها كثير من الناس الصحة والفراغ " .نجد أنه صلوات الله وسلامه عليه يضع أيدينا على مكامن الأدواء والعلل التى تصيب الأفراد والمجتمعات نتيجة لإهدار قيمة الصحة وقيمة الوقت فإذا ضممت إلى ذلك قوله : صلى الله عليه وسلم " اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحيات قبل موتك " . إذا ضممت هذا بدت لك الصورة واضحة فى أنه صلوات الله وسلامه عليه يرسم النظام الذى ينبغى أن يسير عليه الإنسان الحى ليكون ذا قيمة ولكى يرضى عن نفسه ولكى يحصل فى النهاية الحياة الطيبة فى الدنيا وحسن العاقبة فى الآخرة .

إن عدم الدوام هو الطابع العام لأحداث وكائنات هذا العالم الذى تشمله الحركة أو التغيير المستمر ونظرة الإنسان قد تخطىء وتصيب هذا التقدير فتظن أن هناك من الأشياء أو الأحوال ما لا سبيل إلى زواله نظرا للألفة التى إنعقدت بيننا وبين هذه الأشياء أو تلك الأحوال وقد يعرف ذلك من الناحية العلمية أو النظرية لكن هذه المعرفة لا يعيش فيها ولا يحس حقيقة بمعناها ومن ثم يتصرف تصرفا عشوائيا كأنه ملك الزمان وأهله وما درى أن حاضره سريعا ما يتحول إلى ماض عزيز يبكى عليه والرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الوصايا لا يحدد نوع الأعمال التى يتطلب

أداؤها اغتناما للفرص المتاحة والظروف المهيئة لكنه صلوات الله وسلامه عليه بإستعماله كلمة جامعة موحية تتمثل فى لفظة إغتنم أشعرنا بداهة بأن الإنسان لا يغتنم إلا ما يعده خيرا وحقا وسعادة وإلا ما كان إغتناما وهو صلى الله عليه وسلم يضع أمامنا أنواعا من المتقابلات التى تحكم الحياة والأحياء على وجه الإحتمال والإمكان من حيث تحقق كل من طرفى النقيض كالشباب والهرم والصحة والمرض والغنى والفقر والفراغ والإنشغال ليرشدنا إلى أنه إذا تحقق الطرف الأول من أطراف هذا الإزدواج كان إشارة آمرة بوجوب التحرك وإقتناص الفرص لزوال الموانع ومبررات الإعتذار ووجود أسباب الجد والإجتهاد وأدواته .

الوصية صورة صادقة من التجربة الرائدة لمسيرة البشرية عبر تاريخها

إن من ينظر إلى هذه الوصية من الناحية الإنسانية البحتة على أنها صورة صادقة وترجمة أمينة لخلاصة الدرس المستفاد من التجربة الرائدة لمسيرة البشرية عبر تاريخها الطويل وهى بهذه المثابة تدخر الجهد والوقت والطاقة لكل فرد ولكل المجتمع فما أسعد الفرد الذى يضعها نصب عينيه وما أسعد المجتمع الذى يتألف أفراده ويتكون أعضاؤه وتتشكل لبناته من هذا اللون البصير المستوعب لآداب هذه النصيحة والمتمثل لمكارمها وتعليماتها وتخيل قطاعاتنا العامة والخاصة وقد عمرت بهذه الأنماط الفذة التى لا تهدر وقتا ولا طاقة ولا تبدد جهدا أو مالا فى غير طائل ولا نفع أو صلاح تخيل مؤسساتنا ومواقع إنتاجنا فى شتى المجالات وقد دعمت بهذه الخبرة الطيبة الواعية المستنيرة الفعالة الدؤب إنك لا تلبث أن تملأ إعجابا وتفعم روعة وفرحة بالإنجازات التى يمكن أن تحققها أمتنا فى مختلف الميادين على الصعيدين المحلى والعالمى .

منهج الصحابة والتابعين رضى الله عنهم

رأى الصحابة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة والقدوة المثالية التى إرتفعت إلى سناها همهمهم وتسابقت إلى حبها أفئدتهم وتفننت فى متابعتها أبدانهم وأرواحهم وأنماط سلوكهم فرأينا بدقة متنوعة الأريج والألوان متفقة الطيب والأصالة وسار التواصى بالحال وبالمقال بين الصحابة وتابعيهم وذاعت بينهم النصائح والمواعظ والحكم فاض بهاالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى سخاء تقتضيه طبيعة الرحمة العامة التى مثها صلى الله عليه وسلم أبلغ تمثيل كما قال : سبحانه وتعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (الأنبياء 107)

وقد ألهمت هذه النصائح والمواعظ والحكم قرائح المسلمين من لعدهم فجاءت بأينع الثمرات وتجمعت حصيلة هائلة من هذا التراث ضمنتها كتب بعنوان الزهد أو الرقائق وهى فى حقيقة أمرها منارات وعلامات على طريق التربية الأصيلة الواعية للوصول بالإنسان إلى الكمال الخلقى والسعادة الدائمة وليس مصادفة أن تسمى هذه الكتب الرقائق من حيث أثرها فى ترقيق القلوب وتهذيب المشاعر والأحاسيس وضبط قيادة الإنسان وليس بعيدا أن تكون هذه التسمية نابعة من التصور الواضح للمسيرة الإنسانية فى طريق تكميل النفس عبر عصور متلاحقة فيها تتشابك المشكلات وتتعقد الظروف ويصعب أمر الجهاد والكفاح من أجل تحقيق الفضيلة والخير العام .

خصائص النظرة الخلقية فى هذه الفترة

إذا لاحظنا أن الإسلام تتعانق فيه القيم الثلاث الخير والحق والجمال أدركنا على الفور التلاحم بين الخلق والدين فى النظرة الإسلامية الصريحة فلن نجاوز الحقيقة إذا قلنا إن الدين أخلاق منظورة أو مطبقة بين الفرد وربه وبين الفرد وأخيه أى أنها أخلاق ذات شعبتين : -

إحداهما : تصور الإنسان مع الله

والأخرى : تصور الإنسان فى مجتمعه . ومن هنا كانت الخصيصة الأولى للنظرة الخلقية فى هذه الفترة العناية بالجانب العملى الذى يحقق الإنسجام بين حسن العلاقة

بين الإنسان والحياة من جانب بناء على تحسينه العلاقة بينه وبين واهب الحياة من جانب آخر فلم تكن هناك عناية بالتحليلات النظرية أو المجادلات والإستدلالات العقلية الموغلة أو التطبيقات والتفريعات التأملية أو النظريات المزينة البراقة وإنما كانت العناية بالتطبيقات والممارسة الفعلية ولذلك استطاع هذا الجيل أن يعايش كافة الظروف التى مرت به بالحكمة والرضا والسعادة والمثابرة على آداء الواجب دون أن تنال منهم الأحداث ودون أن تزعزعهم الكوارث لمتانة البناء الأخلاقى الذى أسسوه .

خصائص النظرة الخلقية لديهم

البساطة والإهتمام باللب والجوهر وعدم الإنخداع بالمظهر وإن شئت قلت الإهتمام بالمضمون قبل الإهتمام بالشكل وهى نظرة تعلموها من القرآن الكريم الذى حذر الناس فى كثير من المواضع من الإنبهار بالمظهر كما تعلموا من القرآن أن الإهتمام بالمظهر وحده قد يستفحل حتى يصل إلى أرذل العمروأرذل الرذائل وهو النفاق الذى يروق منظره ويسوء مخبره ومن تحرز هذا الجيل وإحتراسه من أن يقع فى هذه البؤرة كان حرصهم على الإخلاص الصافى الذى لا يجد حرجا فى التنبيه إلى عيوب المرء فى ذات نفسه سواء بصر بها غيره أو رآها الشخص ذاته لأنه ينظر بنور الله تعالى وكذلك قل أن تجد فى هذه الفترة من يبصر الناس بعيب وهو فيه غارق لأنه كثيرا ما سمع نهى القرآن عن ذلك وتحذير الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من التردى فيه .

خصائص هذه النظرة الخلقية

الرؤية الواضحة للغايات والهدف والثمرة المرجوة من السلوك الخلقى

كانوا ينهجون على بصيرة ووعى وتقدير للبواعث والغايات دون أن يفصلوا القول فيها تفصيلا فلسفيا أو نظريا مسهبا وإدراك الغاية والعاقبة والثمرة للسلوك وللعمل الخلقى ميزة أفادوها من القرآن الكريم الذى يوجه أنظار عباد الله إلى عواقب الأمور وغاياتها ونهاياتها فالعاقبة للتقوى

(والعاقبة للمتقين) (طه 132)

(ولله عاقبة الأمور)   (الحج 41)

والنظرة الخلقية لهذا الجيل قد إكتملت لها أركانه الثلاثة الأصلية ففيها الإدراك والوعى والبصر بالوسائل والغايات وفيها الإحساس الكامل الدقيق بالمسئولية الخلقية فى شجاعة لا يشوبها تردد وفى سخاء لا يعكره خوف ولا يكدره جبن وفيها الإيمان العميق بالقدوة والمثل داخل البيت وخارجه .

فصل

الحضارة الإسلامية والإستقرار الإجتماعى

يعد الإستقرار الإجتماعى من منظور إسلامى هو القاعدة الصلبة التى يقوم عليها بناء المجتمع بجهود مشتركة لأبنائه بعيدا عن عوامل التصادم والتعارض التى تحول دون الإلتقاء على هدف مشترك تتحقق من خلاله المصلحة المشتركة للجميع وحتى يتحقق الإستقرار الإجتماعى فى المجتمع الإسلامى فإنه يتطلب توفر الأسس التى يقوم عليها لتكون له إستمراريته وفاعليته ويتضمن ذلك : -

أولا : الإسلام والحياة الإجتماعية

ثانيا : أسس الإستقرار الإجتماعى

أولا : الإسلام والحياة الإجتماعية يعتبر النمط الإجتماعى هو النمط المميز للحياة الإجتماعية فالحياة الإجتماعية لا تعنى مجرد ممارسة السلوك والأنشطة الإجتماعية فحسب ولكنها تعنى أن حياة الناس تتحول من النطاق الفردى إلى النطاق الإجتماعى أى الوجود الجماعى لهم ومن ثم يصبح التعريف الحقيقى للفرد نابعا من إنتمائه الجماعى بحيث يصبح الفرد جزءا من الجماعة ولا ينفصل عنها وبهذا الإرتباط الوثيق بين الفرد والجماعة تتوثق العلاقة العضوية الإجتماعية بينهما ويتحقق لكل أفراد الجماعة نوع من الوجود المشترك وينبثق عن هذا النمط الشكل الإجتماعى للحياة قيم وضوابط تحكم علاقات الأفراد وتنتظم بها حياتهم كالتعاون والتراحم والتكافل وغيرها من الضوابط والقيم بحيث يترتب على هذه الضوابط والقيم تحقيق معنى العضوية الإجتماعية داخل الجماعة وتتوثق العلاقات الإجتماعية بين أفرادها

التصور الإسلامى لهذه الأسس

التصور الإسلامى لهذه الأسس : وفى التصور الإسلامى لهذه الأسس يعتبر المجال الدينى من أهم الأسس التى ينبنى على قواعدها الحياة الإجتماعية بمختلف جوانبها وبنا يتضمنه هذا المجال من القيم الدينية والأخلاقية التى تضبط السلوك الإنسانى وتوجهه الوجهة الإيمانية والسلوكية الصحيحة ويقصد بالقيم فى هذا السياق المعنى الذى تتوق إليه النفس الإنسانية وتميل إليه وتبنى رؤيتها للحياة من خلال منظوره

وتحدد للإنسان نموذج الحياة المرغوب فيه هل هى حياة التوسط والإعتدال أم هى حياة التفريط والإفراط والتشدد هل هى حياة التساند والتعاون والتآزر أم هى حياة التعصب والشقاق والنزاع وعلى سبيل المثال فإن قيمة العدل تعتبر من القيم الأساسية التى تحكم الحياة العملية والتى تنتظم بها الأنشطة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والمهنية فبدون العدل يسود الظلم وبدون العدل لن يستقيم سلوك الإنسان وليس العدل فى التصور الإسلامى هو مجرد تحقيق العدالة من حيث الممارسات العادلة بين الناس فى الحقوق المتساوية بينهم وليس هو المساواة القانونية بالمعنى القضائى ولكنه يعنى النظام العادل الذى تنتفى عنه صفة الفساد

الفساد نوع من أنواع الظلم

الفساد نوع من أنواع الظلم : بإعتبار أن الفساد نوع من أنواع الظلم **لأنه** يتضمن معنى التعدى على االآخرين وممتلكاتهم لذلك فإن العدل فى التصور الإسلامى ينبع من منظومة القيم الإسلامية وبالتالى يصبح له الوجود الشرعى الذى يلتزم به الجميع على حد سواء **إنه** العدل بالمعنى الواسع الذى يتحقق عمليا من المعاملات اليومية الحياتية بين الناس بعضهم البعض كما يتحقق فى المعاملات بين مؤسسات المجتمع المختلفة بحيث تقوم هذه المرسسات من الناحية التنظيمية على قواعد تتسم بعدالة التنظيم التى تتسع قواعده لمشاركة الجميع وهذا ما يجعل العدل قيمة شاملة لمساحة واسعة فى البنيان التنظيمى للمؤسسات المختلفة وفى المقابل فإن الظلم عائق أمام عدالة تأسيس هذا التنظيم المؤسسى ويصبح مؤذنا بخراب العمران البشرى كما أشار ابن خلدون فى مقدمته الشهيرة .

أما : عن المجتمع بصفة عامة والمجتمع الإسلامة بصفة خاصة فإنه يتضمن جمعا من الأفراد تربطهم علاقات منتظمة وخدمات متبادلة تسودهم تقاليد مشتركة يخضع لها جميعهم وهذا المجتمع يتفاعل أفراده تفاعلا يراعى فيه كل مكونات المجتمع على أساس أن الجمع الإجتماعى فى حقيقته ليس جمعا حسابيا ولكنه جمع يتفاعل عناصره التى يتشكل منها لتحقيق أهداف مشتركة لهم جميعا ومع هذا التعريف فإن المجتمع الإسلامى يتميز بخصائص عقائدية وأخلاقية وإجتماعية توفر البيئة الصالحة التى

يتشكل من خلالها الإنسان المسلم القادر وفق تكوينه الذاتى على تحقيق مهمة الإستخلاف فى الأرض .

أسس الإستقرار الإجتماعى

إذا كان المجتمع الإسلامى تميز بخصائص عقائدية وأخلاقية وإجتماعية وحتى يتحقق الإسنقرار فى هذا المجتمع وفقا لهذه الخصائص فإن ذلك يتطلب توفر الأسس التى يقوم عليها هذا الإستقرار :-

أولا : التسامح وسماحة الإسلام **.**إن قيم الإسلام ليست قيم وقتية موسمية تقترن بفترة زمنية معينة منا أنها لا تتقادم بمرور الوقت أو الزمن لأنها قيم أصلية ثابتة قيم حية دائمة الإستمرارية لإرتباطها بالوجود الإنسانى ولما كان المجتمع البشرى فى حاجة إلى الإستقرار والسلم الإجتماعى حتى يتهيأ للمجتمع المناخ المناسب لعملية البناء والتعمير أصبحت قيمة التسامح لازمة وضرورية لدعم هذا البناء الأمر الذى يتطلب عرضه فى نقطتي نرئيسيتين هما **.**

أولا : مفهوم التسامح وأسسه الشرعية **.** تعنى السماحة فى مفهومها لين التعامل والعطاء بغير حدود وبدون مقابل وينظر إليها على أنها ثمرة من ثمار الشريعة الإسلامية وسمة من سماتها لذلك سوف يظل التسامح منهاجا يحكم سائر العلاقات الإنسانية والإجتماعية فى الإسلام وضوابط السلوك الإنسانى ويكتسب التسامح معناه الإيجابى من كونه داعما للعلاقات بين الأفراد والجماعات لأنه يحول دون ظهور أساليب التعصب والفرقة والتصادم فى ساحة العلاقات الإجتماعية لذلك يعتبر التسامح قيمة ملازمة للوجود الإنسانى المتعدد كما أشار الحق سبحانه وتعالى إلى هذا الوجود المتنوع بقوله : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) (هود 118 – 119)

ولهذا التنوع والإختلاف أصبحت قيمة التسامح وخلق السماحة من متطلبات الحياة الإجتماعية حتى تتوثق العلاقات ويقوم العمران البشرى على أسس سليمة وقويمة ولقد بينت السنة المطهرة قيمة التسامح فى كثير من الأحاديث الشريفة فقال : صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى والإمام أحمد " أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة

" . ولما كان الإسلام يهدف من خلال تعاليمه إلى تربية أبنائه على قيمة التسامح وخلق السماحة كانت دعوته وما زالت أن يسود الوفاق والتعايش الإيجابى بين الناس بإعتبارهم جميعا قد خلقوا من نفس واحدة وأنهم جميعا مستخلفون فى الأرض وأنهم جميعا مشتركون فى تحمل مسئولية التعمير ويتطلب هذا التعمير أن يقوم الجميع بالممارسة المسئولة لدورهم الإجتماعى فى مجالات النشاط والعمل من أجل العمران البشرى كما يتطلب الوفاء بهذا الدور أن يكون لكل إنسان نفس القدر المتاح من الحرية للغير بإعتبار أن الجميع شركاء فى تحمل مسئولية العطاء وإن إختلفت أدوارهم وتباينت قدراتهم ومن خلال هذا التعايش الإيجابى بين الجميع تتكامل الأدوار وتلتقى الأهداف المشتركة على غاية مشتركة وهى العمران البشرى لتصبح قيمة التسامح من متطلبات الوجود الجمعى ولتصبح فى نفس الوقت من أسس السلم الإجتماعى لهذا الوجود الجمعى .

إن الإسلام بتعاليمه لا ينظر إلى قيمة التسامح كقيمة نظرية مجردة ولكن يرتضيها سلوكا عمليا سائدا فى واقع الحياة الإجتماعية يرتضيها سمة أخلاقية تنقى السلوك الإجتماعى من ةشوائبه وترتقى به فوق عوامل الشقاق والنزاع والتعصب .

ثانيا : قيمة التسامح وضوابطه . لقد ارتضى الإسلام قيمة التسامح خلقا للمسلمين درءل لأسباب النزاع والإختلاف بينهم من حيث اللون أو الجنس أو اللغة أو العقيدة ولأنه استعلاء فوق كل مظاهر الصراع والشقاق والتناحر من أجل وحدة الهدف المشترك لبناء حياة كريمة ومجتمع آمن مستقر لذلك يعد التسامح فى حقيقته دليل قوة ذاتية قوة إيمان قوة عزيمة قوة يتعزز بها الوجود الإنسانى الآمن وعندما نناقش قيمة التسامح تبرز مجموعة من الأسئلة بشأنه هل هو تسامح مطلق ؟ ومتى يكون التسامح ؟ وما هى الأمور التى يجب التسامح فيها والتى لا يجب فيها التسامح ؟ وما هى علاقته بالإعتدال وبالتفريط والإفراط ؟

التسامح والإعتدال

الإعتدال : موقف نسبى فى حقيقته حيث يختلف الناس فى موقفهم من الإعتدال فيرى البعض أن الإعتدال ينبغى ألا يؤدى إلى التيامح فى التمسك بالأصول والثوابت من العقائد والقيم والأخلاقيات لأن عدم التمسك بها تحت مسمى التسامح يعتبر تفريطا كما أن التشدد فى التمسك يعد إفراطا .

إن التسامح الذى يؤدى إلى التفريط فى الثوابت والأصول هو التسامح فى غير موضعه لما له من آثار سلبية فى واقع الحياة الإجتماعية لأنه يؤدى إلى عدم انضباط السلوك الإنسانى كما أن التشدد فى التمسك بالأصول والثوابت يعد تشددا فى غير موضعه لأنه يعوق حركة التجديد والنهوض بالمجتمع لذلك ينبغى الإعتدال فى التمسك بقيمنا وميراثنا الثقافى والحضارى والأخلاقى دون أن نقع أسرى للماضى وأن نأخذ من الميراث الحضارى أصوله قبل فروعه وأن ننقل عن السلف قدر ما يتطلب التجديد وأن نتمسك بالجوهر وأن يعذر بعضنا بعضا فى موقف الإختلاف على أساس أن الإختلاف من طبائع الأمور .

التسامح والتشدد

التشدد : هو الموقف الرافض لنوع معين من السلوك والتصرفات دون مبرر مقبول وقد يكون الموقف المتشدد تجاه النفس ذاتها بإلتزامها بقواعد صارمة من السلوك وقد يكون الموقف المتشدد من الآخر دون مبرر أو من جماعة نحو أخرى لا تتفق معها فى الآراء والمواقف والسلوك وقد يكون التشدد إيجابيا تجاه مواقف التصرفات الضارة أو السلوكيات السلبية فيصبح مطلوبا لذاته بإعتباره تشددا فى موضعه لأنه يحقق أثرا إيجابيا .

أما : الذى لا يحقق هذا الأثر الإيجابى بأنه يكون فى غير موضعه ويسمى إفراطا خاصة إذا ارتبط بالسلوكيات الظاهرية دون جوهرها لذلك قد ينظر إلى التشدد على أنه من أدوات مواجهة التحديات والمخاطر التى فى حركة المجتمع تأثيرا سلبيا

التسامح والموقف المتوازن

التسامح والموقف المتوازن : يتحقق التوازن بين التسامح والتشدد أو بين التفريط والإفراط عندما نحدد للتشدد موضوعا نتفق عليه وعلى سبيل المثال الموقف من أى

تهديد يؤثر فى أمن المجتمع وسلامته سواء كان هذا التهديد خارجيا كالغزو الثقافى والتغريب وبعض مظاهر العولمة السلبية أو الأنماط السلوكية التى لا تقرها القيم والأخلاقيات وسواء كانت مؤثرات داخلية تهدد كيان المجتمع كالتخلف والجمود والخرافات وفى نفس الوقت يجب أن نتفق على موضوعات التسامح ومواقفه التى تحقق وحدة المجتمع وتماسكه ,

إن التوازن بين التسامح والتشدد يدل على أن كليهما ضرورى فى المواقف التى تلائمه .

أما الإفراط والتفريط : فكلاهما من الأمور السلبية التى تؤثر فى حركة الحياة الإجتماعية كما أن التوازن بين التسامح والتشدد يؤدى إلى توفر مساحة مناسبة للعمل الإيجابى المتنوع ومساحة أخرى فى وجه التحديات السلبية الوافدة من الخارج

لذلك فإن التوازن بيننا يحقق الإعتدال وهو إعتدال بين قبول التنوع وعدم قبول التفكك وليصبح التعاون عماد التنوع وعدم قبول التفكك وليصبح التعاون عماد التنوع كما يصبح التشدد مقاوما لكل مظاهر التفكك وتلك هى وسطية الإسلام القائمة على الإعتدال وفقا للقاعدة الشرعية لا ضرر ولا ضرارأى تجنب عوامل الإضرار ومفاسده وبذلك يتحقق التعايش الإيجابى بين أفراد المجتمع .

فصل

القيم والمبادىء الأخلاقية

تعتبر القيم بصفة عامة والدينية بصفة خاصة منارات تضىء للإنسان معالم الطريق إلى ما تتطلع إليه من غايات حميدة على هديها التعامل مع الآخرين تعاملا إيجابيا هادئا ويسعى فى حياته سعيدا رشيدا موفقا لذلك أمر الحق سبحانه لعباده بإتباع ما أنزل من توجيهات إيمانية بقوله : سبحانه وتعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم) . (الأعراف 3)

لما كان الإيمان ثورة على كل عباده باطلة سواء كانت المال أو الشهوات أو الجاه أو التطلعات غير المشروعة فقد عتبرت القيم الدينية والمبادىء الأخلاقية إشعاعات مضيئة تملأ جوانب النفس الإنسانية ثقة وطمأنينة **أى** أنه بالتمسك بإتباعها سائرة على الطريق المستقيم الذى يوصل إلى المقاصد والأهداف المشروعة .

الدور العقائدى والأخلاقى والإجتماعى للمجتمع

يهدف الإسلام من منظور إجتماعى إلى وجود بيئة إجتماعية آمنة مستقرة بيئة خالية من الشوائب الإجتماعية والأخلاقية والسلوكية حتى يتاح للشخصية الإنسانية أن تتشرب سماتها الذاتية فى ظل مناخ إجتماعى سليم وأن ينشأ تنشئة إجتماعية صحيحة ومتوازنة إنسان قادر على العطاء من أجل التعمير والإعمار لكل مجالات الحياة .

الإستقرار النفسى والإجتماعى للإنسان

كان ولا يزال من أهداف الإسلام ومقاصده التى يعمل على تحقيقها فى واقع الحياة الإنسانية حتى يصبح الإنسان قادرا على العطاء الإنسانى المتجدد والفعال من أجل تعمير حياته وبناء مجتمعه .

إن الإستقرار الإجتماعى من منظور إسلامى هو القاعدة التى يقوم عليها بناء المجتمع بجهود أفراده بصورة إيجابية ومشتركة بعيدا عن عوامل التصادم والتعارض التى تحول دون الإلتقاءعلى هدف مشترك **وإن** التماسك الإجتماعى يقوم على ركائز إيمانية تتمثل فى المسئولية التضامنية التى تتصف بالغيرية والفاعلية والبعد عن مظاهر السلبية واللامبالاه وأن تزكية النفس الإنسانية عملية مستمرة

بإستمرار الحياة الإنسانية وهذه الإستمرارية مستمدة من سمو غاياتها ونبل أهدافها والت تتمثل فى إستقامة الحياة الإنسانية فة ظل القيم والأخلاقيات الفاضلة بحيث تصبح الحياة الإنسانية خالية من كل الشوائب التى تشوبها وتعوق السعى الرشيد للإنسان فيها بإعتبار أن التزكية تعنى التطهر من كل الشوائب والمثالب والعوائق التى تطفو على مسرح الحياة الإجتماعية وإن إهتمام الإسلام بالتعمير النفسى للإنسان بحيث يكون من الناحية النفسية والوجدانية إنسانا سويا تتآزر ملكاته وتتعاون إنسانا تتغلب فيه الخيرية على العدوانية تعلو فيه الإيجابية على السلبية يقوى فيه جانب البناء على معاول الهدم لأن مهمته فى الحياة مهمة مقدسة ألا وهى العبادة والطاعة والإستخلاف فى الأرض للبناء والتعمير ويصبح من غير المقبول أن يكون هذا الخليفة المختار غير مؤهل من النواحى النفسية والوجدانية والسلوكية لحمل أمانة الخلافة .

الأمن يعتبر أساسا قويا من أسس

الإستقرار النفسى

إن الأمن يعتبر بالمفهوم الشامل أساسا قويا من أسس الإستقرار النفسى للإنسان سواء كان الأمن الإقتصادى أو النفسى أو الإجتماعى أو الجنائى بإعتبار أن التأمين ضد الخوف والتأمين ضد الحاجة والجوع من عوامل الإستقرار النفسى والوجدانى للإنسان ومن ثم بناء مجتمع متماسك البنيان .

الإستقرار النفسى فى الحضارة الإسلامية

الأمة التى خلقها الله

قال : تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (آل عمران 110)

تلك هى الأمة التى خلقها الله وذلك هو المجتمع الذى كونته الإرادة الإلهية وهى الأمة التى عرفت المعروف وأنكرت المنكر وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر وآمنت قبل ذلك بالله تعالى فهى أمة لها رشد إنسانى ولها سلوك أخلاقى هى أمة أدركت ما يجب أن يفعل وما يجب ان يترك وأدركت الحقيقة الأولى الكبرى وهى الحقيقة الإلهية وتهذبت ففعلت ما يجب أن يفعل وتجنبت ما يجب أن يترك هى أمى لها إرادة ولها إختيار تفصل تفصيلا واضحا بين أنواع السلوك الإنسانى وتتخذ منه أحسنه وأقربه إلى تمثيل الإنسانية وإلى تحقيق خصائصها هى أمة إنسانية تسلك سبيل الرشد الإنسانى ولكنها لا تسير فى ضوء تحديد الإنسان للحياة وإنما تسير فى ضوء هداية الله هى لا تتعثر فى سلوكها الطريق لأنها لا تتبع الإنسان المحدود الإنسان الذى يخطىء ويصيب الإنسان الذى إن حاول أن يتجرد مما يؤثر عليه فى حكمه لا يتجرد وإنما يقع تحت التأثير بمؤثر ما لأنه وليد بيئة معينة ووراثة خاصة وتوجه حزبى أو طائفى أو مذهبى أفرادها يساقون إلى إتباع المعروف وتجنب المنر وإنما يسيرون مختارين فى طواعيتهم لهذا أو ذاك أمة أفرادها يدفعون إلى العمل وإلى الحركة بدافع ذاتى هو دافع الضمير القائم على الإيمان بالله والخشية منه والله الذى يؤمن به الأفراد ويخشونه هو مركز القيم العليا ومركز الكمالات كلها التى يتقرب إليها الأفراد بالتوجه نحوها ويتمثلوها فى تصرفاتهم وأعمالهم .

الأمن والطمأنينى فى المجتمع يقوم على الضمير

إن إعتماد الأمن والطمأنينة وفى العلاقات بين الأفراد يقوم أولا وبالذات على الضمير وعلى إدراك القيم وعلى إدراك الفرق بين المعروف والمنكر وليس على تلك السلطة الخارجية على ذوات الأفراد فهى أمة لها غاية خلقية إنسانية ومن أول قيامها تحددت أهدافها وغاياتها فى الحياة وهى الإنسانية والتهذيب وأفراد هذه الأمة فى

الوقت الذى نيط سلوكهم الخلقى والإنسانى بضميرهم وبما لهم من قوة ذاتية تدفع نحو العمل داخل أنفسهم حملوا مسئولية الرعاية بحيث إن كل فرد فيها راع لنفسه أو لنفسه ولغيره وبمسئوليته الرعاية هذه التى يحملها كل فرد من هذه الأمة توافرت عناصر الحرية الفردية كما توافرت عناصر الترابط المشترك بين الأفراد جميعا **إذ** نظام الحرية الفردية عندئذ ضمير الفرد وشعوره بمسئولية التصرف الذى يأتى به .

أما : عناصر الترابط المشترك فهى منبثقة من الرعاية التى أضيفت لكل فرد فى محيطه الخاص أو فى محيط آخر ليشمله ويشمل غيره وهو إذ يرعى نفسه فى محيطه الخاص يوفر لغيره حرمات الوجود المشترك **إذ** رعاية الفرد لنفسه هى غى أن يعرف حدود نفسه سزاء بحسب إمكانياته أو بحسب نطاق الحياة التى يعيش فيها.

فصل

الأخلاق والسعادة

الفارابى والنفس الإنسانية : تبنى الفارابى ومن تلاه من الفلاسفة تعريف أرسطو للنفس وسايره أفلاطون فى تقسيمها وتحليل وظائفها وقواها وأن النفس بطبيعتها نزوعا معينا ولما كانت تحس وتتخيل فلها إرادة كسائر الحيوان وأن الإختيار للإنسان فقط لأن الإختيار يقوم على الرؤية العقلية وميدانه ميدان العقل الخالص لكننا نلاحظ أن رأى الفارابى فى مثل هذا الإختيار قد يحمل نوعا من التناقض الظاهرى لأن هذا الإختيار متوقف على أسباب من الفكر والتعقل وهذا الفكر بدوره وبحسب أصله مقدر فى علم الله تعالى فكأنه إختيار من وجه وإضرار من وجه آخر غير أننا نريد أن نصحح الفهم فى هذه النقطة حيث يظنون أن علم الله تعالى بالأشياء أو الأفكار أو الأحداث قبل تحققها يسلب الإنسان الإختيار والواقع ليس كذلك إنما يكون هذا العلم سالبا للإختيار إذا علمه الإنسان مسبقا قبل حدوث الفعل ثم أتى بهذا الفعل تنفيذا لهذا العلم السابق ما يخص حقيقتة هو أن الإنسان يتجه إلى الفعل أولا ثم يتمه وبعد إتمامه يقول : إنه كان معلوما مقدرا من الله سبحانه وتعالى وذلك ليتملص من المسئولية ويحتج بالقدر لتبرير إنحرافاته أو أنواع تقصيره وهو فى هذا غير محق على الإطلاق .

مشكلة الإختيار الإنسانى والسعادة : ويدرك الفارابى صعوبة موقف الإنسان فى إختياره المبنى على التعقل والتفكير نظرا لأنه يقهر الشهوة والرغبات إلا قهرا ناقصا لأن المادة وتزيناتها تقف فى سبيله وتعوق مسيرته ولذلك لا تكتمل حرية النفس إلا إذا تخلصت من قيود المادة وتحررت من أغلال الضلال وسلمت من أسر الظلام وهنا تكمن السعادة العظمى التى يجب أن ينشدها الإنسان لذاتها وهذا يتم عندما تشتاق النفس إلى العقل الذى فوقها ولن ينال الإنسان مثل هذه السعادة إلا بممارسة الأعمال المحمودة الصالحة بطريقة إرادية متواصلة .

السعادة هى الغاية الأولى من الأخلاق

إن الفارابى ينشد فى تراثه السعادة لنفسه وللمجتمع الذى يعيش فيه وللمجتمعات التى تأتى من بعده ويرى أن السعادة هى الغاية الأولى من الأخلاق كما أنها قمة الإنجاز الإنسانى على هذه الأرض يقول : والسعادة أن تصير نفس الإنسان من الكمال فى الوجود بحيث لا تحتاج فى قوامها إلى مادة وذلك أن تصير فى جملة الأشياء البريئة عن الأجسام وفى جملة الجواهر المفارقة للمواد وأن تبقى على تلك الحال دائما إلا أن رتبتها تكون رتبة العقل الفعال وإنما تبلغ ذلك بأفعال إرادية بعضها أفعال فكرية وبعضها أفعال بدنية وليست بأفعال إتفقت بل أفعال محددة مقررة تحصل عن هيئات ما وملكات ما مقدرة ومحددة وذلك أن من الأفعال الإرادية ما يعوق عن السعادة

السـعادة : والسعادة هى الخير المطلوب لذاته وليست تطلب أصلا ولا فى وقت من الأوقات لينال بها شيء آخر وليس وراءها شيء آخر أعظم منها يمكن أن يناله الإنسان والأفعال الإرادية التى تنفع فى بلوغ السعادة هى الأفعال الجميلة والهيئات والملكات التى تصدر عنها هذه الأفعال هى الفضائل وهذه ليست خيرا لذاتها بل كما تجلب من سعادة والأفعال التى تعوق عن السعادة هى الشرور والأفعال القبيحة والهيئات والملكات الت ى تصدر عنها هذه الأفعال هى التناقض والرذائل والخسائس.

مفهوم القيم الأخلاقية

تمهيد : قبل الشروع فى الحديث عن القيم الأخلاقية لا بد من توضيح مفهوما لغويا فالقيم وإحداها بالكسر من قام يقوم وأصلها استقام أى إعتدل فهو مستقيم ومنه قول : الله تعالى (ذلك الدين القيم) (الروم 30)

أى المستقيم الذى لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق

وأما الخلق : فيطلق على ما يأخذ الإنسان به نفسه من الأدب مثل الطبع والسجية والعادة والتمرين فإذا ألف الإنسان شيئا صار خلقا له قال : أبو بكر الأنبارى الخلق فى كلام العرب على وجهين :-

أحدهما : الإنشاء على مثال أبدعه

الآخر : التقدير . وقال فى قوله : تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين) (المؤمنون 14) معناه أحسن المقدرين وقوله : تعالى (أنى أخلق لكم من الطين) (آل عمران 49) خلقه تقديره ولم يرى عيسى عليه السلام أنه يحدث معدما والخلق كما قال : الإمام : الفيروز آبادى الدين والطبع والسجية ويطلق على صفات النفس الباطنة قال : ابن منظور صاحب كتاب لسان العرب وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهى نفسه وأوصافها ومعاينها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعاينها وقال : الراغب الأصفهانى الخلق والخلق فى الأصل واحد كالشرب والشرب ولكن خص الخلق (بالفتح) بالهيئات والأشكال والصورة المدركة بالبصر وخص الخلق (بالضم) بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة والخلاق ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه قال : تعالى (ما له فى الآخرة من خلاق) (البقرة 102) وفلان خليق بكذا أى كأنه مخلوق فيه ذلك كقولك : مجبول على كذا أو مدعو إليه من جهة الخلق . قال : ابن منظور واشتقاق خليق وما أخلقه من الخلاقة وهى التمرين من ذلك أن تقول : للذى ألف شيئا صار ذلك له خلقا أى مرن عليه ومن ذلك الحسن

تعريف الأخلاق اصطلاحا

إذا كانت الأخلاق عند علماء الإجتماع هى مجرد القواعد السلوكية التى تسلم بها جماعة من الناس فى حقبة من حقب التاريخ فإن علماء الإسلام لهم تعريفات متعددة لمفهوم الأخلاق من حيث إرتباطها بالنفس وعلاقتها بالسلوك . فعرف ابن مسكويه الأخلاق بأنها حالة للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية قال : وهذه الحال منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدريب وعرفها أبو حامد الغزالى فقال : الخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا .

إذا الأخلاق هى مجموعة القيم والضوابط السلوكية التى تحكم مشاعر الفرد وعمله وتوجهاته فى الحياة وهى المعايير التى تجعل من عمله عملا صالحا أو عملا طالحا وتنشأ هذه الأخلاق بالطبع من معتقدات الإنسان وتوجهاته الفكرية والدينية ومن ثم فإن الأخلاق فى الإسلام هى مجموعة الأفعال والأقوال الحميدة التى وردت فى الشريعة الإسلامية من أجل بناء مجتمع إسلامى فاضل .

فائدة القيم الأخلاقية

إن علم الأخلاق يبين لنا الفضائل المختلفة ويشرح لنا فوائدها الجمة وكيف أن المتحلى بها يكون الإنسان المثالى ويكون أقرب إلى الله وأعلى منزلة وأنه يفعلها ويحيا حياة صالحة قويمة سعيدة .

أهداف علم الأخلاق

إن أهداف علم الأخلاق ليست قاصرة على تحديد الفضائل والرذائل وتوضيح الخير والشر بل من أغراضه المهمة التأثير فى إرادتنا وهدايتنا وحثنا على أن نشكل حياتنا ونصبغ أعمالنا حتى يتحقق المثل الأعلى للحياة ويتحقق خيرنا وكمالنا ومنفعة الناس وخيرهم فهو يقوى إرادة الإنسان ويشجعها على عمل الخير ولكن علم الأخلاق لا

ينجح فى ذلك دائما فهو إنما يؤثر أثره ويؤتى أكله إذا طاوعته طبيعة الإنسان الخيرة وفطرته السليمة ولقد حثنا النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم على هذه المعانى الراقية والمبادىء الفاضلة للوصول إلى أرقى مستويات الإنسانية فى ظل القيم الأخلاقية .

النظام الأخلاقى فى الإسلام

أولا : النظام الأخلاقى فى الإسلام . لقد ورد لفظ خلق فى القرآن الكريم مرتين فى

قوله : تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) (القلم 4)

وقوله : تعالى (إن هذا إلا خلق الأولين) (الشعراء 137)

أما : لفظة خلاق بمعنى الحظ والنصيب فقد وردت ست مرات فى أربع آيات قرآنية البقرة (102 – 200) آل عمران (77) التوبة (69)

وللأخلاق فى الحديث النبوى مكانة عظمى فقد عللت رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم بتقويم الأخلاق وإشاعة مكارمها وذلك فى الحديث الشريف " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " رواه البخارى

وقد عرف الدين يحسن الخلق فقد جاء فى حديث مرسل " أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم ما الدين ؟ فقال له حسن الخلق " وفى حديث آخر ربط بين الإيمان والخلق فقد أورد الإمام أحمد بن حنبل قول : " رسول الله صلى الله عليه وسلم إجابة عن سؤال أى الإيمان أفضل قال : حسن الخلق " كما أورد أبو داود فى سننه قوله : " صلى الله عليه وسلم " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا " .

علاقة الدين بالأخلاق

قد أشار البخارى فى صحيحه إلى علاقة الدين بالأخلاق فقال : ما أنزل الله إلا فى أخلاق الناس ويتصل بعلم الأخلاق النصائح والوصايا ويندرج تحت هذين الموضوعين كثير من الأقوال التى تنسب إلى شخصيات مهمة والتى تضمن مبادىء خلقية يمكن أن توضع إلى جانب الأمثال والحكم ومع ذلك توجد رسائل فى الأخلاق تتصل بصنف خاص من الناس أهمها ما يتصل بأخلاق ذوى السلطان وأخلاق أهل الورع رغم أن البعض يميز بين علم الأخلاق والزهد والتصوف ولعل أول أخلاقى العرب والمسلمين هو ابن المقفع المترجم المشهور ولكتاب كليلة ودمنة ويأتى بعده

إخوان الصفا والغزالى ونصير الدين الطوسى صاحب كتاب أخلاق ناصرى وابن مسكويه صاحب كتاب تهذيب الأخلاق وتنطوى هذه الكتب بصورة عامة على ذكر أمهات الفضائل الحلم والحكمة والشجاعة والعدالة وقد احتلت العدالة مكانة خاصة فى الفكر الأخلاقى الإسلامى وهناك صفات مشتركة بين هؤلاء الأخلاقيون عموما فهم ينزلون بعض الفضائل منزلة خاصة مستمدة من روح الإسلام مثل الإيثار القناعة بما قسم الله وضبط اللسان والصبر وهم يشتركون كذلك فى إعتبار الرذائل بمثابة أمراض نفسية وفى تشبيه الأخلاق بالطب وعلى هذا فعلم الأخلاق هو صناعة مداواة الأمراض النفسية وحفظ صحة المريض وغايته الحصول على السعادة

ويشترك هؤلاء الأخلاقيون المسلمون أيضا فى تقسيم الفضائل تقسيما منهجيا يقوم على تحليل قوى النفس فلكل قوة فضيلتها ورذيلتها وتعتبر الرذيلة ضد الفضيلة حينا أو أن الفضيلة وسط بين رذيلتين أحيانا وتلك هى نظرية الوسط بين الطرفين أحدهما إفراط والآخر تفريط .

فصل

تعريف الأخلاق فى الفكر الإسلامى

يعرف ابن مسكويه فى كتابه تهذيب الأخلاق الخلق (بالضم) بأنه حالة للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية ويقسم هذه الحالة النفسية المعبرة عن الخلق إلى قسمين : -

قسم طبيعى : وهو من أصل المزاج كالإنسان الذى يحركه أدنى شىء نحو الغضب ويهيج لأقل سبب وكالإنسان الذى يجبن من أيسر شىء فيفزع من صوت يطرق سمعه أو يرتاع لخبر يسمعه أو يغتم ويحزن من أيسر شىء يناله .

وقسم كسبى : يستفاد بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم استمر عليه الإنسان حتى صار ملكة وخلقا .

تقويم الأخلاق فى الإسلام

إن تقويم الأخلاق يعنى بالمصطلحات الإسلامية : الإستقامة وإصلاح النفس وتزكيتها وإرتبطت هذه المعانى بالتوبة والتقوى وإن تقويم الأخلاق والإستقامة وإصلاح النفس وتزكيتها لا يتم عن طريق التأمل والتفكير وحسب بل عن طريق التدرب للسيطرة على النفس الأمارة بالسوء وبذلك فتح أمام المتورطين فى الرذيلة والإثم لتغيير حياتهم إلى حياة فاضلة وقد أشار علماء المسلمين إلى أن هناك وسائل كثيرة لتقويم الخلق ولعل من أهمها معرفة أنواع الأخلاق الحسنة التى أمر بها الإسلام والأخلاق الرديئة التى نهى عنها فالحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع وما على المسلم إلا أن يعرف خلق الإسلام كما وردت فى النصوص الشرعية التى لا تتناقض مع العقل السليم ولا معا الفلسفة الصحيحة لأن الحق لا يضاد الحق على حد تعبير ابن رشد ولا يجب على المسلم أن يقصر على المعرفة النظرية المجردة لأنواع الأخلاق بل عليه أن يتخلق بخلق الإسلام وأن تكون معرفته النظرية دافعا له على الممارسة العملية للأخلاق الفاضلة لإتصالها بالإيمان بالله وتقواه فالتطبيق العملى للقيم الخلقية هو الأسلوب الفعال فى تقويم الأخلاق والتخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل والإهتمام بتقوية معانى العقيدة الإسلامية فى النفس

كالإيمان بالله واليوم الآخر مما يؤدى إلى تقبل النفس وإستجابتها للأخلاق الإسلامية فتبقى هذه الأخلاق ثابتة راسخة والقيام بالعبادات المفروضة فى الإسلام لأنها تزكى النفس وتطهرها من الأدران وتسهل عليها إكساب الأخلاق الفاضلة وطرد الأخلاق الخبيثة وتكلف الأخلاق الطيبة التى يريد الإنسان أن يتخلق بها حتى تصير معى مضى الزمن والصبر على تكلفها كالطبع والسجية وإتخاذ القدوة الحسنة وفى إطار مفهوم القدوة الحسنة يجب على الإنسان مخالطة ذوى الأخلاق الحسنة حتى يقتبس من أخلاقهم فالمرء يقتدى بمن يعاشر ويخالط ويترتب على ذلك ضرورة هجرة أصحاب الأخلاق السيئة ولا يمكن لإنسان أن يبرر إتصاله ببيئة فاسدة بحجة أنه متين الأخلاق لا يخشى على نفسه التأثر بهم أو بأخلاقهم لأن الإتصال بذوى الأخلاق الفاسدة يعرض للمعصية وسوء الخلق . إبداء النصيحة وقبولها من الآخرين إذا ما كانت تدعوا إلى فضائل الأخلاق التى أشار إليها الإسلام فالدين النصيحة وإن قبول النصيحة هو أحد سبل تقويم الأخلاق فى الإسلام وهكذا يمكن القول : بأن الإتجاه العام أو الغالب فى الفكر الإسلامى فيما يتعلق بالأخلاق هو القول : بإمكان تغيير الأخلاق وتقويمها وهذا الإتجاه هو المعبر بصدق عن روح الدين الإسلامى وتعاليمه وعلماء الإجتماع والفلسفة يؤكدون أن الضمير الخلقى والذى يعرف بأنه الحاسة أو القوة الفطرية المدركة المودعة فى باطن فرد أو الإنسان الداخلى الذى له الرياسة العليا على جميع مكونات الإنسان الداخلية أو الصوت المنبعث من أعماق الصدور أو الذات الإرادية على مجموع المحتوى العقلى .

هذا الضمير الخلقى يستطيع أن يقيد كل حركة قولية أو فعلية تصدر عند الإندفاع التلقائى وحتى هذا الضمير الخلقى قابل هو نفسه للتغيير والتبديل ولكن تختلف هذه القابلية بإختلاف دوافع الأفراد وقدراتهم وحظوظهم التربوية .

الإسلام ومصادر الإلزام الخلقى

إذا ما سلمنا بأن الإلزام والإلتزام ركنان أساسيان فى آية نظرية أخلاقية ناجحة فلنا أن نتسائل عن أهم مصادر الإلزام أو الإلتزام وعن موقف الإسلام من هذه المصادر

تتمثل أهم مصادر الإلزام أو الإلتزام الخلقى فيما يلى : -

أولا : رقابة المجتمع وتوقعاته . فكثيرا ما يجد الفرد نفسه ملزما بأن يسلك أو بأن يتصرف بطريقة معينة بسبب الضغط الذى يشعر به فى قرارة نفسه والذى يرجع إلى رقابة المجتمع وتوقعاته لما يجب أن يكون عليه السلوك والتصرف ولعل هذا الفرد لو تحرر من رقابة المجتمع لما سلك السلوك المتوقع منه ولذا كثيرا ما يسلك الأفرد خارج مجتمعاتهم أو فى البلدان التى يسافرون إليها سلوكا يخالف ما كانوا يسلكونه فى مجتمعاتهم الأصلية .

ثانيا : تعتبر العادات والأعراف والتقاليد الإجتماعية . مصدر إلزام وضغط على الفرد لأن يتصرف بطريقة معينة فالعادات والأعراف والتقاليد تكون مجموعة من القواعد التى درج عليها الناس فى مجتمع جيلا بعد جيل والتى تشعر كل فرد فيه بضرورة إحترامها وعدم مخالفتها خشية توقيع الجزاءات المتعارف عليها فى هذا المجتمع وحتى أكثر الناس قدرة على التحرر الفكرى يدرجون عليها طلبا لرضى المجتمع وتلبية لتوقعاته وفرارا من عقابه حفاظا على مركزه الإجتماعى .

ثالثا : القوانين الوضعية . التى تضع الحدود التى لا يجب تجاوزها بالنسبة لتصرفات الأفراد داخل مجتمع ما وتتميز القوانين الوضعية عن غيرها من مصادر الإلزام والإلتزام الخلقى فى أن السلطة الملزمة بالنسبة للقانون الوضعى تحدد فى شكل أجهزة يناط بها مراقبة مدى تنفيذ القوانين وتوقيع جزاءات معينة يفترض عدم التساهل فى تنفيذها فى حالة مخالفة هذه القوانين .

رابعا : الدين . وهو يعتبر أهم مصادر الإلزام والإلتزام الخلقى فقيم الدين ومثله وأوامره ونواهيه تضع حدود السلوك والتصرفات والأقوال وتتميز قوة الإلزام والإلتزام النابعة من الدين عن النابعة عن المصادر الأخرى فى أن النابعة من الدين تتسم بالعمومية والشمول والتدقيق والتمحيص والقدسية والإنسانية والخلود والثبات

إن الإسلام يعترف بتأثير كل المصادر أو بعضها إلا إذا تناقضت وتعارضت مع أصل من أصوله أو مع قاعدة من قواعده أو مع مثله العليا أو إذا ما تعارضت مع المصالح المؤكدة للفرد والمجتمع والإنسانية عامة أو إذا تطاولت على قدسية الدين فادعت لنفسها أو على الأخرى إدعى القائلون بها أن بإمكان هذه المصادر أن تستقل عن الدين فى معرفة الخير والشر وتحديدهما فهذه المعرفة كما أشرنا من قبل مرجعها النهائى هو الدين وبمعنى آخر يمكن القول لا يعارض أن يسلك الفرد حسب توقعات مجتمعه الصالحة بل على العكس يبارك هذا التوافق والإنسجام من جانب الفرد مع المجتمع الذى يعيش فيه مما يؤدى إلى زيادة التماسك ولكن كل ما فى الأمر أن الدين يحرص على طبع المجتمع بصبغته وتكييف حياته حسب مبادئه وتعاليمه بحيث تصبح توقعات المجتمع وعاداته وتقاليده وقوانينه وشرائعه موافقة لها فالإسلام لا يقبل العادات والتقاليد والأعراف السيئة .

الإسلام والحكم الخلقى

اختلف علماء الإسلام وغيرهم حول ما إذا كان العمل الخلقى تبعا لخيريته وشريته أو تبعا للمقاصد والنيات أو تبعا لنتائج الأعمال وقد ذهب جمهور الأخلاقيين المسلمين إلى إعتبار النية أو القصد الأساس الأول للحكم على خيرية العمل أو سريته وليس النتائج المترتبة على هذا العمل والنية كما فهمها المسلمون القصد المصمم أما مجرد الخاطر أو الهاجس النفسى فلا يعتريه ولا يؤاخذ عليه وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم قول : الرسول صلى الله عليه وسلم " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى " وقوله : صلى الله عليه وسلم " إن الله لا يؤاخذ الناس إلا بما كسبت قلوبهم " ويتضح معنى كسب القلوب بحديثه عليه الصلاة والسلام " عفى عن أمتى ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم به أو تعمل " . وفى هذا الصدد ينبغى أن يصحح الفهم الخاطىء عند البعض لقول : الرسول صلى الله عليه وسلم " إنما الأعمال بالنيات " حيث تصور هؤلاء أن مجرد التفكير فى الخير وعدم القيام بعمله فعلا يعد عملا أخلاقيا يثاب عليه أو أن الإنسان إذا لم يتسبب فى أذى الناس ولم يقم بآداء الصلاة أو غيرها من العبادات كان إنسانا خيرا وهذا فهم خاطىء لأن النية أو القصد فى الإسلام

تعنى أن يتوافق الفكر والسلوك أو بمعنى آخر لا ينفصل الفكر عن السلوك وقد يقول : قائل بأن نتيجة العمل لا ينبغى أن يكون لها الإعتبار الأول فى الحكم الأخلاقى فإن كانت النتيجة خيرا حكم على صاحب العمل بالخيرية وبالعكس وفى تصورى القائل هو الدكتور : محمد فريد حجاب أن هذا الرأى مهما كانت حججه ومبرراته مناف لروح الإسلام التى تحث الناس على الإجتهاد وعدم التردد فى القيام بالأعمال التى تتفق مع النوايا الطيبة وأقل عيوب هذا الرأى هو جعل الإنسان يتردد قبل أن يقدم على أى عمل وليس معنى هذ بطبيعة الحال عدم أخذ النتائج فى الإعتبار .

الفرق بين النية الخالصة والنية السيئة : ولكن هناك فرقا على الأقل بين النية الخالصة والنية السيئة وبين العمل المقصود والعمل غير المقصود وإذا كانت النتيجة حسنة ونتيجة العمل غير موافقة للنية فللإنسان أجر المجتهد المخطىء وهو بلا شك دون أجر المجتهد المصيب ومن المبادىء المتفق عليها عند علماء الفقه **أن** الأصل فى الأشياء الإباحة ما لم يرد من الشارع نص يقيدها بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة فالخير والشر صفتان طارئتان على الفعل والمدد لها هو الشرع وعلى آية حال يمكن القول : بأن المقاييس الخلقية التى يتقبلها الإسلام تتمثل فى :-

أولا : مقاييس النية الحسنة . فالعمل يكون خيرا إذا كان الباعث عليه والدافع له والقصد منه خيرا ويكون العمل شرا إذا كان القصد والدافع والباعث شرا

ثانيا : مقاييس الواجبية . فالعمل يكون خيرا إذا كان الباعث عليه هو الرغبة فى آداء الواجب لذاته ويكون شرا إذا كان الباعث عليه الرغبة فى تحقيق مطامع ورغبات منبعها الهوى والأنانية الشخصية والمصالح الذاتية التى تتعارض مع مصالح الآخرين المشروعة والإسلام لم يحرم أحد من مطلب المنافع بشرط أن تكون فى دائرة الواجب وفى حدود ما أحل الله تعالى **.**

أما :أن يطلبها الفرد حسب رأيه ولتحقيق أنانيته فضلال فى نظر الإسلام .

ثالثا : مقياس إطمئنان النفس . فالفعل يكون خيرا إذا إطمأنت النفس إليه فى حدود تعاليم الإسلام وقيمه وفى هذا يقول : الرسول صلى الله عليه وسلم " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " ولما سئل صلى الله عليه وسلم " عن الخير أجاب البر ما إطمأنت

إليه النفس وإطمأن إليه القلب والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك " .

رابعا : مقياس النفع العام . فيكون الفعل خيرا إذا كان هدفه تحقيق منفعة عامة وخدمة عدد كبير من الناس ويكون شرا إذا كان غرضه جلب الضرر العام هذه هى أهم مقاييس للحكم على التصرفات الأخلاقية التى تنسجم مع روح الدين الإسلامى

أما : المقاييس التى لا يقرها الإسلام فهى المقاييس الخلقية فى المذاهب غير الإسلامية مثل اللذة والألم والمنفعة الشخصية والرهبنة وما ينطوى تحتها من زهد وتقشف مبالغ فيه .

الصفح والعفو والمغفرة فى الإسلام

الصفح والعفو والمغفرة فى الإسلام : فهو اعتراف بوجود الأذى ووجوب رده ثم الصفح تفضلا ويستخلص هذا من قوله : تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله) (الشورى 40)

ومن قوله : تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) (النحل 126)

فالعدالة فى الإسلام رد الأذى وعقاب الجريمة والعفو عنها أمر زائدا على العدالة وقد جاءت تعاليم الإسلام لا لتقضى على الفطرة بل لتهذب هذه الفطرة وتأخذ بيد الإنسان فى طريق الخير والحضارة ناظرة إلى نفع المجتمع بأسره الذى لا يستغنى عن ضرورة توقيع العقاب العادل على المعتدى والمجرم مع محاولة السيطرة على النفس حتى لا تتمادى فى العقاب والإنتقام بالدعوة إلى ضبط النفس وإعمال العقل (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) (آل عمران 134)

وهكذا نجد أن الإسلام فيما يتعلق بالأعمال الخلقية ومقاييس الحكم عليها ودوافعها لا يتعارض مع الطبيعة البشرية وما جلبت عليه ولكنه يهدف إلى ضبط هذه الأعمال بما يؤدى إلى حفظ المصالح العامة والخاصة فى آن واحد .

الإسلام والمسئولية الخلقية

الإسلام والمسئولية الخلقية : لا بد من توافر ثلاثة شروط لكى يكون الإنسان مسئولا عن أفعاله خلقيا وهذه هى الشروط : -

أولا : العقل أو القدرة على الإدراك والتمييز . وهذا يعنى أنه لا مسئولية خلقية وبالتالى لا تكليف على المجنون والمعتوه والنائم والصبى الذى لم يبلغ سن التمييز ويدل على ذلك قول : الرسول صلى الله عليه وسلم " رفع القلم عن ثلاث النائم حتى يستيقظ والصبى حتى يبلغ والمجنون حتى يفيق " .

ثانيا : بلوغ الدعوة إلى الفرد لكى يعرف أنواع الخيرات وانواع الشرور . فإن لم تبلغ الدعوة فقد المسئولية الخلقية على أساس أنه لا تكليف قبل ورود الشرع (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (الإسراء 15)

ثالثا : حرية الإرادة والإختيار . حيث تشبه الإرادة بالنسبة لعلم الأخلاق بالسببية بالنسبة للعلوم الطبيعية فالإرادة هى مصدر الفعل الأخلاقى وهى المواجهة له وبقدر ما يتوفر للفرد من إرادة تكون مسئوليته وتبعاته الخلقية والإتجاه العام فى الفكر الإسلامى هو إعتبار حرية الإرادة والإختيار شرطا أساسيا من شروط المسئولية الخلقية والنصوص الدينية تؤكد مبدأ حرية الإختيار والإرادة للفرد ومسئوليته عن أفعاله وإذا احتج البعض بآيات قرآنية لإثبات الجبرية فإن الجبرية تتعلق بعلم الله سبحانه وتعالى ولا تحد من حرية إرادة الإنسان أو تتعلق بالقوى الفطرية الموجودة فى الإنسان ولا تتعلق بالقوى الكسبية الموجودة فى الإنسان والنصوص القرآنية التى تؤكد حرية الإرادة أكثر من أن يتسع لها هذا المقام ولكن نذكر بعضا منها

قوله : تعالى (ولا تكسب كل نفس إلا عليها) (الأنعام 164)

وقوله : تعالى (ومن يكسب اثما فإنما يكسبه على نفسه) (النساء 111)

وقوله : تعالى (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) (الإنسان 3)

المسئولية الخلقية والجزاء الخلقى

المسئولية الخلقية والجزاء الخلقى : ويرتبط بالمسئولية الخلقية الجزاء الخلقى فالمسئولية والجزاء مرتبطان تمام الإرتباط والجزاء لغة هو المكافأة على العمل

وفى علم الأخلاق هو ما يترتب على عمل الإنسان من ثواب فى الخير وعقاب فى الشر ومن الجزاء ما يناله الإنسان فى الدنيا ومنه ما يناله فى الآخرة أو بمعنى آخر جزاءا عاجل وجزاء آجل ومن الجزاء ما هو مادى ومنه ما هو معنوى أو مادى ومعنوى معا وقد فصل الإسلام أنواع الجزاء التى تصيب الإنسان بسبب تصرفاته وأفعاله وأقواله الخلقية .

الأسس التى تقوم عليها القيم الإسلامية

لا شك أن القيم التربوية الإسلامية تهدف إلى رعاية الإنسان فى جوانبه العقلية والوجدانية والعلمية واللغوية والإجتماعية والدينية وتوجهها نحو الصلاح والوصول إلى الكمال وهذه القيم تقوم على أسس ثلبتة واضحة تحقق للإنسان إنسانيته ككائن حظى بالتكريم من الله عزوجل هذا التكريم الذى تجسد بمنحه العقل وأمانة الإستخلاف فى الأرض ويعيش فى ظلال طاعة الله وحمل النفس على تنفيذ مراده فى هذا الكون قال : تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) (الإسراء 70)

هذا من تشريفه لبنى آدم وتكريمه إياهم

تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى : ومن أبرز هذه الأسس التى سعى الإسلام إليها تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى فى حياة الإنسان على المستوى الفردى والجماعى بما يعود على النفس بالخير والعافية فهو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة قال : تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (البقرة 21)

والعبادة هنا عبارة عن توحيده وإلتزام شرائع دينه والسير على النهج الذى رسمه الشرع لتحقيق أقصى درجات الكرامة للإنسان فى الأرض وأصل العبادة الخضوع والتذلل والإستكانة وقال : تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) **(الذاريات 56)** .

والمقصود بالعبادة معرفة الله تعالى والتوجه إليه بالطاعة والأعمال الصالحة

صياغة شخصية الفرد المسلم : ومن هذه الأسس صياغة شخصية الفرد المسلم

ولا شك لأن قيام الإنسان بمهامه المختلفة لعمارة الكون وفق مبادىء وأحكام الشريعة الإسلامية بهدف صياغة شخصية الفرد المسلم تحقيقا لقوله : تعالى (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) (هود 61)

فإن ذلك يقوم على نسق متكامل من الأسس التى تغذى بناء تلك الشخصية فى جميع أبعادها المتفاعلة بحيث تنهض بمهامها على الوجه الأكمل ولقد جاءت سورة العصر لتجسيد القيم التربوية الإسلامية فى صورتها الفعلية القائمة على الإيمان قال : تعالى (والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (سورة العصر)

فقد رسمت تلك السورة الإطار المتكامل لحركة الإنسان وقيامه بعمارة الحياة يقول : أمير الشعراء أحمد شوقى

صلاح أمرك للأخلاق مرجـــعه   فـــــقوم النفس بالأخلاق تستقم
والنفس من خيرها فى خير عافية   والنفس من شرها فى مرتع وخم

فصل

الضمير فى الفكر الإسلامى

الضمير : لغة اسم مشتق من أضمر فى نفسه شيئا . **ومن ثم** فالضمير يطلق على مكنون النفس .

أما الضمير : بمعناه الواسع الشامل فيظهر فى اللغة الإنجليزية بمعنى الوعى الموجود داخل النفس والذى يمكن المرء من الإختيار بين الصواب والخطأ وقد يوجد بين مجموعة من الأشخاص وعلى هذا الأساس يمكن الحديث عن الضمير الفردى والضمير الجماعى .

علاقة الضمير بالقلب والفؤاد

القلب فى لسان العرب : الفؤاد أو هو صفة من الفؤاد معلقة بالنياط . وسمى القلب قلبا لتقلبه بمعنى تحويل الشىء عن وجههومنه قوله : تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) (الأنعام 110)

وقد يعبر بالقلب عن العقل ومن ذلك قوله : تعالى (أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) (الحج 46)

وقوله : تعالى (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) (ق 37)

حيث فسر هنا بمعنى العقل على ما ذكره الفراء فى لسان العرب وفى مختار الصحاح وعلى ما ذكره السيوطى فى تفسير الجلالين وقد احتل القلب والفؤاد مكانة مهمة لدى شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام بإعتبارهما أى القلب والفؤاد موطن السر والعلن ومكان الفرح والحزن ومحل الطهر والإيمان والطاعة والزيغ وموطن الشك واليقين.

الإسلام والضمير

يمكن القول : بأن ضمير الإنسان هو ما عناه ابن مسكويه ـ بالأمور الإرادية التى تتعلق بها قوة التفكير والتمييز وهى ما يطلق على النظر فيه الفلسفة العملية

وفـى هـذا يقـول : والأشـياء الإراديـة التـى تنسـب إلـى الإنسـان تنقسـم إلـى الخيـرات والشرور وذلك أن الغرض المقصود من وجود الإنسان إذا توجه الواحد منا إليه حتى يحصل هو الذى يجب أن يسمى به خيرا أو سعيدا .

أما : من عاقه عنها عوائق أخر فهو الشرير الشقى فإذا الخيرات هى الأمور التى لها أوجد الإنسان ومن أجلها خلـق والشـرور هـى الأمـور التـى تعوقـه عـن هـذه الخيـرات بإرادته وسعيه أو كسله وانصرافه ومـن ثـم فـإن ضـمير الإنسـان إذا دفعـه إلـى تحقيـق أعماله وأفعاله وتقصر عما خلق له أو أن تكون أفعالـه التـى تصـدر عنـه وعـن رويتـه غير كاملة أحرى بأن يحط عن مرتبة الإنسانية إلى مرتبة البهيمية .

أما : إذا صدرت أفعاله بصد مـا أعد لـه وقـام بفعـل الشـرور بـالرويـة الناقصـة وعدل بهذه الأفعال عن جهتها الصـحيحة طلبـا للشـهوة التـى يشـارك فيهـا البهيمـة أو إغتـرار بـالأمور الحسـنة وشـغل نفسـه عـن تزكيـة نفسـه التـى ينتهـى بهـا إلـى الملـك الرفيـع والسرور الحقيقى وعن أن توصله إلى قرة العين التى قال : الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) (السجدة 17)

وعـن أن تبلغـه إلـى رب العـالمين فـى النعيم المقيم واللـذات التـى لـم ترهـا عـين ولا سمعتها أذن ولا خطرت على قلب بشر وإنخدع عن هذه الموهبة السرمدية الشريفة بتلك الخساسات التى لا ثبات لها فهو حقيق بالمقت من خالقه عزوجل خليق بتعجيل العقوبـة لـه وإراحـة العبـاد والـبلاد منـه وعلـى هـذا يرتـب ابـن مسـكويه السـعادة لكـل موجود على صدور أفعالـه التـى تخفـى صـورته عنـه تامـة كاملـة **وأن** سـعادة الإنسـان تكون فى صدور أفعاله الإنسانية عنه بحسب تمييزه ورويته وأن لهذه السعادة مراتب كثيرة بحسب الروية والمروى فيه ولذلك قيل أفضل الروية ما كان فى أفضل مروى ثم ينزل رتبـة فرتبـة إلـى أن ينتهـى إلـى النظـر فـى الأمـور الممكنـة فـى العـالم الحسـى فيكون الناظر فى هذه الأشياء قد إستعمل رويته والصورة الخاصة به التى صـار مـن أجلهـا سـعيدا معرضـا للملـك الأبـدى والنعيم السـرمدى فـى أشـياء دنيئـة لا وجـود لهـا بـالحقيقة .

ضمائر الناس تنقسم بحسب الخيرات والشرور

ضمائر الناس تنقسم بحسب الخيرات والشرور : ويمكن أن نستخلص من ذلك أن ضمائر الناس تنقسم بحسب الخيرات والشرور فى الأفعال الإرادية التى تكون إما بإختيار الأفضل والعمل به وإما بإختيار الأدون والميل إليه على حد قول ابن مسكويه.

الضمير والمسئولية

الضمير والمسئولية : يمكن القول بأن الضمير هو البصيرة وقد يمر الإنسان ببصره على كثير من الآيات والدلائل ولا يحس بها ولا يدرك حقيقتها لأن بصيرته مظلمة وقد انكشف له الحقائق فيراها أمامه جلية واضحة ببصيرته وقلبه فيدرك أبعادها ويفهم دقائقها .

البصيرة هى القوة التى تقف وراء العقل

البصيرة : هى القوة التى تقف وراء العقل وهذه البصيرة عقل من ناحية ووجدان من ناحية أخرى أو بمعنى آخر هى القوة التى تقف وراء العقل والبصيرة لدى المؤمن رؤية إيمانية أو نور يقذفه الله فى القلب على حد تعبير الإمام الغزالى فيضىء القلب بنور الإيمان فيرى الوجود بعين البصيرة ويدرك الحقيقة من الداخل وقد ارتبط لفظ البصيرة فى القرآن الكريم بمعنى الإحاطة بكوامن النفس وورود اللفظ فيه ليعبر عن المسئولية الكاملة بالنسبة للإنسان قال : تعالى (بل الإنسان على نفسه بصيرة)

(القيامة 14) .

ولأن البصيرة هى ضمير الإنسان وقلبه فقد استخدم القرآن الكريم لفظ القلب فى تحديد المسئولية عن العمل فى قوله : تعالى (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم)

(البقرة 225) .

وفى قوله : تعالى (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم)

(الأحزاب 5) .

فالكسب والعمد كما يقول الدكتور : الجوزو لفظان يدلان على إرادة الفعل والأول يرتبط بالنية ومحلها القلب والثانى يدل على العزم والتصميم والقصد وهذا مناط

المسئولية فى الإسلام فالقلب المبصر هو المؤشر الحقيقى للتفرقة بين الخطأ والصواب وبين الخير والشر وهو معنى الضمير بلا ريب ولما كان القلب هو محل الإثم والإيمان والإسلام والنفاق والمرض والهوى والتذكر والحب والكره والرحمة والغلظة والتسامح والحقد والسكينة والقلق والطمأنينة والخوف والتأليف والعداوة واللين والغلظة والرحمة والقسوة فإنه أى القلب يتعرض للمواقف الكبيرة التى تظهر حقيقته لأن الله تعالى يمتحن القلوب ليقيم الحجة على أصحابها يمتحنها بالإبتلاء والإختبار والفتنة ومن صفاته السيئة الريبة والزيغ والغفلة وحب الكفر ومن صفاته الطيبة السلامة والطهر وحب الإيمان والتقوى .

الباب السادس

التربية وبناء الحضارة

التربية وإصلاح المجتمع

تمهيد : التربية من رب وربيب ومنه رب الولد أو ربه أو تربيه بمعنى رباه وأحسن القيام عليه حتى أدرك والتربية أيضا من ربا وربا الشىء بمعنى زاد ونما وأربينه نميته وفى القرآن الكريم قوله : تعالى (ويربى الصدقات) (البقرة 276)

ومنه أخذ الربا المعروف قال : تعالى (وما أتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله) (الروم 39)

وربا السويق ونحوه ربوا أى صب عليه الماء فانتفخ وقوله : عزوجل فى صفة الأرض (اهتزت وربت) (فصلت 39)

قيل معناه عظمت وانتفخت والربو والربوة والربا والرابية والرباه كل ما ارتفع من الأرض وفى الحديث " ربوة الجنة " أى : أرفعها وقال : الأصمعى ربوت فى بنى فلان أى : نشأت فيهم وربيت فلانا أربيه وربيته وتربيته أى غذوته ويقال :هذا لكل ما ينمى كالولد والزرع ونحوه وقال : ابن الأعرابى ربيت فى حجره وربوت ربا وفى القرآن الكريم (ألم نربك فينا وليدا) (الشعراء 18)

وفى الحديث الشريف " لك نعمة تربها " بمعنى : المحافظة والرعاية كما يربى الرجل ولده وفى حديث سيف بن ذى يزن أسد تربب أى تربى فالتربية : لغة هى تعهد الطفل بالتغذية والرعاية والتهذيب حتى يشتد عوده ويصبح قادرا على مواجهة أعباء الحياة **ومن ثم** تشمل التربية النواحى الجسمية والعقلية والروحية والأخلاقية

تحديد معنى كلمة االتربية

قد عنى العلماء والفلاسفة والمفكرون منذ أقدم العصور بتحديد معنى هذه الكلمة منن الناحية الإصطلاحية ولكنهم لم يستقروا على تفسير واحد وذلك شأن كل المصطلاحات المجردة أو القيمية والمعيارية فقد ذهب البعض إلى القول : بأن التربية تعنى التربية الكاملة الشاملة للبدن والعقل فقال : أفلاطون بأن التربية هى إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال والكمال وهناك من قصر التربية على

الجوانب الروحية والوجدانية مثل جولد سيمون الذى عرف التربية بأنها الطريقة التى بها يكون العقل عقلا ويكون القلب قلبا ونظرآخرون إلى البعد المهنى للتربية فقال : جون ملتون إن التربية الكاملة هى التى تجعل الإنسان صالحا لآداء أى عمل عاما كان أو خاصا بدقة ومهارة ومن المفكرين من يقصر عملية التربية على تربية الأطفال وتنمية قواهم تنمية كاملة ملائمة فقال : هسلى إن التربية هى القوى الطبيعية للطفل كى يكون قادرا على أن يقود خلية سعيدة ويبدوا هذا التعريف قريبا من تعريف جيموئل : الذى يذهب إلى القول : بأن التربية هى إعداد الفرد ليسعد نفسه أولا وغيره ثانيا ولعل أدق تعريفات التربية ما قاله : جون ديوى من أنها عملية تكيف ما بين الفرد والبيئة بمعنى أنها صوغ وتكوين لفعالية الأفراد ثم صبها فى قوالب معينة وتحويلها إلى عمل إجتماعى مقبول من الجماعة .

المفهوم العام والخاص للتربية

المفهوم العام والخاص للتربية : ويمكن القول بأن المفكرين فيما يتعلق بنعريف التربية يتراوحون بين المفهوم العام للتربية وبين المفهوم الخاص والتربية بمفهومها الخاص يقصد بها إنتقال الأسس التربوية والثقافية من جيل لآخر وفى المعنى الخاص يقتصر مفهوم التربية على الجهود التى يبذلها الكبار فى مجتمع ما لتثقيف الناشئين فيه وتقويم أخلاقهم بمعنى آخر ينحصر مفهوم التربية فى مجهودات المربين والمدرسين والفنيين .

أما التربية بمفهومها العام : فتشمل كل ما تحدثه عوامل التربية الوراثة والبيئة والإرادة من آثار فى تنمية قدرات الإنسان وإستعداداته سواء أكانت هذه الآثار عن قصد أم عن غير قصد فالتربية بمفهومها العام كما يقول : جون ستيوارت مل تشمل كل ما نعمل لأنفسنا وكل ما يعمله غيرنا بقصد تقريبنا من كمالنا الطبيعى فهى بأوسع معانيها تشمل الآثار التى تحدثها الأخلاق ونظم الحكم والقوانين والفنون والصنائع وأنماط الحياة الإجتماعية والعوامل الطبيعية كالمناخ وطبيعة الأرض وموقع البلاد الخاص ورغم أن جون ستيوات أنكر التربية بمفهومها العام على حد قول : صالح عبد العزيز فى تطور النظرية التربوية وفصل معه آخرون المفهوم الخاص لها إلا

أن الكثيرين من علماء التربية ... يرون أن التربية بمعناها الخاص لا تثمر كثيرا فى بناء الشخصية الإنسانية الكاملة ما لم تنسجم مع التربية العامة التى هى عبارة عن المؤثرات الإجتماعية وفى هذا الصدد يقول : س إليوت إن المدارس تستطيع أن تنقل إلى تلاميذها جزءا من الثقافة فحسب ولا يكون هذا النقل مثمرا إلا إذا كانت العوامل الخارجية فى انسجام تام معها ولا يقصد بهذه العوامل الخارجية مجرد الأسرة والبيئة بل عوامل أخرى كالعمل والصحافة والمشاهد العامة والإستعراضات واللعب ووسائل التسلية .

ضرورة التربية

ضرورة التربية : التربية نظام إجتماعى ينبع من فلسفة كل أمة وهو الذى يطبق هذه الفلسفة أو يبرزها إلى الوجود على حد قول الدكتور: أحمد فؤاد الأهوانى فى كتابه التربية ضرورة من ضروريات الحياة بها يكسب الإنسان مقوماته النفسية والإجتماعية وبها يحقق إمتيازه عن سائر الحيوانات وهى ضرورة فردية وإجتماعية فهى ضرورة فردية لأن الفرد فى بدء حياته لا يعتبر إنسانا إجتماعيا كاملا أو ناضجا فيتعين علي عليه عن طريق التربية العيش فى المجتمع والتكيف معه وهى ضرورة إجتماعية لأن شخصية المجتمع ومدى تماسكه يتوقفان على نمط التربية السائدة فى المجتمع وما يرتبط بهذا النمط من قيم وتصورات للحياة الإجتماعية وأهدافها وبمعنى آخر فالتربية هى المعبرة بحق عن روح الجماعة وعن التربية كما يقول الشيخ : حسن المرصفى فى رسالة الكلم الثمان تتوقف سعادة الأمة وغناها وبها تعرف الأمة معنى المساعدة العامة التى هى مبدأ كل خير وأصل كل سعادة .

التربية المنطلق الصحيح لإصلاح المجتمع

تعتبر التربية المنطلق الصحيح لإصلاح المجتمع والبداية الصحيحة فى تكوين المجتمع الصالح وكل من يهمه أمر الإصلاح يعتنى بقضية التربية بمدلولاتها ومفهوماتها المختلفة من تربية الفرد وتربية الأسرة وتربية المجتمع وتربية الإنسان على حد تعبير : عبد الله علوان فى الجزء الأول من كتابه الأولاد فى الإسلام

ولا يجب أن ننظر إلى التربية بإعتبارها لونا من ألوان الترف أو شكلا من أشكال المتع الجمالية بل يجب أن ننظر إليها بإعتبارها ضرورة من ضروريات الحياة يتوقف على نجاحها النضوج العلمى للفرد وتقدمه الإجتماعى وعليها تعتمد الشعوب فى نهضتها ورقيها فالحضارة لا تستورد ولا تستعار بل تحتاج إلى جهد وعناء وكد ومثابرة لتحصيل أسبابها وتوفير المناخ الملائم لنموها والسبيل إلى ذلك هو التربية ونظرا لأهمية التربية وضرورتها فقد ظهر مصطلح التربية المستمرة وقد أقر المؤتمر العام لليونسكو فى الدورة السادسة عشرة عام 1968المفهوم الأساسى للتربية وجميع صور التربية النظامية أو المدرسية واللا مدرسية بل يشمل جميع سياسات التطور الثقافى بوضع الخطط المتكاملة .

مفهوم التربية المستمرة

مفهوم التربية المستمرة : ولعل أول ما يتضمنه مفهوم التربية المستمرة كما قال الدكتور : عبد العزيز البسام فى مقال له حول التربية المستمرة مدى الحياة هو عدم إقتصار التربية على طور معين من أطوار الحياة للإنسان بمعنى أن لا تقتصر الإهتمامات التربوية على مراحل الطفولة الثانية والمراهقة ومطلع الشباب بل تهتم أيضا بمرحلة الطفولة الأولى وما بعد مطلع الشباب وهكذا يتيح هذا المفهوم للأفراد فى هاتين المرحلتين الإفادة من التربية بأنماط مناسبة كما لم تعد الأنظمة التربوية فى ضوء هذا المفهوم قاصرة على المدارس والمعاهد والجامعات بل إمتد ليشمل البيت والحى وموقع العمل والنادى الثقافى والرياضى ودور الحضانة ورياض الأطفال .

فصل

أهداف التربية الإسلامية واصلاح
الفرد والمجتمع

ترتبط أهداف التربية بضرورتها إرتباطا وثيقا وقد إهتم الباحثون والمفكرون بأهداف التربية ولكنهم إختلفوا حول تصنيف هذه الأهداف أو تقسيمها فركز بعضهم على جانب معين بينما ركز آخرون على جوانب أخرى ولا تخرج أهداف التربية فى الإسلام عن الأهداف التالية .

أولا : الأهداف الروحية والخلقية . بمعنى أن الغرض الأساسى من التربية هو تطهير النفس وصفاء الذات والإتصال بالله تعالى وفى آداب المريدين : لابن عربى

إن غاية التربية فى الإسلام تتحدد على هذا الأساس فى غرس الأصول النفسية النبيلة وكذلك الوصول إلى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقى من التربية فى الإسلام

كما ذكر الأستاذ : محمد عطية الإبراشى فى كتابه التربية الإسلامية وقد اتفق علماء التربية الإسلامية على أن الغرض من التربية والتعليم ليس حشو أذهان المتعلمين بالمعلومات بل الغرض هو تهذيب أخلاقهم وتربية أرواحهم وبث الفضيلة فيهم وتعويدهم الآداب السامية وإعدادهم لحياة كلها إخلاص وطهارة .

ثانيا : الأهداف المادية والنفعية . يعنى أن الغرض من التربية هو إعداد الناشئين للعمل وكسب العيش وهو عرض لا يمكن إنكاره لأنه وسيلة للحياة وحفظها والتربية بهذا المعنى أفضل وسيلة لتحقيق هذا الغرض .

ثالثا : النمو الفردى وتحقيق الذات . بمعنى أن غرض التربية هو تنمية مدارك الفرد لتحقيق ذاته وتكوينه تكوينا كاملا مما يؤدى إلى إعتماده على نفسه وقد قال : حاجى خليفة فى كتابه (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون) حول هذا المعنى والعلم ألذ الأشياء وأفضلها وقال : فى موضع آخر ليس الغرض من الدرس تحصيل الرزق فى هذه الدنيا ولكن الغرض الوصول إلى الحقيقة وتقوية الخلق وهو يعنى بذلك تحقيق الإنسان لذاته من خلال الوصول إلى الحقيقة العلمية والخلق الكامل .

رابعا : الأهداف الإجتماعية . بمعنى أن هدف التربية دعم حسن الإحترام للآخرين وتعزيز روح التفاهم بين أفراد المجتمع وقد أشار العلماء المسلمون إلى أهمية التعاون بين أفراد المجتمع لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده وقد كانت نقطة البدء فى نظرية : ابن خلدون أن المجتمع ظاهرة طبيعية ولا بد للإنسان من الإجتماع فى المدنية وهو معنى العمران وجعل ابن خلدون التعاون شرطا لبقاء النوع الإنسانى.

سعادة الأمة وغناها مرتبطان بالتربية

قد ربط : حسين المرصفى فى رسالته الثمان بين هذه الفكرة وفكرة التربية فقال : فالناس بين مزاحمة تقتضى عداوة ومساعدة تقتضى محبة وهما الأصل الذى تدور عليه جميع أعمال الإنسان فيجب إعتبارهما وإدامة ملاحظتهما ومحاولة إضعاف الأولى إذ كانت أصل كل ضرر وتقوية الثانية إذ كانت أصل كل منفعة وسعادة الأمة وغناها مرتبطان بالتربية منذ الصغر يلقنها كبار الأمة ومعلموها لصغارها المتعلمين يمكنونها نفوسهم ويمزجونها بدمائهم فلا شك تكون الأمة الناشئة بتلك التربية عارفة معرفة نافعة بمعنى المساعدة العامة التى هى مبدأ كل خير وأصل كل سعادة .

وأما الكمال : الذى هو غاية التربية فهو ليكون ملحوظا للمربى ومطلوبا للمربى ومعتبرا فيما به التربية أن يرى الإنسان رؤية تامة ويجده فى طبعه وجدانا ثابتا أن أمتة بمنزة جسم هو بعض أعضائها فكما أن لكل عضو من أعضاء الجسم وظيفة يؤديها بالطبع لا يرى بعض الأعضاء لعمله شرفا ولا يرى الآخر فى عمله خسة كذلك أشخاص الأمة يجب أن يكون كل ماضينا فى وظيفته يعرف أنه لا يمكن أن يصل إلى كمال منفعته إلا بعد كمال منفعة الأمة كما أن العضو لا يصل لمنفعته إلا بمنفعة الجسم وكل وهن يلحق عضوا من الأعضاء فإنه يؤلم سائرها ويشعر بذلك ويطلب الخلاص منه كذلك الأشخاص لكن لكون الإرتباط بينهم معنويا ليس محسوسا كإرتباط الأعضاء فربما يألم الشخص بألم غيره ثم لا يدرى من أين أصيب أو يدرى ويغالط نفسه فذلك هو الكمال الإنسانى ومآله أن يعرف معنى المساعدة وأسبابها

ويكون عمله لها دائما لا ينصرف ذلك عن فكره وإذا تقرر ذلك فالبيان يستدعى ثلاثة أبواب :-

باب للإنسان المربى وهو الشيخ وكيف يجب أن يكون

باب للإنسان المتربى وكيف يجب أن يكون

وباب لما به التربية . أشار الشيخ :حسين المرصفى.إلى قريب من هذا المعنى حين فى رسالته المشار إليها من قبل بأن المربى هو إنسان أكملته التربية يحاول أن ينقل صورته ونظام أحواله إلى غيره ليكون خلفا منه فإن لم يكن وهو غير كائن فإن أمر التربية مهمل والناس متركون للصدفة وكيف لا وليس لأحد فكر فى معنى الوطنية والحماية والإنسانية **إذ** غاية الواحد أنه متردد بقائد الضرورة وسائقه الحاجة فى تحصيل ما يعيش به ويمسك رمقه وقد نزع فى طبعه حب النزاع والإستيلاب والإغتصاب والإختطاف والإستئثار وقهر الغير والإستيلاء إلى غير ذلك من الرذائل وإنما يصده عن ذلك ما قام به البعض بدلالة هذه العدوانات من الضبط وكف الناس عنها .

التربية الصحيحة أمر لا غنى عنه لخلق كيان الأمة وبروز هويتها

أدرك الشيخ :المرصفى أن التربية الصحيحة أمر لا غنى عنه لخلق كيان الأمة وبروز هويتها حيث قال : فى باب ما به التربية أنه يستحيل بدون الأصول التربوية الصحيحة أن تنال طرفا من السعادة وإذا افتقدت هذه الأصول بقيت على الشقاء والهوان والأمة من نوع الإنسان إذا لم ترى لنفسها شرفا ولم تجد لجمعيتها مقاما وكانت أعمالها موكولة لتدبير غيرها كانت أخس من كل خسيس وقد حددت الأصول التربوية فى الفطرة الصادقة والأخلاق الحميدة والوطنية لأن حب الوطن من الإيمان والتناصف وتنظيم حدود وظيفة كل فرد أو جماعة أو كما قال فلا شبهة بعد فى أن أصل عموم الصلاح للأمة هو طهارة الأخلاق والتحقق بمعنى الوطنية وملازمة الحدود الأدبية .

فصل

القيم الحضارية التى يؤكد عليها الإسلام

إن القيم الحضـارية التـى أكـد عليهـا الإسـلام تعـد قيمـا أساسـية لبنـاء حضـارة ثابتـة الأركـان شـامخة البنيـان تـؤتـى أكلهـا تقدما ورقيـا وتقدم عطاءهـا الحضـارى للبشـرية سلاما وأمنـا وإستقرارا تلك القيم التـى تعد حاضـرة فـى وعـى جمـاهير الأمـة بالقدر الكافى لتحويلها إلى إلتزام أخلاقى وسلوك عملى فى حياة الأمة وفيما يلى بعض هذه النماذج من القيم الحضارية الدافعة إلى تقدم المجتمع ورقيه فى جميع المجالات

التفكير : من أهم وظائف العقل الإنسانى التى تتمثل فى التفكير والتفكير من أهم القيم التى حث عليها القرآن الكريم فى العديم من الآيات الكريمة ومن ذلك قوله : تعالى

(لعلكم تفكرون) (البقرة 219)

وقوله : (أفلا تفكرون) (الأنعام 50)

وأكثر التعبيراتت التى وردت فى هذا الصدد قولـه : تعـالى (إن فـى ذلـك لآيـات لقوم يتفكرون) (الرعد 3)

ومن خلال النظر فى الأساليب القرآنية الواردة فى هذا الشأن نجد أن القرآن الكريم يحفز النـاس علـى التفكيـر ويـأمرهم فـى سياقات متنوعـة وعـادة يـأتى ذلـك عقب ذكـر العديد مـن آيـات الله الكونيـة أو الإنسـانية أو الحـديث عمـا يتضـمنه القـرآن الكريم من حكم بالغة أو بعد الإشارة إلى بعض الأمثـال أو القصـص أو حتـى التنبيـه إلـى مـا بين الزوجين من المودة والرحمة أو غير ذلك فى أمور تتطلب من الإنسان أن يشحذ ذهنه وعقله وإدراك ما تنطوى عليه من سنن وأسرار إلهية وقد كان الأستاذ :عبـاس العقـاد محقـا تمامـا عنـدما أطلـق علـى أحـد مؤلفاتـه عنـوان التفكيـر فريضـة إسـلامية وكـان الفيلسوف : ابن رشد على صواب كذلك عندما اعتبر التفكير أو ما أطلق عليـه النظـر العقلة فى الموجودات واجبا شرعيا ويعزز ذلك مـا ذهبنـا إليه من إعتبـار الحضـارة فريضـة إسـلامية لأن الحضـارة لا تتحقـق إلا بـالتفكير وإستخدام الإنسـان لكل ملكاتـه الفكرية والإدراكية إننا اليوم أحوج ما نكون إلى غرس قيم التفكيـر فـى نفوس أبنائنـا وبناتنا وتعليمهم كيف يمارسون التفكير فى حياتهم ففى ذلك حمايـة لهم من الإنـزلاق

فى مهاوى التطرف فى الفكر أو السلوك أو فى فهم الدين أو الإنخداع بشعارات زائفة ومقولات براقة يطلقها أصحابها باسم الدين ويقصدون من ورائها إلغاء دور العقل تماما وتعطيل المسيرة الحضارية للأمة وبذلك يحققون ما يريدون من أهداف خفية وأطماع ذاتية .

العلم : إن الواقع المؤسف يقول : بأن أكثر من نصف سكان العلم الإسلامى أميون والأمية معناها الجهل وإنتشار الخرافات والأوهام كما تعنى سوق رائجة للدجل والشعوذة وهذا معناه المزيد من التخلف والجمود والإنغلاق .

إن الحديث عن العلم يعنى الحديث عن التفكير العلمى ويعنى ضرورة الإلتزام بالمناهج العلمية ولكن الأمر المؤسف أنه لا يزال يشيع فى أوساط جماهير أمتنا اللجوء إلى تفسير الأحداث بغير أسبابها الحقيقية وتصور أسباب وهمية لا صلة لها بالعلم ولا بالحقيقة وتصور أسبابها الحقيقية واللجوء إلى الأساليب غير العلمية وغير العقلية وإتخاذ القرارات الشخصية أو ما شابه ذلك يعد تخلفا عقليا وردة جاهلية وانتكاسة فكرية فضلا عن أنه أمر مخالف للدين جملة وتفصيلا قد احتفل أسلافنا العظام بالعلم فى جميع مجالاته وشجعوا على تحصيله بكل السبل وأوقف الكثيرون من أهل الخير أوقافا لا حصر لها لدعم كل جهد يبذل فى طلب العلم وتعليمه ونشره على أوسع نطاق وقد أثمرت هذه الجهود ثمارها الرائعة وأدت إلى قيام حضارة إسلامية عريقة قدمت عطائها الثرى الإنسانية كلها .

الوقت : يعد الوقت قيمة من القيم الحضارية التى نبه إليها الإسلام وحض على الإلتزام بها وحسن التصرف فيها وقد أقسم الله بالوقت فى العديد من آيات القرآن الكريم ليبين لنا مدى الأهمية البالغة لهذه القيمة فى حياة الإنسان ومن أجل التأكيد على أهمية الوقت يخبرنا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم بأن الوقت يدخل ضمن المسئوليات الكبيرة التى سوف يسأل عنها الإنسان يوم القيامة ونحن فى حياتنا اليومية نضيع الكثير من أوقاتنا أو بمعنى أدق نقتها ونبددها ونهدرها فيما لا يفيد مع سبق الإصرار والترصد وحقيقة الأمر أن الإنسان يستطيع أن يجعل من أوقات فراغه عنصرا إيجابيا كما أن فى إستطاعته كذلك أن يجعل منها عنصرا سلبيا .

إن الإسلام يعول كثيرا على ضرورة الوعى بالزمن وأهمية الإستغلال الأمثل للوقت فى كل مجالات الحياة إذ بدون ذلك لا تقوم حضارة ولا يتصور أن يكون هناك أى شكل من أشكال التقدم فى حياة الإنسان ومسئولية الإنسان الحضارية فى هذا الوجود تحتم عليه ألأن يكون أمينا فى تحمل هذه المسئولية ليحقق ذاته ويؤكد حيويته الإنسانية من ناحية وليكون جديرا فى الوقت نفسه بشرف خلافته لله تعالى فى الأرض من أجل إعمارها بالخير فى جميع المجالات من ناحية أخرى

العمل : من القيم التى ترتبط إرتباطا عضويا بالوقت قيمة العمل فالوقت هو الوعاء الذى يمارس فيه الإنسان العمل ولا يمكن فصل هاتين القيمتين عن بعضهما فالوقت بلا عمل فراغ والعمل لا يمكن أن يتم إلا إذا كان هناك وقت لإنجازه .

الوقت يشكل عنصرا أساسيا فى تكوين الحضارة : وإذا قلنا أن الوقت يشكل عنصرا أساسيا فى تكوين الحضارة فإن المقصود بذلك هو الوقت المرتبط بالعمل الجاد المثمر والعمل لا يكون مثمرا وجادا إلا إذا كان قائما على علم وفهم وإدراك وكما أن هناك إرتباطا وثيقا بين الوقت والعمل فإن هناك ارتباطا لا يقل أهمية بين العلم والعمل بمعنى أن العمل المنتج يعد تنفيذا علمى وتطبيقا عمليا لما حصل عليه الإنسان من علم ومعرفة وبذلك يكون العلم والعمل وجهين لعملة واحدة .

الإسلام يؤكد على قيمة العمل

إن الإسلام يهتم بقيمة العمل فالعمل لون من ألوان العبادة لله سبحانه وتعالى بالمعنى العام للعبادة والعمل المقصود ليس أى عمل وإنما هو العمل الصالح الذى سبق أن بينا المراد منه عند حديثنا عن الوعود الإلهية الثلاثة ولكننا نضيف هنا أمرين

أولهما : إتقان العمل والإخلاص فيه وفى ذلك يقول : الحديث الشريف

" إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه " رواه البيهقى

كما يقول : أيضا " من غشنا فليس منا " رواه الطبرانى

ثانيهما : إستمرارية العمل . حتى آخر لحظة من حياة الإنسان وحتى عندما توشك الدنيا على الفناء وفى ذلك يقول : الحديث الشريف " إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يزرعها فليفعل " رواه الإمام أحمد

والعمل يعنى بذل الجهد للوصول للهدف المقصود .

أما : الذى لا يبذل أى جهد ولا يريد أن يقوم بأى عمل مع القدرة عليه فإنه يعد طفيليا على الحياة بل يمكن القول : بأنه غير جدير بنعمة الحياة ومن هنا يقول : القرآن الكريم (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه)

(الملك 15)

وهذا يعنى أن الإسلام فى تأكيده على قيمة العمل يؤكد فى الوقت نفسه على رفض التواكل بكل أشكاله وصوره فالحياة حركة ونشاط والأخذ بالأسباب سنة من سنن الله فى الكون والتواكل مضاد لذلك كله وعندما سار هذا التواكل المرذول مجتمعاتنا الإسلامية تخلفت عن ركب الحضارة .

حسن المعاملة : من أكثر العبارات شيوعا فى حياتنا عبارة الدين المعاملة وهى كلمة حق لو طبقت بصدق فى دنيا الواقع فالدين ليس تقوى سلبية تقتصر على صاحبها دائما وإنما التقوى الحقيقية تعد ترجمة عملية للدين فى التعامل مع الآخرين سواء كان ذلك بالقول أو الفعل أو بالإشارة أو بأى وسيلة أخرى من وسائل التعامل ومن هنا نجد القرآن الكريم يحثنا على أن يكون حديثنا مع الآخرين بالقول الحسن

(وقولوا للناس حسنا) (البقرة 83)

وهذا يعنى إختيار الألفاظ التى نتعامل بها مع الآخرين والتى ينطبق عليها وصف الحسن وهذا أمر لا صلة له بالغلظة أو الفظاظة أو الجفاء فى التعامل مع الغير كما يحدث ذلك فى كثير من الأحيان ويحرص الإسلام على عدم جرح شعور الآخرين بالقول أو بالفعل ويعتبر ول ديورانت :المدنية هى رقة المعاملة وهذه تعاليم الإسلام تؤكد أن حسن المعاملة يمثل حجر الزاوية فى أخلاق الإسلام وقيمه منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان والإسلام إذ يرفض الظلم فى كل أشكاله وصوره ويرد الإعتداء بمثله ومن ناحية أخرى يسعى إلى إقتلاع النزعة العدوانية من نفوس الآخرين بتلقينهم درسا فى حسن المعاملة ويلفت الأنظار إلى أن ذلك ربما يكون له أثره الفعال فى إنقلاب العدو إلى صديق وفى ذلك يقول : القرآن الكريم

(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) (فصلت 34)

ولكن القرآن الكريم يذكرنا أيضا أن هذه المرتبة العالية فى التعامل لا يصل إليها إلا الأقلون

(وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) (فصلت 35)

ولا يترك الإسلام فرص للتعامل الحضارى مع الآخرين إلا ويغتنمها بهدف الوصول إلى غرس الثقة المتبادلة والألفة والمودة بين الناس من أجل الوصول إلى مجتمع إنسانى تتحقق فيه معنى الأخوة الإنسانية ويسوده العدل والسلام ومعلوم أنه لا توجد حضارة بدون أخلاق فاضلة والأخلاق الفاضلة هى التى تحمى الأمم من التحلل والفساد والفناء .

الحضارة الحقيقية هى التى يتحقق فيها معنى الإنسانية

الحضارة الحقيقية هى التى يتحقق فيها معنى الإنسانية : ولا يقتصر حسن المعاملة على تعامل المسلمين بعضهم مع بعض وإنما ينسحب ذلك على التعامل مع غير المسلمين من كل الأجناس والشعوب ما دام هؤلاء لا يريدون بالمسلمين شرا والقاعدة القرآنية فى ذلك واضحة كل الوضوح فى قوله : تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) (الممتحنة 8)

فالناس جميعا قد خلقهم الله من نفس واحدة تجمعهم رابطة الأخوة الإنسانية والحضارة الحقيقية هى التى يتحقق فيها معنى الإنسانية فى التعامل بين البشر جميعا

حقوق الإنسان : ترجع حقوق الإنسان فى الإسلام بصفة عامة إلى حقين

أولهما : حق الإنسان فى المساواة

ثانيهما : حق الإنسان فى الحرية . وكل حقوق الإنسان الأخرى تنبثق من هذين الحقين ويؤسس القرآن الكريم حق الإنسان فى المساواة على قاعدتين أساسيتين هما وحدة الأصل البشرى وشمول الكرامة الإنسانية لكل بنى آدم ومن الملاحظ أن الإسلام يعتمد معيارا للتفاضل بين الأفراد يختلف عن المعايير المتعارف عليها بين

الناس ألا وهو معيار الثراء الداخلى للإنسان وما يرتبط به من موقف روحى يحفز الإنسان إلى العمل المثمر وبذل الجهد فى سبيل إقرار الحق والعدل والسلام

وهذا المعيار بتعبير القرآن الكريم والسنة النبوية يتمثل فى التقوى التى تعنى العمل الصالح الذى يشمل كل عمل يقوم به الإنسان فى هذه الحياة دينيا كان هذا العمل أم دنيويا ما دام قصد به وجه الله تعالى ونفع الناس ودفع الأذى عنهم .

أما القاعدة الثانية للمساواة : فهى شمول الكرامة الإنسانية لكل البشر وقد منح الله تعالى هذه الكرامة لكل فرد من أفراد الإنسان لا فرق بين غنى وفقير وحاكم ومحكوم فالجميع امام الله تعالى وأمام القانون وفى الحقوق العامة سواء ومن المعلوم أن حق المساواة فى المجتمع الإسلامى مكفول للمسلمين ولغير المسلمين على السواء وهنا تسرى القاعدة القانونية الإسلامية " لهم ما لنا وعليهم ما علينا "

حديث شريف رواه النسائى

أما المبدأ الثانى التى ترتكز عليه حقوق الإنسان فى الإسلام فهو مبدأ الحرية :

فقد جعل الله تعالى الإنسان كائنا مكلفا ومسئولا عن عمارة الأرض وبناء الحضارة الإنسانية وليست هناك مسئولية دون حرية حتى فى قضية الإيمان والكفر التى جعلها الله تعالى مرتبطة بمشيئة الإنسان كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم فى وضوح تام

وتشمل الحرية المقصودة كل الحريات الإنسانية دينية كانت أو سياسية أو فكرية أو مدنية وإذا كانت حقوق الإنسان لا تراعى بصورة كافية فى العديد من مناطق العالم الإسلامى الأمر الذى يعطى لخصوم الإسلام الفرصة لإتهامه بخلوه من حقوق الإنسان فإن الإسلام ليس مسئولا عن الممارسات الخطأ حتى وإن كانت ترتكب بإسمه ومن يريد أت يتعرف على تعاليم الإسلام الحقيقية فليبحث عنها فى مصادرها الأصلية وليس فى سلوكيات منحرفة أو تفسيرات باطلة يرفضها الإسلام رفضا تاما

الجمال : الإسلام دين يحب الجمال ويدعوا إليه فى كل شىء والنبى صلى الله عليه وسلم يقول " إن الله جميل يحب الجمال "   رواه مسلم

والقرآن الكريم فى العديد من آياته يلفت الأنظار إلى ما فى الكون من تناسق وابداع وإتقان وما يتضمنه ذلك من جمال وبهجة وسرور للناظرين والإنسان مطبوع على

حب الجمال سواء كان هذا الجمال فى الأشياء أو الأشخاص وإذا كان الله يحب الجمال كما جاء فى الحديث المشار إليه فإن الإنسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم من شأنه أيضا أن يحب الجمال مع الفارق الكبير الذى يتمثل فى أن الله هو خالق الجمال وخالق حب الجمال فى الإنسان ويعرف الجمال بأنه صفة تلحظ فى الأشياء وتبعث فى النفوس سرورا ورضا أو كما يقول : ابن سينا جمال كل شىء وبهاؤه هو أن يكون على ما يجب له أو كما ينبغى أن يكون وهذا يعنى التناسق التام والنظام الكامل وقد إكتمل ذلك فى خلق الكون كله الذى خلقه فقدره تقديرا وأبدع صنعه وأحسن كل شىء خلقه (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور) (الملك 3)

ويلفت القرآن الكريم أنظارنا وعقولنا إلى هذا التناسق فى خلق السماء بقوله : تعالى (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) (ق 6)

وجعل لنا الحدائق بهجة لأنظارنا وسرورا لأنفسنا (وأنزل لكم من السماء ماءا فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) (النمل 60)

وتكرر فى القرآن الكريم أوصاف الجمال فى خلق السماء وتزيينها لتكون بهجة للناظرين وذلك مثل قوله : تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) (الملك 5)

وقوله : تعالى (ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين) (الحجر 16)

ويستنكر القرآن الكريم من يحرم زينة الله بقوله : تعالى (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) (الأعراف 32)

والقرآن الكريم يدعونا لأن نتخذ زينتنا عند الخروج إلى المسجد حتى نكون فى أبهى صورة وفى أجمل حال

(يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) (الأعراف 31)

والجمال كما يكون فى خلق الكون وفى خلق الإنسان يكون أيضا فى الأنعام كما يقول : القرآن الكريم

(ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) (النحل 6)

ويكون كذلك فى مجال الأخلاق فى الصفح على سبيل المثال (فاصفح الصفح الجميل) (الحجر 5)

وفى الصبر : (فاصبر صبرا جميلا) (المعارج 5)

وغيرهما من صفات أخلاقية

ويكون أيضا فى الأفعال :

(فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا) (الأحزاب 49)

كما يكون الجمال فى الأصوات فقد امتدح النبى صلى الله عليه وسلم صوت أبى موسى الأشعرى وقد سمعه يتغنى بالقرآن وكان جميل الصوت

فقال : له " لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود " رواه البخارى

كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يختار أجمل الأصوات للآذان وامتدح بلالا فى الآذان واصفا إياه بأنه " أندى صوتا " رواه أبو داود

والأمر الجدير بالذكر هنا أيضا : أن أوصاف الجنة فى القرآن الكريم تمثل صورا جمالية رائعة تجعل القلوب تهفو إليها والنفوس تتحرق شوقا إلى نعيمها ومن ذلك كله يتضح لنا أننا نتجنى على الإسلام حين نجعل منه دينا ينفر من الجمال ويدعوا إلى الكآبة والتهجم وحين نجعل منه دينا عدوا للعواطف والوجدانيات وعدوا للتعبير عن هذه العواطف بقصيدة جميلة أو أغنية ذات كلمات عفيفة أو لحن موسيقى يرقق المشاعر أو رسم جميل يبرز آيات الله فى الكون والإسلام عندما يدعوا إلى الجمال فإنه من ناحية أخرى يرفض القبح بجميع أشكاله ولا يمكن لدين هذا موقفه أن يصادر مشاعر الناس وعواطفهم فى حب الجمال فالجمال إذا ساد فى كل شىء فى أقوالنا وأفعالنا فإن النتيجة ستكون حياة جميلة والحياة الجميلة تدفع إلى كل ما هو جميل والمجتمع الذى يسود فيه الجمال يسود فيه الذوق الجميل والفن الجميل والفعل الجميل والأدب الجميل والسلوك الجميل .

أما : الذى نفسه بغير جمال فإنه لا يرى فى الوجود شيئا جميلا كما عبر عن ذلك بصدق ايليا أبو ماضى وهذا يعنى أن الجمال إحساس داخلى ينعكس بدوره على ما يحيط بالإنسان فيرى كل شىء جميلا فالجمال إذا ليس فى الشكل الظاهرى فقط

وإنما فى المقام الأول فى أعماق النفس الإنسانية ويرتبط الإحساس بالجمال بالتفاؤل والإقبال على الحياة وحب الناس والإتجاه إلى عمل الخير .

الإسلام يحرص على تربية الذوق الجمالى لدى الإنسان المسلم

الإسلام يحرص على تربية الذوق الجمالى لدى الإنسان المسلم : ومن أجل ذلك كان حرص الإسلام على تربية الذوق الجمالى لدى الإنسان المسلم ولم يكن ذكر الصور الجمالية البديعة فى القرآن الكريم وصفا دقيقا وحقيقيا للكون بما فيه من كائنات ومن فيه من البشر إلا ترسيخا لقيمة الجمال فى النفوس وتربية للتذوق الجمالى لدى الأفراد زالجماعات إذ من شان ذلك ان يرقق المشاعر ويرهف الإحساس ويعمق الإدراك وليس هناك من شك فى ان ذلك كله ينعكس بصورة إيجابية على سلوك الإنسان فى الحياة ويجعله سلوكا حضاريا بكل معنى الكلمة

الحفاظ على البيئة : الإسلام فى معالجته لقضايا الإنسان الإنسان لم يغفل هذا الجانب لأن الإسلام بطبيعته دين للحياة بكل أبعادها بالإضافة إلى أن البيئة تقع فى إطار مسئولية الإنسان عن هذا الكون ومن هنا اهتم الإسلام بها إهتماما فائقا لأنه يريد للناس أن يعيشوا فى بيئة نظيفة ليكونوا قادرين على القيام بأعباء مسئولياتهم على خير وجه ولكن الإسلام حين يتحدث عن قضايا البيئة فإنه لا يقصد ذلك التلوث المادى للبيئة فى صوره المتعددة وإنما يقصد أيضا التلوث الأخلاقى فمعالجة الإسلام لهذه القضية يتم بشكل متكامل كما هو الشأن فى معالجته لكل قضايا الإنسان وبداية نجد أن الإسلام قد جعل الحفاظ على البيئة جزءا أساسيا من العقيدة وهذا ما نقرؤه فى الحديث النبوى الشريف " الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء من شعب الإيمان "

رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة

ويشمل الأذى المشار إليه كل أنواع الإيذاء التى تلوث البيئة وتضر بمصالح الناس وصحتهم وأذواقهم ومشاعرهم فتكدس القمامة فى الشوارع أذى يضر بالناس والكلمة التى تخدش الحياء أذى يلوث البيئة الأخلاقية ويخدش حياء الناس ويفسد أخلاقهم

ومكافحة هذا الأذى بكل صوره يعد من الواجبات الدينية والتى يكتمل بها إيمان المؤمن وليست أمرا مشيا يمكن التغاضى عنه وهناك فى حياتنا اليومية أمور تعود الناس عليها على الرغم من أنها تعد من الملوثات للبيئة والتى تسبب إزعاجا للآخرين مثل الضوضاء المفرطة ورفع الصوت عند الحديث وإساءة إستخدام مكبرات الصوت والتدخين والمبالغة فى رفع أصوات الأغانى من الإذاعة أو التليفزيون أو المسجلات فى البيوت أو الشوارع أو السيارات وهذه أمور تدخل فى إطار الإضرار بالناس المنهى عنه طبقا للقاعدة النبوية " لا ضرر ولا ضرار " .

إن الإسلام فى حرصه على الحفاظ على البيئ إنما يؤكد أنه دين جاء لخير الإنسان وسعادته فى دنياه وأخراه .

الحفاظ على البيئة يعد اليوم سمة من سمات الحضارة

إذا كان الحفاظ على البيئة يعد اليوم سمة من سمات الحضارة الحديثة فإنه جدير بالمسلمين أن يعتزوا كل الإعتزاز بما اشتملت عليه تعاليم دينهم من حماية البيئة والحفاظ عليها ولكن الأمر لا يجوز أن يقف عند حد الإعتزاز بل يجب على المسلمين أن يترجموا هذه التعاليم إلى ممارسة حياتية يومية ليبرهنوا بسلوكهم الحضارى إنتمائهم الحقيقى للإسلام .

النظام : النظام نقيض الفوضى والإضطراب والعشوائية والإرتجال وإذا انعدم النظام وسادت الفوضى فى مجتمع من المجتمعات إختل كل شىء فيه ولن تعد هناك حدود واضحة بين الخقوق والواجبات ولا بين ما يجوز وما لا يجوز ولا يمكن أن يتصور المرء حضارة من الحضارات بدون نظام يحدد الإطار العام الذى لا يجوز لكل فرد فى المجتمع أن يمارس فيه حياته وحريته دون إضرار بالآخرين فالإنسان كائن إجتماعى يعيش مع الآخرين ومن أجل ذلك شرعت القوانين المنظمة للحقوق والواجبات فى المجتمعات البشرية لتشكل مع القواعد الأخلاقية الفطرية والقيم الدينية صمام الأمان والإستقرار فى المجتمع الإسلامى والهدف من ذلك كله هو مصلحة الناس ومساعدتهم على التعاون فيما بينهم من أجل خير مجتمعهم وتقدمه وإزدهاره

وقد عنى الإسلام عناية فائقة بهذا الجانب المهم المنظم للحياة الإنسانية من منطلق أنه دين للحياة بأبعادها المختلفة ومن هنا جاء بأحكام وتشريعات منظمة لحياة الإنسان فى صلته بالله تعالى أولا ثم صلته بسائر أفراد البشر فى مختلف شئونهم وذلك حتى لا يترك الناس للأهواء والمصالح الذاتية تتحكم فيهم وتسيطر على تصرفاتهم وسلوكهم بما يهدد كيان المجتمع وأمنه وإستقراره .

حرص الإسلام كل الحرص على أن يغرس فى نفوس المسلمين حب النظام

حرص الإسلام كل الحرص على أن يغرس فى نفوس المسلمين حب النظام : ومن هنا حرص الإسلام كل الحرص على أن يغرس فى نفوس المسلمين حب النظام ويدربهم عليه حتى يصير سلوكا يوميا لهم وكما يكون الإنضباط والنظام فى العبادات المعروفة يكون فى ميدان الجهاد وإن التقيد بالنظام وعدم الخروج عنه بأى حال من الأحوال فلكل موقعه الذى لا يجوز له أن يحيد عنه لأن الخلل فى أحد الجوانب من شأه أن يؤدى إلى حدوث خلل فى الجوانب الأخرى وقد شملت النظم والتشريعات الإسلامية جميع جوانب الحياة فى الإجتماع والإقتصاد والسياسة والأخلاق وغيرها وهناك أمر نريد أن نؤكد عليه فى هذا الصدد هو أن الإسلام لم يجعل من هذه النظم كما قد يتبادر إلى الأذهان قيد على الحرية للإنسان فى تطوير الحياة وتجديدها

فالإسلام فى الوقت الذى وضع فيه أحكاما فى أمور لا تستقل العقول بإدراكها ولا تختلف بإختلاف الزمان أو المكان أو الأشخاص فوض العقل الإنسانى فى الوقت نفسه فيما وراء ذلك وأتاح له فرصة الإجتهاد فى تقرير مت تقضى به المصلحة فى حدود أصول الإسلام وثوابته وبذلك حفظ للعقل الإنسانى كرامته وصانه فى الوقت نفسه من الإضطراب والفوضى فالأمر يدور إذا حول الثوابت والمتغيرات فالثوابت ليست محلا للإجتهاد أو إعادة النظر أو التغيير والتبديل أما المتغيرات فإنها ميدان فسيح لنظر العقل وإجتهاده وصولا إلى ما فيه مصلحة المجتمع ولكن التدهور الحضارى الذى أصاب الأمة الإسلامية منذ فترة طويلة كان له بطبيعة الحال تأثيره الضار على حياة الناس فى المجتمع الإسلامى وقد تمثل ذلك فى تخلخل إلتزام

المسلمين بالقيم الحضارية ومن بينها قيمة النظام التى تكاد تكون قد إختفت من حياتهم وقد أدى ذلك إلى أن أصبحت حياة كثير من المسلمين خليطا عجيبا من الفوضى على المستويات الفكرية والدينية والعلمية والحياتية .

إن النظام هو الحياة الصحيحة بكل ما تعنيه من تخطيط سليم وتحضر ورقى فى الفكر والسلوك .

أما الفوضى : فإنها تعنى التخلف والإنفلا من كل القيم والنظم وهذا أمر مضاد لكل تعاليم الإسلام ولكل القيم الحضارية المعتبرة .

الرفق بالحيوان : من منطلق خلافة الإنسان فى الأرض وتحمله المسئولية عن هذا الكون بما فيه ومن فيه تأتى مسئولية الإنسان عن الحيوان وللإسلام موقف ثابت فى قضايا الرفق بالحيوان وأسلوب التعامل معه فالحيوان كائن حى وقد خلقه الله تعالى الذى خلق الإنسان وخلق كل شىء فى هذا الكون والإسلام له قيمه وتعاليمه الراسخة فى تعامل الإنسان مع الحيوان ومع الجماد أيضا فلا يجوز إساءة إستخدام أى شىء من مخلوقات الله ويعلمنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن الإساءة للحيوان والقسوة عليه أو تعذيبه بأى شكل من الأشكال يحبط الأعمال للإنسان ويعرضه لغضب الله تعالى وعقابه وأن الرفق بالحيوان والتعامل معه من منطلق الرحمة يجعل الإنسان جديرا برضا الله تعالى وغفرانه فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " عذبت إمرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى أطعمتها ولا هى سقتها إذ حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض " . وفى المقابل يخبرنا النبى صلى الله عليه وسلم بما ينتظر المتعاملين مع الحيوان بالرفق والرحمة من الثواب العظيم والأجر الجزيل وذلك فى قوله : صلى الله عليه وسلم " بينما رجل يمشى بطريق إشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان منى فنزل البئر وملأ خفه ماءا ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له "

وقد كان ذلك منذ أربعة عشر قرنا من الزمان قبل أن تعرف البشرية جمعيات الرفق بالحيوان فى العصر الحديث فى ذلك إشارة إلى التغيير الحضارى الكبير الذى أحدثه الإسلام فى وجدان الإنسان المسلم تجاه الحياة والأحياء .

الإسلام يحرص على التعامل الرحيم مع الحيوان

إن الإسلام يحرص على التعامل الرحيم مع الحيوان وهذا ليس بالأمر الغريب على الإسلام الذى جاء رحمة للعالمين والرحمة من القيم التى لا تتجزأ فكما أن الرحمة مطلوبة فى التعامل بين الناس فهى كذلك أكثر إلحاحا فى التعامل مع الحيوان لأنه لا يستطيع أن يفصح عما بداخله والنبى صلى الله عليه وسلم يبشر الراحمين خيرا وينذر قساة القلوب بسوء المصير وفى ذلك يقول : صلى الله عليه وسلم " الراحمون يرحمهم الرحمن " إنه لا يرحم من لا يرحم فالجزاء من جنس العمل والإسلام يجعل قيمة الرحمة على رأس منظومة الأخلاق الإسلامية ومن هنا وجدنا إهتمام القرآن الكريم بها إهتماما بالغا لم تحظ به قيمة أخرى فقد وردت بمشتقاتها المختلفة فى القرآن الكريم ما يقرب من مئة وأربعين مرة بالإضافة إلى البسملة فى أوائل السور القرآنية والتى تشمل على وصف الله سبحانه وتعالى بالرحمن الرحيم وهذا الإهتمام الكبير يعنى ضرورة التخلق بخلق الرحمة فى جميع تعاملاتنا سواء كان ذلك مع أنفسنا أو مع غيرنا من البشر أو الحيوان .

الباب السابع

الفقه الإسلامى وتحديات العصر

إن النظر الشمولى للمسلم الفاقه للإسلام بمنظومته العقائدية والتشريعية والأخلاقية يمثل المرجعية الجامعة الكفيلة بإصلاح الإنسان فردا أو جماعة روحا وجسدا دينيا ودنيا عبادة ومعاملة ومن المهم تفعيل هذه المنظومة خاصة جانب التشريع فهو الجانب الغائب أو المغيب فى عالم المسلمين ناهيك عن إسهاماته فى العالم المعاصر فلا عجب إذا قلنا أن الحديث عن التشريع أو الفقه هو حديث عن جانب مفترى عليه نظريا وعلميا ويكفينا أن نسوق فى هذا الوضوع شاهدين يبرهنان على ما نقول : -

أحدهما : يأخذ من الفقه **.** فيقف عند إجتهادات الأولين وإستنطاق أحكام الشرع وتوليد تفريعاته دون تفهم مقاصده وحصر جهودهم فى الجمود على متونه جون الرجوع إلى النصوص الكلية للشرع والتزود بملكات الفهم السديد وتحقيق مصالحه العامة وتلمس روحه ومضمونه والبحث عن حكمته ومغزاه **.**

والثانى : يتحلل من الفقه بالكلية **.** ويصمه بالتخلف والرجعية وبأنه تراث عفا عليه الزمن إستنفد أغراضه وتجاوز زمنه فلا ينبغى أن يكون له وجود أو يدرج فى إطارالمشروع الحضارى للأمة أو يطالب بتطبيقه ولا النهضة بمقوماتها ولم يعد يساير العصر بتقنياته ولا النهضة بمقوماتها و الحياة بإيقاعها وتطورها وهذان الشاهدان فيهما دلالة على عدم الإرتقاء لرحابة فقه الشرع وإنحرافه عن آلياته وجوهره ونكوص رسالته التى هى مسيرة الحياة الطيبة للإنسانية ما بقى الكون والناس كيف والإسلام مؤسس على العالمية والشمول فى فلسفتة الإنسانية

(ما فرطنا فى الكتاب من شىء)   (الأنعام 38)

(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء)   (النمل 39)

النصوص الإسلامية لا تكمن فى مرجعيتها فى الماضى
وإنما معايشة الحاضر والمستقبل

إن النصوص الإسلامية فى الإسلام لا تكمن فى مرجعيتها فى نطاق الزمن الماضى وإنما معايشة الحاضر وإستشراق للمستقبل وإن مواكبة التشريع الإسلامى لواقع

الحياة لا يستقيم معه أن يكون حبيسا مجرد تقليد آراء الفقهاء الكبار والجمود على مقولاتهم والتعبد بكلماتهم لأن فى هذا عدولا عن منهجهم فى فهم التشريع الإسلامى الذى جاء بالأصول وراعى المصالح وصاغ النصوص بطريقة معجزة يجد فيها كل عصر بغيته ويسد حاجاته وهذا ما يؤكد عليه الفقهاء الراسخون فالنصوص جاءت عامة كلية ولم تأت خاصة جزئية وهى قابلة لتعدد الأفهام والإجتهادات تأخذ فى إعتبارها الأعراف والعادات بحسب ظروف الزمان والمكان التشريع العام وهى فوق كل ذلك تراعى الضرورات والأعذار والظروف الإستثنائية وهو ما يمكن أن نطلق عليه تشريع الضرورة وأحكام الطوارىء (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) (البقرة 173)

يجعل منه المتدبر للنصوص العامة بالمقاصد ذلك النوعين من الأحكام فى منظومة التشريع الإسلامى بما يؤكد أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ثم إن العقل هو الآلة الأخرى التى يقوم عليها التشريع فهو وسيلة فهم النصوص وآداء الخطاب الشرعى ولذلك قال : المحققون : كابن تيمية إن صحيح المنقول فى الإسلام موافق دائما لصريح المعقول ففرض التعارض بينهما باطل وكابن القيم فى قوله : وقد تدبرت ما أمكننى من أدلة الشرع فما رأيت قياسا صحيحا يخالف حديثا صحيحا كما أن المعقول الصحيح لا يخالف المنقول الصريح وما قد يبدوا غير ذلك وما يروج له بعض المغرضين أو الجاهلين فهو تحريف للشرع وتزييف للوعى وينبغى ألا يؤبه له ولا يعول عليه والسبيل إلى ذلك أن ينطلق العقل بملكاته الوثابة فى إرتياد آفاق النص إستكناه علله وسبر أغواره والتغلغل فى أعماقه فى منهج محكم وإستنباط رصين وصولا إلى حل للقضية فى إطار كل ما يدل على مراد الشرع من تعرف على أسباب النزول وتحليل للغة الخطاب وإنزال النصوص على حركة الواقع ومسيرة الحياة .

السبيل الصحيح لتقدم الإسلام فى عصر العقل والعلم هو القراءة الواعية

ذلك والتدبر للنصوص بحيث تكون قراءة الفقيه قراءة معتبر لا قراءة معتذر تتسع للزمن وتفى بمراحل الحياة كلها ولا يتأتى ذلك إلا بالإعتبار بالماضى والعيش فى الحاضر ورصد آفاق المستقبل فيكون منهجه تجسيدا لفقه النص وإنزاله على الواقع ومعانقة المثال بالواقع ويتطور الواقع محكوما بالنصوص وهى عملية معقدة تحتاج إلى تضافر الجهود وإعمال العقول وتربية الملكات فإن العصر فى تطور مستمر وإيقاع سريع .

حصار التقدم يسير فى قفزات سريعة يتطلب

الحلول العلمية

إن حصار التقدم يسير فى قفزات سريعة يتطلب الحلول العلمية : وذلك بالبحث عن الأحكام المناسبة والإسلام بتشريعاته موافق للسنن الكونية والصناعة الحضارية وهو جامع بمقتضى أصوله بين الثبات والتطور وقانونه فى مواجهة الجديد هو إستنهاض الفكر الخلاق وسلوك الإجتهاد الصحيح **.**

أما الجمود : على رأى بشر مهما كان منطقه فهو عكوف على التقليد وإنقاص وإنحراف عن قانون الحق (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغييروا ما بأنفسهم) (الرعد 11) .

الإسلام ينهض بالعقل الجمعى لتصحيح المسيرة

مع اهتمام الجميع بأمر الأمة

هؤلاء النفر الذين يضطلعون : بهذه المهمة هم النخبة من أهل العلم والصفوة من أرباب العقل وهم الذين حصلوا العلم مع الإستعداد للعمل فلديهم إستعداد معرفى وعمق فطرى بما يمكنهم من فحص المسائل وتحرى الحقائق وهم مع ذلك دائمو الفكر دائمو الإطلاع على النصوص وقافين على علوم الشريعة متسلحين بأصول المعرفة وراصدين لحركة الحياة فاقهين لمتغيراتها حريصين على تسييرها وفق الشرع مهمومين بإنزال وقائعها على حكم الله وهكذا ينهض الإسلام بالعقل الجمعى للصفوة لتصحيح المسيرة مع إهتمام الجميع بأمر الأمة وكما أخبر الحديث الشريف

" ليس من المسلمين من لم يهتم بأمرهم " . ومن هذا يتكشف المنحنى الرائد لتشريع الإسلام وهو الإعتماد على المجتهدين مع الإعتداد بالإرادة العامة للأمة وإعتمادها فى التشريع وإعتبار التفسير للنصوص مصدرا للأحكام ولا أدل على ذلك من تحصين عقلها وعصمة إرادتها وهو ما أرشد إليه الحديث الشريف " لا تجتمع أمتى على ضلالة " . وفى رواية " لا تجتمع أمتى على خطأ " .

وهو إشادة بالإنسان وتكريم له لم يسبق فيه الإسلام تشريع سماوى آخر فيه ألا تركن الأمة إلى الخمول العقلى والركود الفكرى بل هى دائما باحثة عن الرأى فى نطاق النص مهمومة بأحوالها متطلعة إلى العلو والسيادة فلا ترتمى فى أحضان الغير يشرع لها ويوجه حياتها فإن فعلت فقد قصرت فى القيام بواجب عليها وأنزلته من مرتبة الواجبات إلى مرتبة الترف أو الكماليات وجعل ذلك واجبا تثاب عليه إذا قامت به وتأثم إذا تقاعست عنه وحسب الأمة فى ذلك .

أن الإجماع هو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامى إعلاء لمنزلة الأمة ومكانة العقل الجمعى للمسلمين وإستنهاضا للشخصية المسلمة كى تقود المسيرة وترتاد الآفاق الرحبة وتسهم فى صناعة المستقبل الإنسانى ومتى ثبت ذلك وهو ثابت فإن العقل الفقهى للمسلم ينبغى أن يقدم شرع الله للعالمين على هدى من النقل الصحيح والعقل السديد والتجربة الرصينة فى إطار الإسلام الجامع الذى يعنى منظومة الحياة بأبعادها الشاملة وحسبنا فى هذا الصدد أن نسوق شهادة غير الإسلام للشريعة لنقف على عالميتها ودقة صناعتها .

شهادات المنصفين من علماء الغرب

يقول : لامبير فى هذه الشريعة يقصد الشريعة الإسلامية عناصر لو تولتها الصياغة فأحسنت صياغتها لصنعت منها النظريات الفقهية التى تتلقاها اليوم عن الفقه الغربى الحديث ويقول : الدكتور : إيزكوانسا باتو إن الشريعة الإسلامية تفوق فى كثير من بحوثها الشرائع الأوربية بل هى التى تعطى للعالم أرشخ الشرائع ثباتا

ويقول : المؤرخ الإنجليزى : كارليل إن أوربا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قولنينها الإدارية والتجارية .

مؤتمر القانون المقارن

قد انعقد فى لاهاى عام 1937 المؤتمر الدولى للقانون المقارن وقد سجل المؤتمر الحقائق الآتية : -

أولا : إعتبار الشريعة الإسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام

ثانيا : إنها حية وقابلة للتطور

ثالثا : أنها تشريع قائم بذاته ليس مأخوذا عن غيره . وقد خاض الفقه الإسلامى تجربة التطبيق على مدار قرون طوال بدءا من دولة المدينة وعبر دول الإسلام المتعاقبة وحتى عهد قريب ودخل شتى البيئات والأوطان وحكم مختلف الأجناس والألوان ويكفى أن الذى أقام صرحه وشاد بنيانه أمى محمد صلى الله عليه وسلم وانطلقت به أمة أمية أرست حضارة ووضعت نظاما وأقامت ممالك فى كل زمان ومكان بددت به عروش الطغاة والمستبدين .

فصل

التجديد للفكر والخطاب الدينى فريضة إسلامية

ما تحدث به الأستاذ الدكتور : محمد عمارة على تاريخنا الحضارى هكذا كانت الدعوة إلى تجديد الفكر والخطاب الدينى هو السبيل لتجاوز الأمة مراحل التراجع الحضارى وهكذا تبلورت فى إطار الأزهر الشريف منذ فجر نهضته الحديثة ومدرسته الإصلاحية التى حمل علماؤها رسالة التجديد على مختلف أنحاء العالم الإسلامى

التجديد هو سنة الحياة

التجديد : هو سنة الحياة والإحياء والجمود هو الموت والموات وبعبارة الإمام الشيخ : محمود شلتوت قال : الجمود عند الموروث والإكتفاء به مصادم لما تقتضى به طبيعة الكون وطبيعة كل حى من النمو والبتوليد والتناسل الفكرى كالتناسل النباتى والحيوانى والإنسانى كلاهما شأن لا بد منه فى الحياة ولو وقف التناسل الفكرى لإرتطم الإنسان فى حياته لكثرة ما تلد الطبيعيات التى هو منها وعندئذ يعجز عن تدبير الحياة النامية فيتحقق فشله فى القيام بمهمة الخلافة الأرضية التى أختير لها ووكلت إليه منذ القدم وكذلك الجمود عند آراء المتقدمين لمجرد أنهم متقدمون فيه سلب لمزية الإنسان فى التمييز بين الحق والباطل والملائم فيقاد بالزمام وزمامه صور الآباء والأجداد فهى دائما تجذبه القهقرى ولا يجد فى نفسه عونا على التقدم فيقع فى ضيق من الحياة المتجددة حوله (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا) (الأعراف 28) .

ويظل كذلك حتى ينزل به غاشية من صولة الطبيعة النامية فتذهب به إلى حيث ذهب الغافلون .

الجمود جناية على الفطرة البشرية

الجمود جناية على الفطرة البشرية : فالجمود جناية على الفطرة البشرية وسلب لمزية العقل التى إمتاز بها الإنسان وإهدار لحجة الله على عباده وتمسك بما لا وزن له عند الله .

إن التجديد يربط الفكر الإسلامى بالحياة الواقعية التى يعيش فيها العالم اليوم والتى تتجاذبها تيارات فكرية متعارضة يجب أن يقف العقل المسلم أمامها ليقى الجماعة الإسلامية غزوها وليحفظها من الإنحلال والذوبان فى غيرها فهو طوق نجاة الأمة من المأزق الحضارى الذى نعيش فيه وهو سبيلها إلى إحياء النموذج الحضارى الإسلامى الذى جعل منها العالم الأول على ظهر هذه الأرض عندما كانت قيادتها لأعلام التجديد الذين جددوا لها دينها كى تتجدد به دنياها وهو السبيل إلى ملء الفراغ الذى يولده الجمود والذى يتمدد فيه التغريب فالإستقلال الفكرى والنهوض الحضارى رهن بإزدهار معالم التجديد فى واقعنا الذى نعيش فيه

التجديد فى الفكر الإسلامى

مفهوم التجديد وأبعاده فى الفكر الإسلامى

التجديد سنة الحياة : والحياة بطبيعتها فى حركة دائمة ومتجددة وحياة الإنسان بصفة خاصة تخضع من ناحية لهذا القانون العام ولكنها من ناحية أخرى تحكمها إرادة الإنسان وعقله وتفكيره وهذا يعنى أن الإنسان ليس ريشة فى مهب الريح تميلها حيث تميل وليس مجرد متأثر بما حوله وإنما هو مؤثر فى الأحداث وموجه لها فالإنسان إذا له دور إيجابى كبير فى حركة الحياة وهو مكلف وصاحب مسئولية وليس مسخرا لغيره وإن نظرة سريعة على تاريخ الحياة والأحياء ترينا مدى ما قام به الإنسان من توجيه لأحداث التاريخ من تغيير لا حدود له فى جميع مرافق الحياة **وإذا** كان الأمر كذلك وهو كذلك بالفعل فإن مستقبل البشرية فى يد الإنسان وهذا ليس فيه انتقاص من القدرة الإلهية وإنما هو أمر يدخل فى إطار هذه القدرة التى قررت فى الأصل عند خلق الإنسان أن يكون مخلوقا له إرادة فى الفعل أو الترك كما قررت قانونا إلهيا يقول : تعالى

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد 11)

فقد أسندت الإرادة الإلهية التغيير للإرادة البشرية أولا فالإنسان عليه أن يبدأ بالتغيير الذى يعنى هذا بطبيعة الحال التجديد إلى الأفضل وعندئذ تتدخل الإرادة الإلهية فى معاونة الإنسان على إنجاز مهمته بتهيئة الأسباب الموصلة إلى تحقيق الأهداف

نظرا لأن حركة الحياة لا تكف عن الدوران فإنها دوما متجددة حتى فى خلايا الجسم نفسه تتجدد بصفة مستمرة ما عدا خلايا المخ .

إن التجديد إذا هو سنة الحياة والبديل هو الجمود والموت .

الإسلام والتجديد

الإسلام بطبيعته دين يتمشى مع سنن الحياة ولا يصادم الفطرة الإنسانية ومن هنا يشجع الإسلام التجديد المستمر لحركة الحياة والمجتمع من أجل الوصول إلى الأفضل فى جميع مجالات الحياة وقد جاءت الدعوة إلى التجديد واضحة وصريحة فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " رواه أبو داود

وتجديد الدين فى تفسير شراح الحديث القدماء يعنى إحياء السنة وإماتة البدعة أو كما يقول : العلقمى معنى التجديد إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما وقد يبدوا أن هذا الفهم القديم للتجديد لا يشمل على إضافة جديد أو على تجديد المعنى المعروف ولكننا نستطيع أن نلحظ فى الفهم القديم للتجديد الوارد فى الحديث النبوى تجديدا حقيقيا لأنه من ناحية مرتبط بالكشف عن الفهم السقيم للدين الذى يعزله عن الحياة ومن ناحية أخرى مرتبط بجلاء مرآة الدين وذلك بإزالة كل ما علق بها من شوائب من عادات أو تقاليد غريبة عن جوهر الدين وهذا كله من شأنه أن يعيد للدين صفاؤه ونقاؤه ويتيح ذلك الفرصة لقراءة الدين قراءة صحيحة بعيدة عن أقوال هذا أو ذاك ممن يدعون الغيرة على الدين وهم يسيئون إليه من حيث لا يشعرون وعندئذ يتبين المرء أن الدين ليس كما يصوره المنغلقون مجرد شعائر أو رسوم أو طقوس وإنما هو دين يشتمل على العقيدة والشريعة والأخلاق والحضارة ويحض على العلم والمعرفة ويفتح الطؤيق على مصراعيه لكل تقدم علمى وبشرى وفى ذلك كله من التجديد ما فيه وقد يرى البعض أن هذا الفهم على هذا النحو لم يكن واردا فى ذهن الأقدمين وهنا يحق لنا أن نتساءل ؟ إن كان هذا الفهم لم يخطر على بال الأقدمين فكيف استطاع المسلمون بعد فترة زمنية قصيرة نسبيا إلى ظهور

الإسلام بناء حضارة شامخة كانت من أطول الحضارات عمرا فى التاريخ وكان لها عطاؤها الحضارى للإنسانية كلها وتأثيرها البالغ فى التاريخ البشرى بصفة عامة ؟

ألم يكن ذلك كله نتيجة للفهم الصحيح للدين والتجديد الذى يحض عليه الإسلام ؟

وبصرف النظر عن النوايا فإنه ينبغى أن ننظر إلى الجوانب الإيجابية المشرقة فى تراثنا والدافعة إلى التقدم والرقى فى كل مجالات الحياة والفهم الذى أشرنا إليه يساعد على ذلك فضلا عن أنه غير مقطوع بفهم المحدثين للتجديد فالتجديد فى العصر الحديث يعنى تحقيق إستمرار حيوية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان ومسايرته للتقدم الإنسانى المتصل وتحريره من الحواجز التى أقامها أصدقاء جهلاء حجبت نوره وإشراقه عن الأعين والقلوب ونظرا لأن الإسلام فى تعاليمه يعد دينا للحياة بكل أبعادها فإن التجديد المقصود فى الحديث النبوى يعد أيضا تجديدا للحياة بكل جوانبها المختلفة ومن هنا نشط علماء المسلمين ومفكروهم على مدى تاريخ المسلمين فى العمل على تجديد الحياة وترقيتها عن طريق العلم والمعرفة فالتطورالعلمى والمعرفة والخبرات البشرية والدروس المستفادة من أحداث التاريخ إذا إجتمعت لدى فرد أو جماعة فإنها تتضافر فى تزويدهم بالركائز الضرورية لإحداث التجديد فالتجديد لا يأتى من فراغ ولا يتيسر للكسالى أو المنغلقين على أنفسهم ولا يسقط من السماء على أحد عن طريق المعجزات ولكنه يقوم به الإنسان الذى يرتاد الطريق لقومه فيرى ما لا يرون والذين يرتادون الطريق ويتقدمون الصفوف ويكشفون معالم الطريق هم الرواد فى كل أمة وهم المجددون وقد شهد تاريخ الفكر الإسلامى العديد من هؤلاء الذين أثروا الحياة الإسلامية والفكر الإسلامى برؤاهم السديدة وأفكارهم الرشيدة وهناك العديد من المؤلفات القديمة والحديثة التى عنيت بالتجديد ويتضح لنا من خلالها مدى الجهود المتواصلة التى بذلها المجددون فى الإسلام وقد توفرت بعض هذه المؤلفات على محاولات إحصاء المجددين على مدى القرون الماضية والجهود العلمية التى بذلوها بهدف حماية الدين وحماية الفكر الإسلامى الصحيح من ناحية وإزالة العقبات التى تعترض مسيرة هذا الفكر من ناحية أخرى وذلك بإزالة ما تراكم متن غبار وأوشاب حجبت الرؤية الصحيحة وقد كان حرص مفكرى الإسلام على

ذلك فى كل العصور من منطلق غيرتهم الفائقة على الإسلام وتعاليمه وصفاء الفكر الإسلامى ونقائه ومن هؤلاء على سبيل المثال حجة الإسلام الإمام الغزالى الذى يوحى عنوان أهم كتبه بنزعته التجديدية أو الإحيائية فأهم مؤلفاته يحمل عنوان إحياء علوم الدين كما هو معروف وفى العصر الحديث هناك أيضا قائمة طويلة من المجددين نخص منهم بالذكر جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا والشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ محمود شلتوت وغيرهم كثيرون ولكل منهم أسلوبه فى التجديد ومنهجه فى الإصلاح ولكنهم جميعا يتفقون فى الهدف المتمثل فى ضرورة فهم الدين على أنه دين للحياة بكل أبعادها ومن هنا لا يجوز عزل الدين عن الحياة فالدين علم ومعرفة وحضارة وأخلاق وثقافة فضلا عن كونه عقيدة وشريعة وتعتمد النزعة التجديدية لدى هؤلاء المفكرين على التشخيص السليم لأوضاع العالم الإسلامى والتعرف على مواطن العلة فيه بهدف تقديم العلاج الصحيح والخروج بالأمة الإسلامية من أزمتها الحضارية الخانقة حتى تشارك فى صنع التقدم الحضارى للبشرية جمعاء .

صور التجديد فى الفكر الإسلامى

التجديد : كما ورد فى المعجم الفلسفى لمجمع اللغة العربية هو نزعة تأخذ بأساليب جديدة فى نواحى الحياة الفكرية والعملية ومنه التجديد الكتطرف والتجديد فى الفكر الإسلامى يتضمن أيضا الأخذ بأساليب جديدة فى نواحى الحياة الفكرية والعلمية ولكنه ينحو منحى ما يسمى بالتجديد المتطرف فهذا اللون من التجديد غريب عن الإسلام بل قد عانى منه الإسلام فى الماضى والحاضر .

السمة المميزة للتجديد فى الفكر الإسلامى هى الوسطية والإعتدال والتوازن

السمة المميزة للتجديد فى الفكر الإسلامى : هى الوسطية والإعتدال والتوازن والتوافق مع الفطرة الإنسانية والتجديد فى الفكر الإسلامى له صور مختلفة فقد يكون تجديدا شاملا لجميع مناحى الحياة وذلك إذا أصاب التدهور مرافق الحياة كلها وقد يكون تجديدا فى أحد الجوانب التى أصابها الجمود أو الخلل لمنع انتشار التدهور أو الخلل إلى جوانب أخرى وقد يكون تجديدا مرحليا وقد يكون جذريا وكل صورة من هذه الصور لها ظروفها ومتطلباتها ومن هنا رأينا بعض المجددين يتجهون إلى التجديد فى المجال الدينى والبعض الآخر يتجه إلى التجديد فى المجال العلمى أو الإجتماعى أو السياسى أو العسكرى وذلك حسب ظروف ومتطلبات المرحلة التى يعيشها المجدد وما يراه من أولويات تفرض نفسها ولكن التجارب المعاشة قد أثبتت أن أساليب التجديد الجزئى لا تؤتى ثمارها على النحو المطلوب .

التجديد الحقيقى

التجديد الحقيقى : ينبغى أن يكون مبنيا على أساس مشروع حضارى متكامل ينطلق من إقتناع تام بضرورة التجديد على المستويين المادى والمعنوى للنهوض بالمجتمع وتحقيق أهدافه فى التقدم الحضارى الشامل وهذا أمر يتطلب تهيئة المناخ الفكرى لتقبل أى إصلاح مثمر ويتم ذلك بإصلاح العقول وتجديد الفكر من الخرافات والأوهام حتى تصل إلى مرحلة النضج والوعى بضرورة التجديد والإسهام فى اتجاهه وقد كان الشيخ محمد عبده على سبيل المثال مصلحا دينيا ومصلحا إجتماعيا

وشخصية بارزة ولكن فى الإصلاح أو التجديد فى هذه المجالات وجدناه يتجة أولا إلى تهيئة المناخ وإيجاد التربة المناسبة لوضع بذور الإصلاح فى جميع المجالات وذلك بتحرير الفكر من قيود التقليد واصلاح اللغة العربية التى هى وعاء الفكر والمعرفة وفى ذلك يقول : إرتفع صوتى بالدعوة إلى أمرين عظيمين :-

الأول : تحرير الفكر من قيد التقليد

والأمر الثانى : إصلاح أساليب اللغة العربية

وقد طرأت على عملية التجديد فى افكر الإسلامى فى القديم والحديث تيارات عدة تختلف فى أهدافها وأسلوبها تبعا لإختلاف رؤى أصحابها وبعضها يمكن أن يندرج تحت مفهوم التجديد بمعناه الصحيح والبعض الآخر يقترب أو يبتعد عن هذا المفهوم بشكل أو بآخر وبعضها يمثل عائقا حقيقيا أمام أى شكل من أشكال التجديد أو الإصلاح ونود أن نشير هنا إلى صورتين متناقضتين تماما وإن كانتا تتفقان فى المحصلة النهائية فهناك من يفهم التجديد أو الإصلاح على أنه العودة إلى التمسك بكل ما هو قديم ورفض كل ما هو جديد طارىء بوصفه من البدع المرفوضة ويعدون ذلك إصلاحا دينيا ويورد هؤلاء فى ذلك الحديث الشريف " إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار " رواه أبو داود

وينسون فى هذا الصدد التفرقة بين الإبتداع فى الدين وإدخال أشياء غريبة عليه وجعلها من الدين وهى ليست منه بل عليه وبين التجديد المقصود فى حديث التجديد الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يهدف إلى الحفاظ على حيوية هذا الدين الذى هو دين للحياة بكل أبعادها وهناك فى الطرف المقابل صورة أخرى للتجديد تحاول التنصل من الماضى ومن كل ما هو قديم والأخذ بالأفكار الإصلاحية الجديدة حتى ولو كانت تتعارض صراحة أو ضمنا مع تعاليم الإسلام ويتبنى هذا الإتجاه أصحاب بعض الإتجاهات التى تميل إلى القطيعة الثقافية التامة مع الماضى وهؤلاء لا يختلفون كثيرا عن الفريق الأول فكلاهما متطرف فى اتجاهه وكلاهما لا يخدم الإسلام :-

فالفريق الأول : يريد أن يشد الإسلام إلى فهمه السقيم ويجعل منه أمرا متنحيا بعيدا عن حركة الحياة .

والفريق الثانى : يريد أن يجعل من الإسلام مرحلة تاريخية لها ظروفها التى لم تعد قائمة . وبالتالى فالبناء عليه فى الحياة المعاصرة يعد أمرا مناقضا للواقع وقبل أن نختم حديثنا عن صور التجديد فى الفكر الإسلامى نود أن نؤكد مرة أخرى على الأمور التالية .

إن أى تجديد فى الفكر يحمل الصفة الإسلامية لا بد له أن يكون مرنبطا بثوابت الإسلام وأن يتم فى إطار الأصول المعروفة لهذا الدين تجديد الدين بالمعنى الذى سبق أن أوضحناه يشمل تجديد كل مجالات الحياة دون إستثناء ولا يجوز أن يفهم الدين منفصلا عن الحياة التجديد فى الدين ليس بمعنى الخروج عن إطار الثوابت الإسلامية .

خاتمة : إن الأمر الذى يؤسف له أنه كلما سار بنا ركب النهوض والتقدم خطوة إلى الأمام أطلت برأسها من هنا وهناك عناصر التخلف التى تتمسح بالدين وتتاجر بالسياسة لتجذبنا إلى الوراء خطوات بإفتعال معارك عيشية ومن هنا تعثرت الأمة فى سيرها وتخلفت فى مسيرتها فى الوقت الذى يسرع فيه غيرنا الخطى حتى بعدت الشقة بيننا وبينهم وأصبحنا فى مؤخرة الركب ننعى حظنا العاثر ونبحث هنا وهناك عن شماعات نعلق عليها قصورنا وتقصيرنا وقد آن الآوان لأن يتيقظ المسلمون جيدا ويلتفتوا إلى الإصلاح على جميع المستويات وبصفة خاصة إصلاح العقليات واتجاهات التفكير .

فصل

العقيدة والشريعة فى الإسلام والفرائض الغائبة

الإسلام عقيدة وشريعة : غنى عن البيان أن نؤكد أن تجديد الفكر الإسلامى المعاصر يتطلب ضرورة التذكير بقيم الإسلام وتعاليمه التى تناساها بمرور الزمن جمهور كبير من أبناء المسلمين أو أساءوا فهمها على وجهها الصحيح وقد زاد الطين بله مزاعم بعض الفئات من أبناء المسلمين الذين يحرصون على أن يتميزوا فى مظهرهم عن الآخرين بأنهم وحدهم المتمسكون بالعمل بما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون من بعده وأنهم الفرقة الناجية التى تحدث عنها النبى صلى الله عليه وسلم وأصبح الجهاد بالسلاح لدى بعض الفئات ضد مخاليفيهم فى الرأى من المسلمين أمرا مشروعا يتقربون به إلى الله الأمر الذى ذكرنا بالخوارج فى العصر الأول للإسلام وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى إلحاق الضرر بالإسلام ذاته داخل المجتمعات الإسلامية وفى خارجها أيضا وبخاصة أن غيرالمسلمين يحكمون على الإسلام من واقع سلوك المسلمين على أساس أن هذا السلوك ما هو إلا ترجمة لتعاليم هذا الدين وهذا حكم خاطىء بطبيعة الحال وفهم مغلوط للإسلام وحتى يتسنى للغيورين على الإسلام أن يبذلوا جهدهم فى تغيير الصورة السيئة التى انتشرت عن الإسلام لدى المسلمين وغير المسلمين فإن الأمر يتطلب إعادة النظر فى فهمنا للإسلام وإزالة ما تراكم بمرور الزمن على مرآة هذا الدين من غبار كثيف من الفهم السقيم والتقاليد البالية والعادات السيئة حتى تعود هذه المرآة مرة أخرى فى عقول المسلمين نقية صافية مبرأة من كل ما لا يكت إلى جوهر الدين بأى صلة ولقد درجنا على ترديد القول : بأن الإسلام عقيدة وشريعة وهذا الشعار حق ولكنه فى رأينا لا يعبر تماما عن فهم تكاملى للإسلام ومن أجل ذلك نعتقد أن هذا الشعار الذى يوضح ما هو الإسلام وبخاصة فى هذا العصر الذى صار فيه التدين لدى جمهور كبير من المسلمين شكليا ومنقوصا أصبح فى حاجة ماسة إلى تعديل لإعادة التوازن بين العناصر التى يشمل عليها الإسلام فى حقيقته وهذا التعديل الذى نقترحه يكون

بإضافة عنصرين أساسين هما الأخلاق والحضارة وهذه الإضافة ضرورية لسببين :-

أولهما : إعادة التوازن المفقود فى الإسلام

على نحو يجعل التكامل بين عناصره واقعيا حيا يعيشه المسلم فى حياته يتعامل من خلاله مع الآخرين فى المجتمع

أما السبب الثانى : فهو التأكيد على التذكير بالفرائض الغائبة فى عالمنا الإسلامى .

وهذا ما سيتضح من خلال شرحنا لكل عنصر من هذه العناصر الأربعة فى السطور التالية :-

العقيدة : أما العنصر الأول وهو العقيدة فإن مما لا شك فيه أن العقيدة الدينية فى الإسلام تعبر عن علاقة مباشرة بين الله والإنسان لا تحتاج إلى أى شكل من أشكال الوسائط بين الخالق والمخلوق ولا يطلع عليها إلا عالم الغيب والشهادة ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى فى العديد من الآيات ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر

قوله : تعالى (ادعونى أستجب لكم) (غافر 60)

وقوله : تعالى

(وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) (البقرة 186)

وقوله : تعالى (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) (ق 16)

ومن الأحاديث النبوية قول : النبى محمد صلى الله عليه وسلم " إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله " **.** ومن المعلوم كما جاء فى الحديث الشريف أيضا " أن كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون " . ومن هنا يؤكد القرآن الكريم

(إن الله يحب التوابين) (البقرة 222)

ولا شك فى أن تصحيح هذه الصلة المباشرة بين الله والإنسان تعد البداية الحقيقية لغرس ثقة الإنسان فى الله وفى عدله وحكمته وهذه الصلة قائمة منذ بدء الخليقة فالله سبحانه وتعالى عندما خلق آدم عليه السلام من طين وسواه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ومن هنا فكل بنى آدم عليه السلام له نصيب من هذه النفخة

الروحيـة الإلهيـة التـى تشكل الصـلة المباشـرة بـين الله والإنسـان وتتجلـى هـذه النفخـة الروحية الإلهية فى المقام الأول فى العقل الإنسانى فطريق الإسلام إذا طريق واضح تمام الوضوح وعلينـا أن ننقـى هـذه العلاقـة بـين الله والإنسـان مـن كـل ألـوان الوسـائط سواء من البشر أو الجن أو أى وسائط أخرى يمكن تصورها .

أما العناصر التى منها العقيدة الدينية فى الإسلام : ولا تحتاج هنا إلى توضيح ويكفى أن نشير فى هذا الصدد فى آيتين كريمتين فقط : -

أما الآية الأولى : فهى قوله : تعالى

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) (البقرة 285)

الآية الأخرى : قوله : تعالى

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الملائكة والكتاب والنبيين) (البقرة 177)

وبقية الآية تتحدث عن التكاليف المترتبة على هذا الإيمان .

الشريعة : أما العنصر الثانى من الشعار الذى أشرنا إليه فيتمثل فى الشريعة .

ومفهوم الشريعة غير واضح المعالم فى أذهان الكثيرين من أبناء الأمة فالبعض يفهم الشريعة على أنها الفقه الإسلامى بما يشمل عليه من تفصيل القول فى العبادات والمعاملات ومنهم من يختزلها فى تطبيق الحدود ويتردد ذلك كثيرا على ألسنة فريق كبير من المطالبين بتطبيق الشريعة ولكن هذه الأفهام قاصرة عن إستيعاب المعنى الحقيقى لمفهوم الشريعة ومن هنا فإن الأمر يحتاج إلى توضيح يزيل اللبس القائم فى هذا الصدد .

الشريعة الإسلامية فى أوسع معانيها تعنى الدين الذى جاء من عند الله تعالى

إن الشريعة الإسلامية فى أوسع معانيها تعنى الدين الذى جاء من عند الله تعالى ويؤكد القرآن الكريم ذلك فى قوله : تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا

والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (الشوورى 13)

ومن هنا عرف بعضهم الشريعة بأنها ما سنه الله لعباده من الدين وإفترضه عليهم ويمكن تأسيسا على ذلك تعريف الشريعة على نحو أكثر تفصيلا بأنها عبارة عما جاءت به الرسل من عند الله بقصد هداية البشر إلى الحق فى الإعتقاد وإلى الخير فى السلوك والمعاملات وبهذا المعنى يشمل مفهوم الشريعة الجوانب الإعتقادية والأخلاقية والعلمية وبذلك تنظم الشريعة صلات الإنسان المتعددة فى ثلاث دوائر : -

أولها : صلة الإنسان بنفسه

ثانيها : صلته بخالقه

ثالثها : صلته بمن حوله وما حوله من بشر وحيوان وجماد .

ولا شك فى أن مسئوليات الإنسان فى هذه الحياة الدنيا تتوزع على هذه الدوائر الثلاثة والشريعة من شأنها أن تعينه على تحمل هذه المسئوليات والوفاء بحق هذه الإلتزامات التى تكفل له السعادة فى الدنيا والآخرة ومن خصائص الشريعة أنها ربانية المصدر وأنها صالحة لكل زمان ومكان وأنها تقوم على التيسير على الناس ورفع الحرج عنهم وأن الجزاء فيها دنيوى وأخروى فى الوقت نفسه .

الفرق بين الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامى

إنه على الرغم من وضوح معنى الشريعة على النحو الذى بينا فإن هناك كثيرين يخلطون بين الشريعة والفقه الإسلامى وقد استقر هذا الفهم فى أذهان الكثيرين منذ قرون نتيجة لعصور التخلف التى طرأت على المسلمين منذ تراجع الحضارة الإسلامية .

الفرق بين الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامى

الفرق بين الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامى : مثل الفرق بين السماء والأرض وبين ما هو إلهى وما هو بشرى وقد أدى هذا الخلط إلى إضفاء طابع القداسة على آراء الفقهاء السابقين لدرجة جعلت بعضهم يعتقد أن الخروج على هذه الآراء يعد خروجا على الدين نفسه وتمسك هؤلاء بإغلاق باب الإجتهاد ومنع رحمة الله الواسعة

فى التيسير على العباد وقد كان الفقه يقصد به فى البداية جميع الأحكام الدينية التى جاءت بها الشريعة الإسلامية فى أمور العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات .

كما ورد أيضا عن الإمام أبو حنيفة : أن الفقه هو معرفة النفس ما لها وما عليها **.**

وهذا يشمل جميع المعانى المشار إليها ويؤيد هذا الفهم للفقه قول : القرآن الكريم

(فلولا نفر من فرقة طائفة منهم ليتفقهوا فى الدين) (التوبة 122)

ولكن حدث تطور فى معنى الفقه جعلته يقتصر على العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية بالإستدلال وبذلك خرج مفهوم الأحكام الإعتقادية والأخلاقية وصار مدلوله قاصرا على الأحكام العملية أى المعاملات والعبادات .

إختزال الشريعة فى تطبيق الحدود جهل بالشريعة وظلم للإسلام

أما إختزال الشريعة : فى تطبيق الحدود فهذا جهل بالشريعة وظلم للإسلام ذاته فالحدود فى الإسلام لا تتعدى نسبة 5% من الشريعة وتطبيقها محاط بسياج منيع من الضمانات والضوابط الصارمة لإقامة العدل بين الناس والتنفيذ تقوم به الجهات المخولة بذلك بعد صدور الأحكام القضائية فى هذا الشأن

أما العنصر الثالث : وهو الأخلاق

فإن النبى صلى الله عليه وسلم قد أكد فى حديث شريف على جوهرية الأخلاق فى دعوته بقوله : " إنما بعثت لأمم مكارم الأخلاق " . وقد أثنى القرآن الكريم على حسن خلق النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : تعالى

(وإنك لعلى خلق عظيم) (القلم 4)

فهو صلى الله عليه وسلم النموذج والقدوة لكل مسلم فى أخلاقه الحميدة وشمائله الشريفة ومن أحاديثه النبوية فى هذا الصدد قوله : صلى الله عليه وسلم " أقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا " . وقد كان عليه الصلاة والسلام قمة فى الأخلاق فى كل تعاملاته مع الناس كبيرهم وصغيرهم رجالهم ونسائهم وكان بساما ضاحكا كما قالت : السيدة عائشة رضى الله عنها يمزح مع الآخرين ولا يقول إلا حقا بعيدا عن كل شكل من أشكال الفظاظة أو الغلظة فى التعامل ويخبرنا القرآن الكريم

بـذلك فـى قولـه : تعـالى (فبمـا رحمـة مـن الله لنـت لهـم ولـو كنـت فظـا غلـيظ القلـب لانفضوا من حولك) (آل عمران 159)

وخلاصة القول : إن الأخلاق تعد روح التدين وجوهره فإذ خلا التدين من هذه فقد تـم تفريغـه مـن مضـمونه ولا يعتـد بـأى تـدين مزعـوم لا يتسلح بـالأخلاق الفاضـلة والقيم النبيلـة التـى يزخـر بهـا القرآن الكـريم والسـنة النبويـة وإذا كـان الله سـبحانه قد أرسـل محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين فهذا يبين لنـا أن الرحمـة علـى رأس هرم الفضـائل والقيم فى الإسلام ويفسر لنا حديث النبى صلى الله عليه وسلم والذى يقول : فيه " إنما بعثت لأمم مكارم الأخلاق " . ويؤكد فـى الوقت نفسـه أن الأخـلاق عنصـر أساسـى فـى المنظومـة الإسـلامية وهـذا كلـه يـدعم مـا ذهبنـا إليـه مـن ضـرورة إضـافة الأخلاق لتكون العنصر الثالث فى الشعار الإسلامى المشار إليه .

العنصر الرابع : الحضارة والفرائض الغائبة

أما العنصر الرابع الغائب فى دنيا المسلمين فهوالحضـارة : ونحـن نـزعم أن مشكلة المسلمين فى عالم اليوم مشكلة حضارية فى المقام الأول فكل الـدول الإسـلامية التـى يشكل سكانها حاليا أكثر من خمس سكان العالم مندرجـة تحـت عنـوان الـدول الناميـة وهذا تعبير مهذب فى وصف الدول المتخلفة بعد أن كانت الأمة الإسلامية قائدة العالم كله فى العصور الوسطى من الناحية الحضارية .

أما : ما يراه المرء هنا أو هناك فى عالمنـا الإسـلامى المعاصـر مـن قشـرة حضـارية فهـذا لا يعنــى التحضــر فــإذا كــان المسـلمون يتمتعـون فــى بلادهـم بثمـار الحضــارة المعاصـرة ويسـتهلكون مـا تنتجـه مـن وسـائل متعددة فـإن ذلـك يؤكـد أن المسـلمين قـد أصبحوا زبائن فى سوبر ماركت الآخرين .

أما التحضر الحقيقى : فإنه ينبع من الداخل ولا يمكن استيراده ولا نريد بطبيعة الحال أن نكون متشائمين إلى الحد الذى يجعلنا عاجزين عن إبداع حضار إسلامية

وإنمـا الهـدف هو أن نفتح عيوننـا مـن جديد علـى قيم الإسـلام الحضـارية لتبعـث فـى نفوسنا الأمل وتغرس فى عقولنا الثقة فى قدرتنا على بناء حضارتنا من جديد حتى لا تظل فى إطار التبعية للآخرين ونحن بذلك لا نحلق فى دنيا الأوهام وإنمـا نقـف علـى

أرض صلبة من قيم الإسلام الحضارية التى على أساسها أقام المسلمون فى السابق حضارتهم الزاهرة .

الحضارة فى الإسلام تعد فريضة إسلامية

الحضارة فى الإسلام تعد فريضة إسلامية : وفى إيجاز شديد نشير إلى أن الحضارة فى الإسلام تعد فريضة إسلامية لا تقل فى أهميتها عن فريضة الصلاة والصيام **وإذا** كان القرآن الكريم يتحدث عن التمكين للمسلمين فى الأرض وهذا فى رأينا يعنى تحقق الحضارة فإن ذلك من شأنه أن يمهد السبيل لإقامة شعائر الإسلام وفى ذلك يقول : القرآن الكريم

(الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) (الحج 41)

وفضلا عن ذلك فإن الأمر بالتكليف الإلهى ببناء الحضارة قد جاء واضحا صريحا فى قوله : تعالى (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) (هود 61)

أى طلب منكم عمارتها ماديا وروحيا وهذا يعنى بالتعبير الحديث طلب منكم صنع الحضارة فيها وإذا كان الطلب صادرا من الله فلا بد من الإستجابة لهذا الطلب فالأمر ليس مندوبا ولا مستحبا وإنما هو بكل المقاييس فريضة إسلامية كما سبق أن أشرنا وتعد الحضارة على رأس الفرائض الغائبة لدى المسلمين فى عالمنا المعاصر .

فصل

ركائز التقدم الحضارى

التفكير والعلم والحضارة

إن تقدم الأمة الإسلامية وجعلها أمة رائدة فى عالمها قد وعد الله به المؤمنين الصادقين فى قوله : تعالى (وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) (النور 55)

وقد تحققت هذه الوعود الإلهية بالفعل فى فترات سابقة وشهدت الأمة الإسلامية إزدهارا حضاريا غير مسبوق وإستفادت الأمم الأخرى وبخاصة فى العالم الأوربى من إنجازات المسلمين الحضارية وكان ذلك الإزدهار الحضارى نتيجة لتحقق شروط أساسية تعد ركائز لأى تقدم حضارى وهى التفكير والعلم والحضارة .

وأعتقد أن هذه الثلاثة المترابطة هى الفرائض الغائبة فى عالمنا الإسلامى وقد أدى غيابها إلى التدهور الحضارى الراهن فالتفكير يعد فريضة إسلامية وهو وظيفة العقل الإنسانى الذى هو أفضل النعم التى أنعم الله بها على الإنسان إستخدام العقل مسئولية سوف يسأل الإنسان عنها يوم القيامة كما جاء فى القرآن الكريم

(إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) (الإسراء 36)

وما دام التفكير علامة على إستخدام العقل فهو واجب أساسى على كل مسلم وهو بالتالى فريضة إسلامية وللنظر إلى ختام الآية التالية ليتضح لنا مدى إهتمام القرآن الكريم بفريضة التفكير يقول : الله تعالى (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (الجاثية 13)

ومن هنا كان الأستاذ :عباس محمود العقاد موفقا عندما جعل عنوان أحد كتبه القيمة التفكير فريضة إسلامية وكان الفيلسوف العظيم : ابن رشد على صواب كذلك عندما إعتبر التفكير أو ما أطلق عليه النظر العقلى فى الموجودات واجبا شرعيا .

أما الفريضة الغائبة الثانية : فهى العلم والعلم بنص الحديث الشريف " فريضة على مسلم ومسلمة " . والعلم المقصود هنا هو العلم بجميع أبعاده وليس العلم الدينى فقط الذى يجعله القرآن الكريم من اختصاص طائفة من المسلمين فى قوله : تعالى

(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) (التوبة 122)

وقد سبق أن أشرنا إلى أن التكليف الإلهى بإعمار الأرض يجعل من الحضارة فريضة إسلامية ومن الواضح أن الترابط بين عناصر هذه الثلاثية وثيق لا ينفصم إذا أريد الوصول إلى النتائج المرجوة والتى تتمثل فى البناء الحضارى المأمول فلا توجد حضارة بدون علم ولا يوجد علم بدون تفكير ولا يوجد تفكير بدون عقل .

الإسلام كان دافعا وداعما لكل انجاز حضارى حققه المسلمون

قد كان الإسلام دافعا وداعما لكل انجاز حضارى حققه المسلمون فى السابق ولا يزال الإسلام وسيظل مؤهلا لبناء حضارى جديد يعيد للمسلمين أمجادهم بشرط أن تستيقظ الأمة من سباتها وتبذل قصارى جهدها لتحقق الأهداف المرجوة

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد 11)

وإذا كان هناك من يتحدثون اليوم عن الجهاد بمعنى حمل السلاح وفرض الإسلام على الآخرين هو الفريضة الغائبة فى عالم اليوم فهم واهمون فالإسلام لم يطلب فرض الإسلام على أحد فلا إكراه فى الدين ولكن هناك من سيقول : إن الآيات القرآنية التى تشير إلى عدم الإكراه فى الدين قد نسخت بحديث " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله " . وهذا جهل بالدين فكيف يمكن لحديث شريف أن ينسخ آية قرآنية محكمة ؟ وقد سبق أن أشرنا إلى ضرورة إعادة النظر فى قضية النسخ فى القرآن حفاظا على قدسية هذا الكتاب الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (فصلت 42)

إحياء التفكير الحضارى

إن الجهاد المطلوب اليوم هو رد العدوان وهو فى المقام الأول جهاد حضارى يقوم على الأسس التى أشرنا إليها لتحقيق الوعود الإلهية التى سبق أن تحققت عندما

توفرت شروط تحقيقها ومن هنا فإن الأولوية اليوم تكون لإحياء التفكير الحضارى الذى يعد من قبيل التسابق فى الخيرات الذى أشار إليه القرآن الكريم فى قوله : تعالى (فاستبقوا الخيرات) (البقرة 148)

دور الإسلام فى تطوير الفكر الحضارى لدى المسلمين

تمهيد : لقد سبق أن أشرنا إلى أن الحضارة بصفة عامة تعنى التقدم المادى والروحى للأفراد والجماعات وقد قامت الحضارة الإسلامية بالفعل على هذين الأساسين الأساس الروحى والأساس المادى وأى حضارة لا تعتمد على هذين الأساسين أو تكتفى بأساس واحد منهما لا يمكن أن تسمى حضارة وإذا أطلق عليها مصطلح الحضارة تجاوزا فهى إما أن تكون حضارة عمياء أوعرجاء والحضارة أى حضارة لا تنشأ من فراغ فمن الضرورى أن تكون هناك دوافع قوية تحفز البشر إلى العمل بجد ونشاط من أجل تحقيق هذا التقدم المادى والروحى للأمم والشعوب ومن المعروف أن العرب قبل الإسلام لم يعرفوا الحضارة بالمعنى المشار إليه فلم تكن لديهم ما يمكن أن يوصف بأنه علم أو فلسفة أو حضارة وبعد ظهور الإسلام تغير الأمر تماما وتبدلت أحوال العرب بصفة خاصة فقد بعث الإسلام فيهم حياة جديدة ونقلهم إلى أفق فسيح من العلم والمعرفة وجعلهم مؤهلين لإقامة صرح دولة عظمى تمتد من أقصى الصين شرقا إلى أقصى الأندلس غربا وفى ظل تعاليم الإسلام إزدهرت العلوم والمعارف على إختلاف أنواعها وأسهم المسلمون فى الجهود الحضارية بكل طاقاتهم وأصبحت لهم حضارة تحمل طابعهم وتميزهم عن غيرهم ولم يكن ذلك كله يمكن أن يحدث إلا إذا كانت تعاليم الإسلام تشمل على العناصر الأساسية لهذا التحول العظيم وقد كان حجر الأساس فى هذا البناء الجديد يتمثل فى نظرة الإسلام إلى الإنسان فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه خليفة الله فى الأرض مصداقا لقوله : تعالى

(إنى جاعل فى الأرض خليفة) (البقرة 30)

وقد فضله الله على كثير من مخلوقاته وكرمه أعظم تكريم كما تعبر عن ذلك آيات عديدة فى القرآن الكريم ومنا قوله : تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر

والبحـر ورزقنــاهم مــن الطيبــات وفضــلناهم علــى كثيــر ممــن خلقلنــا تفضــيلا) (الإسراء 70) .

وهذه الآية الكريمة التى اختص الله بها الإنسان ذات أبعاد مختلفة فهى حماية إلهية للإنسان تنطوى على إحترام حريته وعقله وفكره وعقيدته فضلا عن ماله ودمه وعرضه وتعنى فى النهاية الحرية الحقيقية وهى تلك الحرية الواعية المسئولة التى تدرك أهمية تحملها أمانة التكليف والمسئولية التى أشفقت من حملها السماوات والأرض والجبال كما جاء فى قوله : تعالى

(إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان) (الأحزاب 72)

وإذا كان الله قد اختص الإنسان بالتكليف فإنه من ناحية أخرى قد خلق له هذا الكون كله ليمارس فيه نشاطاته المادية والروحية والعقلية على السواء ويشير القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله : تعالى (وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (الجاثية 13)

والتفكير الذى عليه هذه الآية هنا أمر جوهرى لا ينبغى أن يغيب عن الأذهان فإنه إذا كان الله قد سخر للإنسان هذا الكون فلا يجوز له أن يقف منه موقف اللامبالاه بل ينبغى عليه أن يتخذ لنفسه منه موقفا إيجابيا وإيجابيته تتمثل فى تأمل هذا الكون ودراسته والنظر فيه للإفادة منه على جميع المستويات بما يعود على البشرية بالخير والإفادة من كل هذه المسخرات فى هذا الكون لا تكون إلا بالعلم بمختلف أبعاده والنظر فى ملكوت السماوات والأرض على هذا النحو سيؤدى إلى الرقى المادى وإلى الرقى الروحى فى الوقت نفسه وصدق الله العظيم إذ يقول :

(سنريهم ءايتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (فصلت 53)

وهذا كله من شأنه أن يدفع الإنسان دفعا إلى العمل على بناء حضارة راسخة الأركان شامخة البنيان وكأنه سسيعيش فى الدنيا أبدا ولكنه فى الوقت نفسه لا ينسى العمل من أجل آخرته وكأنه يموت غدا كما يعبر عن ذلك الأثر الإسلامى " اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا " .

الجهد البشرى فى نظر الإسلام

فالجهد البشرى فى نظر الإسلام : يجب أن يتوزع بين هذين الجانبين فى توازن حقيقى كما تعبر عن ذلك الآية الكريمة (وابتغ فيما ءاتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا) (القصص 77)

ومن خلال هذه التةجيهات القرآنية يتضح لنا بصفة عامة مدى جوهرية دور الإسلام فى تطوير الفكر الحضارى لدى المسلمين فالقرآن الكريم لم يتعامل مع القضية على أنها قضية هامشية بل جعل من الحضارة فريضة إسلامية لا تقل فى أهميتها عن أى فريضة أخرى وهذا ما سنحاول فيما يلى إبرازه فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية .

عودا على بدء : لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون الإسلام هو الحلقة الأخيرة فى سلسلة الرسالات الإلهية للبشرية من أجل ذلك إقتضت حكمته أن تشمل تعاليم القرآن الكريم على كل ما يؤهل المسلمين بصفة خاصة ليكونوا روادا حقيقيين فى مجالات العلم والحضارة حتى يقدموا للبشرية ثمار ما إستلهموه من أصول دينهم فى القرآن الكريم والسنة النبوية من هنا كانت بداية الوحى الإلهى على محمد صلى الله عليه وسلم عودا على بدء ومعبرة عن هذه الخطة الحضارية المتكاملة وهذا ما نجده فى الآيات الجمس الأولى من الوحى القرآنى والتى تشمل على الأمر بالقراءة مرتين والتأكيد على أهمية العلم وتدوينه ودور الإنسان المكلف بحمل أمانة هذا العلم وكل ذلك فى إرتباط وثيق بخالق الكون والإنسان والعلم جميعا

(اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) (العلق 1 – 5)

فالقرآن الكريم إذا يخط الطريق بوضوح تام أمام الإنسان لإستخدامه كل ملكاته لقراءة متأنية للكتاب المسطور وهو القرآن الكريم ولقراءة متأنية أيضا للكتاب المنظور وهو الكون الذى خلقه الله ليكون الميدان الذى يصول فيه الإنسان ويجول من أجل بناء حضارى يقدم الخير للبشرية جمعاء ويلفت القرآن الكريم الأنظار إلى

أن الله عندما أراد أن يهبط آدم عليه السلام على الأرض سلحه بالعلم الذى من خلالـه تمهيد الأرض وإعنارها كلها كما جاء فى القرآن الكريم

(وعلم آدم الأسماء كلها) (البقرة 31)

والمقصود أن الله قد أعطاه مفاتيح العلم وعليه عندما يهبط إلى الأرض أن يجتهد هو وذريته إلى يوم القيامة فى إستخدام هذه المفاتيح لفتح مغاليق هذا العلم والكشف عن أسرار هذا الكون وهذا أمر لن يتحقق إلا بإستخدام الإنسان لكل ما منحه الله له من ملكات عقلية وقدرات علمية .

القرآن الكريم فتح خزائن العلم

لم يقتصر القرآن الكريم على فتح خزائن العلم والكشف عن أسراره فى مجال واحد بل فتح أمام الإنسان الباب على مصراعيه ليتدبر الكون كله ويفكر ويبحث وينقب حتى يهتدى إلى كل ما ينفعه فى دينه ودنياه فالسماوات والأرض وما بينهما مسخرات للإنسان الذى جعله الله خليفته فى الأرض والكون كله ميدان للبحث العلمى بلا قيود ولا حدود وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة التى يبق أن أشرنا إليها

(وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (الجاثية 13)

فآيات الله تعالى مبثوثة فى كل مكان فى هذا الكون الكبير والذين يفلحون فى الوصول إلى أهدافهم فى الكشف عن بعض الآيات هم هؤلاء الذين يستخدمون كل إمكاناتهم العلمية وقدراتهم العقلية بصرف النظر عن إنتماءاتهم الدينية أو العرقية أو غيرها فكل من يفكر ويبحث ويدرس ويتعمق فى بحثه ودراسته سيصل حتما إلى الأهداف المرجوة وهذا أمر واضح أمامنا فى عالم اليوم الذى يشهد كل يوم تقريبا إكتشافات علمية مذهلة فى جميع المجالات .

الحضارة فريضة إسلامية

الحضارة فريضة إسلامية : من خلال الشواهد القرآنية يتضح لنا أن الإسلام قد فتح باب البحث العلمى بلا حدود أمام الإنسان فى كل زمان ومكان فالكون كله ميدان فسيح لكل من يفكر ويبحث وينقب لتحقيق مقصود القرآن الكريم فى إعمار الكون

وصنع الحضارة فيه والحضارة المعنية هنا هى الحضارة بكل أبعادها المادية والروحية كما سبق أن أشرنا فى تعريف الحضارة ويتضح لنا أيضا أن الحضارة تعد تكليفا إلهيا وأمرا ربانيا كما جاء فى القرآن الكريم

(هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) (هود 61)

وطلب عمارة الأرض صادر من الله للإنسان ولا يجوز أن يفهم على أنه مندوب إليه فقط أو أمر ثانوى من منطق الإسلام فالأمر بإعمار الأرض بمعنى صنع الحضارة فيها ما دام تكليفا إلهيا فهو أمر واجب التنفيذ وبالتالى فهو يندرج تحت مفهوم الفريضة ومعلوم أن الحضارة أو إعمار الأرض بالتعبير القرآنى لا تقوم إلا على أساس من العلم والعلم بنص الحديث الشريف " فريضة على كل مسلم ومسلمة " والحضارة التى يتوقف بناؤها على العلم تأخذ الحكم ذاته وتعد أيضا فريضة إسلامية فما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب .

الباب الثامن

مفهوم العلم فى الإسلام

الإسلام يرفع العلم إلى درجة الفريضة

والإسلام عندما يهتم بالعلم ويرتفع به إلى درجة الفريضة فإنه يعنى العلم بجميع أبعاده وليس العلم الدينى فقط فالعلم الدينى كما جاء فى القرآن الكريم تتكفل به طائفة من الأمة وليس كل الأمة وذلك فى قوله : تعالى

(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) (التوبة 122)

أما بقية طوائف الأمة : فعليهم أن يهتموا بالعلم بجميع أبعاده ليبنوا حضارة تمكن المسلمين فى الأرض حتى يكونوا قدوة لغيرهم من الأمم وعلى المسلمين أن يطلبوا العلم ولو كان فى الصين . بمعنى حتى ولو كان فى أبعد مكان فى الدنيا أو حتى لو كان لدى من لا يدينون بدينكم فالعلم قسمة مشتركة بين الناس جميعا وقد حض الإسلام على طلب العلم وجعل للساعين فى طلبه والحرص عليه ثوابا عظيما عند الله كما جاء فى الحديث الشريف " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع " .

كما جعل الإسلام مداد العلماء مساويا لدماء الشهداء إذا كانوا يدافعون عن أمتهم بدمائهم فالعلماء يدافعون عن أمتهم بعقولهم وفكرهم ويسهمون فى تنمية وتطوير بلادهم وقد أثبت المسلمون فى السابق أنهم لم يكونوا منغلقين إزاء الحضارات السابقة وإنما كانوا منفتحين وأفادوا من التراث الإنسانى فى جميع المجالات فالتراث الإنسانى أخذ وعطاء ولا تجد أمة عريقة فى التاريخ إلا وقد أعطت كما أخذت من التراث الإنسانى والقرآن الكريم حثنا على السير فى الأرض ودراسة أحوال الأمم السابقة والإفادة من دروس التاريخ

(لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب) **(يوسف 111)**

وقد كان الفيلسوف العظيم : ابن رشد يرى أن الإطلاع على كتب السابقين واجب شرعى ويقول : فما كان منها موافقا للحق قبلناه وسررنا به وشكرناهم عليه وما كان منهم غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم .

دور العقل فى الإبداع الحضارى

دور العقل فى الإبداع الحضارى : وليس هناك من شك فى أن العقل الإنسانى يعد الأساس المكين فى كل بناء حضارى فهو الذى يتأمل ويتعمق فى دراسته وهو الذى يبدع فى كل مجالات العلوم والفنون .

إهتمام الإسلام بالعقل إهتماما بالغا

من هنا كان إهتمام الإسلام بالعقل إهتماما بالغا وقد حرص الإسلام حرصا شديدا على تمكين العقل من أداء دوره كاملا فى الحياة فالعقل نور من الله ويتضح لنا ذلك مما ورد فى القرآن الكريم متعلقا بخلق الإنسان بعد أن خلق الله آدم عليه السلام أبا البشر من الطين أى من مادة نفخ الله فيه من روحه كما يقول سبحانه وتعالى مخاطبا الملائكة

(فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) (الحجر 29)

فالعقل أثر من آثار هذه النفخة الربانية والتى من أجلها طلب الله سبحانه من الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام تكريما له وقد وصف القرآن الكريم هؤلاء الذين لا يستخدمون عقولهم بأنهم قد تخلوا عن إنسانيتهم وإرتضوا أن يكونوا فى مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان وفى ذلك يقول : الله تعالى

(لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) (الأعراف 179)

الإسلام يعتبرعدم استخدام العقل وعدم تمكينه من أداء دوره خطيئة

من هذا المنطلق يعتبر الإسلام عدم استخدام العقل وعدم تمكينه من أداء دوره خطيئة من الخطايا وذنبا من الذنوب وفى ذلك يقول : القرآن الكريم حكاية عن الكفار يوم القيامة

(وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) (الملك 10 – 11)
وإذا كانت ممارسة الوظائف العقلية تعد واجبا دينيا فى الإسلام فإنها من ناحية أخرى مسئولية حتمية لا يستطيع الإنسان الفكاك منها وسيحاسب على مدى حسن أو إساءة استخدامه لها يسأل عن استخدامه لبقية وسائل الإدراك كما جاء فى قوله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) (الإسراء 36)

الصلة بين العقل والدين

الصلة بين العقل والدين : وهكذا يتضح لنا أن الدين والعقل يتعاونان معا فى تناسق رائع من أجل خير الإنسان فى دنياه وأخراه وقد صور الإمام الغزالى الصلة بين العقل والدين تصويرا بديعا بقوله : العقل كالأساس والشرع كالبناء ولن يغنى أساس ما لم يكن بناء ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل وهما متعاضدان بل متحدان والتعاون بينهما مستمر إلى يوم القيامة وإذا كنا قد بدأنا حديثنا بتعريف الحضارة بأنها التقدم للأفراد والجماعات فإننا نود أن نؤكد هنا أن تعاليم الإسلام فى القرآن والسنة النبوية قد حققت للمسلمين فى السابق هذا التقدم وقاموا بدورهم بتقديم عطائهم الحضارى لكل الأمم والشعوب بلا حدود .

فصل

المسلمون والحضارة فى عالم اليوم

إن العطاء الحضارى الذى قدمه المسلمون إلى العالم أنرا لا ينكره إلا جاهل أو مكابر **وقد** اعترف العلماء الغربيون المنصفون بفضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية وكانت مؤلفات علماء المسلمين التى ترجمت إلى اللغة اللاتينية فى العصور الوسطى الأوربية بمثابة الضوء الكاشف الذى أضاء العقول والأفهام فى أوربا حينذاك وفتح الطريق إلى عصر النهضة التى بدأت فيه أوربا تتخلص من العقبات التى كانت تعوق حركتها فإنطلقت تبنى حضارتها الحديثة فى الوقت التى بدأت فيه الحضارة الإسلامية تتراجع عن موقفها الريادى فتوقف عطاؤها الحضارى وأخلت الميدان لغيرها ولا يزال هذا التراجع الحضارى قائما منذ سقوط الأندلس حتى اليوم وتبدلت المواقف وأصبح المسلمون عالة على غيرهم من الأمم بعد أن كانت لهم الريادة الحضارية فى غابر الزمان وقنعوا حتى اليوم بأن يكونوا مجرد مستهلكين لمنتجات الحضارة الحديثة وهذا واقع مؤلم لا نستطيع إنكاره ولكننا فى الوقت نفسه لا نعمل بما فيه الكفاية للخروج من هذا النفق المظلم وعلينا أن ندرك أن العالم الذى نعيش فيه والذى هو عالمنا جميعا لم يعد فيه مكان للضعفاء ولا للمتواكلين ولم تعد فيه قوة الأمم تقاس بكثرة المال أو العتاد الحربى وإنما بقوة العلم فالذى يملك العلم يملك القوة ويحظى بالإحترام والتقدير ويحسب له الأخرون ألف حساب .

فهل من سبيل إلى إستعادة المسلمين لأمجادهم التى كانت لهم فى يوم من الأيام أم أن الأمل قد تبدد وبخاصة بعد أن إتسعت الفجوة العلمية والحضارية بيننا وبين من بيدهم اليوم مقاليد العلم والحضارة ؟ إن اليأس ليس من شيم المؤمنين فإنه

(لا يايئس من رحمة الله إلا القوم الكافرون)　　(يوسف 87)

العطاء القرآنى متواصل

إن تراجع المسلمين الحضارى وتوقف عطائهم منذ سقوط الأندلس لا يعنى بأى حال من الأحوال أن ذلك أمر حتمى لا مفر منه أو أنه حكم نهائى لا رجعة فيه وذلك لسبب بسيط وهو أن المنابع التى ألهمت أسلافنا وبعثت فيهم الدوافع القوية لإقامة حضارة

شامخة لا تزال قائمة بيننا بما فيها من عطاء لا يتوقف مدده فالقرآن الكريم والسنة النبوية لا ينقطع مددهما فعطاؤهما متواصل وسيظل هذا العطاء موصولا إلى قيام الساعة ولكن هذا أمر يتوقف على المسلمين أنفسهم فعليهم أن يساعدوا أنفسهم أولا ليكونوا مؤهلين لطلب العون الإلهى

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد 11)

فالله لا يعين الكسالى ولا يساعد المتواكلين ولكنه دائما مع العاملين الصادقين

(إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) (النحل 128)

وإذا تأملنا الوعود الإلهية القرآنية : فى قوله : تعالى (وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) . (النور 55)

نجد أن هذه الوعود الإلهية الثلاثة قد تحققت للمسلمين فى عصور سابقة حين شمروا عن ساعد الجد وجاهدوا وتنافسوا مع غيرهم فى ميدان العلم والحضارة وكانت لهم إبداعاتهم التى عرفها العالم فى كل فروع العلم المختلفة وبذلك إستحقوا أن يمدهم الله بمدد من عنده والقضية هى أن تحقيق هذه الوعود الإلهية مرة أخرى يتطلب تجمل ضريبة مستحقة قبل طلب العون الإلهى وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة فى بدايتها مقترنا بتحقيق هذه الوعود فالوعد الإلهى للذين آمنوا وعملوا الصالحات وهذا هو جوهر القضية فالمشكلة أننا منذ قرون قد توقفنا فى فهمنا للإحسان فى هذه الآية الأولى وللعمل الصالح فى الآية التى معنا الآن على أنهما يعنيان مجرد أداء الشعائر الدينية المعروفة من صلاة وصيام وزكاة وحج وإعتقد الكثيرون منا أن هذا هو غاية المراد من رب العباد ولكن هذا فهم قاصر وإختزال للإسلام بشكل يسيىء إلى الإسلام ذاته فالإحسان يعنى من بين ما يعنى الإتقان فى كل الأعمال المطلوبة من الإنسان والعمل الصالح شامل لكل عمل يقوم به الإنسان أيا كان هذا العمل دينيا أم دنيويا طالما قصد به وجه الله ونفع الناس ودفع الأذى عنهم ومن هنا فإن بذل الجهد والسعى فى تحصيل العلم والتنافس فيه يعد من الأعمال الصالحة ومن قبيل الإحسان

ذلك فضلا عن أن الله يسهل لصاحبه طريقا إلى الجنة كما جاء فى الحديث النبوى ولا بد من التأكيد هنا .

أن الشعائر الدينية المعروفة والإلتزام بها من شأنه أن يكون مقدمة لصالح الأعمال فى جميع مناحى الحياة وإن المدد القرآنى وأنوار السنة النبوية لم ولن يتوقفا عن عطائهما الذى لا حدود له . ولكننا نحن الذين توقفنا عن الوعى بهما والإلتفات إلى ما يشتملان عليه من العناصر الدافعة إلى التقدم وترقية الحياة فى جميع المجالات وإكتفينا بالتفاخر بما صنعه أسلافنا من أمجاد حضارية فى غابر الزمان ونظرا لأن الفجوة الحضارية بين العالم الإسلامى والعالم الغربى قد إتسعت كثيرا لصالح الحضارة الغربية فإن الأمر يتطلب منا منا نحن المسلمون وقفة مع النفس نراجع فيها أحوالنا مما إنتهت إليه والبحث عن مخرج من هذا المأزق الحضارى الراهن .

إستعادة الثقة بالنفس

نعتقد أن أولى الخطوات التى يجب إتخاذها فى هذا الصدد هى ضرورة العمل على إستعادة ثقة المسلمين بأنفسهم وبقدراتهم وبتراثهم وهذا أمر يتطلب جهودا مشتركة لأن الأمر يتعلق بمستقبل أمة تعداد سكانها يقترب من ربع سكان العالم ومن المهم أيضا فى هذا الصدد ضرورة تعريف المسلمين بحضارتهم وإنجازات علمائهم ومفكريهم الذين أسهموا فى بناء هذه الحضارة فالجمهور الأعظم من أبناء المسلمين لا يعرف عن ذلك إلا النذر اليسير وربما لا يعرف عن ذلك شيئا على الإطلاق وليس الهدف من ذلك كله الدعوة إلى الجمود على ما تم إنجازه من إبداعات حضارية سابقة وإنما الهدف هو إستعادة ثقة المسلمين بأنفسهم وقدراتهم لينطلق علماؤهم ومفكريهم مواكبين للتطورات العلمية الجديدة فى جميع جوانب الحياة بعزم أكيد وثقة قوية لا تعرف التراجع وإرادة لا تلين وهناك أمر آخر فى منتهى الأهمية لمسيرة الإنجازات العلمية المأمولة وهى ضرورة الإهتمام بالبحث العلمى فى عالمنا الإسلامى . وذلك بتوفير الإعتمادات المالية الكافية وتوفير أحدث الأجهزة والمعدات للباحثين فى عالمنا الإسلامى حتى لا يضطر هؤلاء إلى الهجرة إلى الجامعات والمراكز البحثية فى الغرب وهناك تنطلق طاقاتهم وقدراتهم العلمية ونرى إبداعاتهم وإبتكاراتهم التى

تحظى بالتقدير والإحترام من أرقى الجامعات والمراكز البحثية العلمية وهناك أمثلة كثيرة فى هذا الصدد ويزعم البعض منا أن الإستعمار الجديد يسرق الكفاءات العلمية من الشرق الإسلامى والحقيقة المرة على العكس من ذلك تماما فالكثيرين من أصحاب الكفاءات العلمية المتميزة فى عالمنا الإسلامى لا تجد فى وطنها دعما ولا تشجيعا يحفزها على البقاء ويوفر لها الأجواء المناسبة لتحقيق طموحاتها العلمية وتحويل أحلامها إلى إنجازات تسهم فى التقدم العلمى والحضارى .

إن الموهوبين من شباب الباحثين ف ى أشد الحاجة إلى رعاية خاصة وإهتمام وتشجيع حتى تتحول هذه البراعم الجديدة إلى لبنات صلبة فى بناء صرح للحضارة الإسلامية الجديدة (وما ذلك على الله ببعيد) (إبراهيم 20)

إن مصادر الإلهام الحضارى فى القرآن الكريم والسنة النبوية ألهمت علماء المسلمين فى السابق إبداعاتهم الحضارية التى بهرت العالم حينذاك لا تزال أنوارها متوهجة كما كانت دائما تضىء الطريق أمام الحائرين وتزيل الغشاوة عن الأبصار والبصائر وفى أشعة هذه الأنوار تتفجر الطاقات وتنطلق الإبداعات فى منافسة متكافئة مع الآخرين فى كل مجالات التقدم والإرتقاء كما حثنا القرآن الكريم فى قول : الله تعالى (فاستبقوا الخيرات) (البقرة 148)

والأمل فى عون الله وتوفيقه كبير ولكن الأمر يحتاج غلى جهد بشرى غير عادى وصدق مع الله العظيم القائل

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد 11)

دور المسلمين فى حتمية التفاعل مع المستجدات

على هدى هذا النموذج البشرى محمد صلى الله عليه وسلم الراقى واللائق لأصحاب العقيدة السمحة الكريمة تأكدت ديناميكية الإسلام فى خدمة قضايا وإحتياجات العصر على إختلاف الأزمنة والأمكنة ويتحدد بالتالى دور المسلم فى حتمية التفاعل مع المستجدات بما يتواءم مع متطلبات هذه الخدمة وتفرض مقتضيات العصر الحاضر والمستقبل البعيد على المسلم أن يرتقى فوق الخلافات والنزاعات والصراعات على أى من المستويات والآفاق أى كان نطاقها شخصيا أو محليا أو إقليميا أو دوليا وهذا دور بالطبع يختلف تماما عن الدور الذى إضطلع به المسلمون الأقدمون فحققوا خلاله تلك السجلة لهم فيها خدمة إحتياجات البشرية حينئذ إلى التنوير الفكرى والمعرفى فوضعت مدنيتهم الإنسانية على أعتاب التقدم العلمة التقنى الهائل المطرد الذى نبع والذى لم يزل يمضى قدما بزخم كبير والتشبب بأمجاد الماضى فى ذلك لم يعد يبهر أحدا أو يعنى أحدا أو يفيد على الإطلاق أحدا لأن الريادة فى هذا لا تتحقق بالعيش على ذكريات الماضى وقد غدت للتقدم العلمى والتقنى قواعد إنطلاق جديدة سريعة التبدل أيضا فلا تحتفظ بذاكرة القديم لفترات تذكر لأن عجلة التطور لا يمكن لها أن تتوقف ناهيك عن السماح لها بالرجوع إلى الوراء وقضاء وقت له ثمنه وتكاليفه تشببها بالتغزل فى جمال الماضى وجاذبيته وروعته .

تاريخ اسهامات المسلمين لا يخضع
للتقادم أو الجمود

تاريخ اسهامات المسلمين لا يخضعللتقادم أو الجمود : وإلى جانب ذلك السبق انطلقت منه المدنيات الحديثة ولم تزل تبنى عليه إلى أن يشاء الله هناك ذلك الجانب الحضارى غير المسبوق وغير المضاهى للآن أيضا ومن حسن طالع الإنسانية أن هذا جانب فى تاريخ المسلمين لا يخضع للتقادم أو الجمود وإن غاب عن اهتمام مجتمعاتهم طويلا وعن فهم ووعى غيرهم كثيرا .

المسلمون الآن أحوج إلى إعادة نشيطة
وبعثة إثبات للذات

المسلمون هم الآن أحرج ما يكون إلى إعادة تنشيطية وبعثة جديدة على الأقل تأكيدا للذات وإثباتا للقيمة وتحقيقا لنوع من الريادة التعويضية التى تمكن لهم أن يسجلوا فيها سبقا وتفردا إن هم عقدوا النية وعززوها بالفعل الصائب والقول الصادق والجهد فى هذا من غير شك مأمون العاقبة بإذن الله ومضمون الأجر .

الدور العصرى الذى تؤهل له عقيدة الإسلام
أصحابها دون غيرهم

الدور العصرى الذى تؤهل له عقيدة الإسلام أصحابها دون غيرهم تلبى إحتياجات العالم فيما يعجز التقدم العلمى والتقنى والمعلوماتى والإستيراتيجى والإعلامى عن تحقيقه من التوازن والتعقل والعيش الكريم الآمن فعقيدة الإسلام تغنى أصحابها عن الإنشغال بكثرة ما يحرك أطماع البشر فلا صراع لمسلم على أرض لأن الأرض لله جميعا ولأن المسلم أمة أينما حل وكان بين خلق يعلم أنهم مثله خلق الله ولا صراع لمسلم على منصب أوجاه أو سلطان لأنه يعلم يقينا بأن الله وحده هو مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ولا صراع لمسلم على الرزق لأنه يعلم يقينا بأن الله وحده هو الرازق والرزاق وأنه سبحانه يرزق من يشاء بغير حساب وإذا كان المسلم مستعدا للتضحية بحياته والموت فى سبيل الله فلن يكون من الصعب عليه إذا أن يصبر ويحتسب ويجوع ويشقى ويتشرد

فى سبيل الله فهو إذا مؤهل بكثير مما لا يتحمله أو يطيقه غيره ممن تشغلهم أطماع المال والجاه والسلطان والنفوذ والهيمنة والتسلط ولا تنقصهم الذرائع للسعى فى الأرض بالفساد والغى والبغى والعدوان والقهر والظلم والطغيان والمسلم فى الحقيقة بموجب واجباته الإيمانية .

ملزم بأن يتجنب الطاغوت لا أن يجابهه ويوقع نفسه فريسة سهلة لبطشه وربما يكلفه حياته الثمينة الغالية عند واهب الحياة وقد أراده الله أن ينفقها بطولها وعرضها فيما ينفع الناس فيمكث فى الأرض لا أن يهدرها ويبددها من أجل عرض زائل أو اسعادا أو إرضاءا لغرور قاتل وإذا كان منتظرا من المسلم ألا يقع فى شراك الشرك بأنواعه فإن ذكاءه الفطرى يؤهله لصون حياته وكرامته بالتعامل مع المواقف من خلال حكمة الإسلام فى الدفع بالتى هى أحسن والصبر على الأذى ولعل الأمر لن يتطلب منه أكثر من توطين نفسه وتهيئتها لصنع نظام عالمى بديل يكون الأحدث فى كل حين **إذ** يبقى فيه الوجود المسلم هو دائما الوجود الأسلم والآمن جانبا والأقرب للتقوى والأصح للنفوس **لأنه** الأكثر تعقلا والأقوى على تحمل المحن ومواجهة الحرمان بالصبر وبالإحسان وكل ذلك ابتغاء وجه الله ومرضاته وطاعة لأوامره فى السعى بالخير بين الخلق (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون)   (المطففين 26)

المسلمون قوى عظمى متفردة فى تحضرها

المسلمون قوى عظمى متفردة فى تحضرها : ويسجل التاريخ القابل للتحقيق والتيقن للمسلمين تأسيس قوى عظمى متفردة فى تحضرها فعلى غير ما دأبت عليه القوى العظمى سابقها وحاضرها فإن دولة المسلمين جاءت بمدنية تنشر النور والتآخى فى ربوع الأرض التى وصلت إليها ولم يشهد العالم ما شهده ويشهده اليوم من أفعال القوى العظمى من قهر وبطش وإستعمار وإستعباد وفرقة بين الأمم وإفساد وسفك للدماء ودمار للعالم ولن يفيد العالم فى شىء أن يعود المسلمون قوة عظمى بوسائل وأدوات وسبل وروح وأخلاقيات العصر الذى نشهده وليست حاجته على كا حال إلى قوة عظمى بديلا اسما ومثيله فعلا مذاقا لفعل ومذاق الآخرين فى السابقين واللاحقين

وهكذا يبقى أمامهم ذلك الخيار الواحد الذى لم يتأهل له سواهم حضاريا وثقافيا ومعنويا كقوة إنسانية عظمى للسلام وللكرامة والأمان فقوة الدفع الداخلى عندها هى خيركلها .

رسالة الإسلام سوف تظل دائما عالمية

رسالة الإسلام سوف تظل دائما عالمية : إن رسالة الإسلام سوف تظل دائما عالمية كوكبية وكونية وليست محلية أو إقليمية ومن هنا فهى دون منازع الأساس المتين لفلاح بشرى يرجى على المسلمين أن يحققوا ريادة حضارية تبقى أبد الدهروبيد أن المسلمين أن يحققوا ريادة حضارية تبقى أبد الدهر فقط إذا اجتمعوا على الوفاء بالتكليفات الإيمانية التى تنضوى جميعا تحت الأمر القرآنى الكريم والربانى البديع الذى هو (وأحسن كما أحسن الله إليك) (من الآية 77 سورة القصص)

لا ينتظرون فى ذلك من أحد جزاءا ولا شكورا ولهم بعون الله أجرهم المقدم والمؤخر عند ربهم بغير حساب .

خلق المسلمون لكى يكونوا أمة الإسلام

خلق المسلمون لكى يكونوا أمة الإسلام وأمة الإسلام هى أمة الوسط أى أمة للخير والعدل والسلام لأنها بالضرورة الأكثر نضجا فكريا ووجدانيا وحضاريا والأكثر عقلانية وتعقلا ومعنى هذا أن عالما به أكثر من مليار مسلم أو أكثر يجب أن ينعم بجهد أكثر من مليار صانع للخير والعدل والمودة والسلام فى ربوعه كحد أدنى .

شهدت مجتمعات المسلمين عبر العصور ثقافتين افترقا بها عن روح وجوهر العقيدة الإسلامية

لقد شهدت مجتمعات المسلمين عبر العصور تحولين ثقافتين رئيسيتين افترقا بها عن روح وجوهر العقيدة الإسلامية ويتمثل التحول فى : -

الأول : التركيز على مظاهر التعبد والتقرب إلى الله . من خلال آداء الشعائر والطقوس والوفاء بالتكليفات الأساسية الأخرى التى هى جزء لا يتجزأ من تمام التعبد إعتمادا على تصور أن التقصير فى مثل هذه الواجبات يشمله العفو من الله الذى هو سبحانه غفور رحيم وكانت نتيجة هذا التحول الأول تقلص الدور الطبيعى والتراثى

للمسلم ثم إحتفاؤه عمليا تماما فى إثراء المحيط الأخلاقى وجاء التحول الثانى نتيجة النزوح نحو النزعة القومية وتفشى حمى الحمية العرقية بين أولئك النفر القليلين الذين يشهدون الشهرة ويتطلعون بشراهة وشراسة إلى السلطة وأفرز هذا التحول ذلك الطوفان من الحركات الإنفصالية التى إختارت لنفسها مسميات ونعوتا أقحمت فيها الإسلام إقحاما ربما لكى يكسبها ذلك نوعا من من إحترام تفقده وتحس فى صميم داخلها أنها لا يمكن أبدا أن تستحقه وجذبت هذه الحركات إليها المنقادين من اليائسين والمحبطين والمطحونين الذين يرضى العنف غرورهم ويشبع فيهم شعورا بالنقص قد وجدوا فيه فرصة المغامرة والمقامرة بأرواحهم وأرواح غيرهم هروبا سهلا سريعا من الحياة وأحمالها وهكذا أوجدت الفئتان المرتكنة إلى لآداء الطقوس والشعائر والأخرى المرتكزة على جرف هاو من العنف العرقى معابر وأنفاق فرار ناعمة سهلة هروبا من الإسلام نفسه ومن تكليفاته الراقية الرفيعة المرهقة التى تشقيهم ولا يمكن لها أبدا أن تغريهم .

الأعمال المادية والدنيوية هى من صميم واجبات والتعبد وصحة العقيدة

الأعمال المادية والدنيوية هى من صميم واجبات والتعبد وصحة العقيدة : وتخيل الغالبية الكبرى من المسلمين إلى نسيان أو تجاهل حقيقة أن الكثير من الأعمال التى تعد عامة مادية ودنيوية هى فى الواقع من صميم واجبات التعبد وصحة العقيدة ومع ذلك فإن كل مسلم يعلم يقينا أنه لا خير لأحد فى صلاة أو صيام أو حج إذا لم يعزز ذلك فيه الحرص على الفعل الصالح بالعدل والإحسان وتجنب الرجس والخبائث من الأعمال وترجمة هذه القناعة النظرية إلى واقع فعلى تعنى أن يذهب المسلم إلى أبعد مدى من النبل والجود والكرم والإيثار لكى يجعل من هذا العالم وجودا أرحب وألطف وأسعد فى العيش للآخرين حوله وليس هناك أفضل من الإخلاص لله ولعقيدة الإسلام من أن يقبل المسلم على خدمة وإسعاد الآخرين وليس أبغض عند الله وأبعد عن روح الإسلام من الإنصياع لشح النفس وإشقاء وإتعاس الغير وهذا هو الجهاد الحقيقى الأكبر الذى هو الجهاد الوحيد المباح اليوم ومستقبلا للمسلمين والمعركة فى

هذا الجهاد المقدس إنما هى ضد شرور نفس الفرد المسلم وسيئات أعماله والهدف الأسمى فيها هو الإنتصار على جميع وساوس الإغراء بالرد على الفحش بما هو أشد فحشا وأشد تنكيلا بينما أمر المسلم بأن يدفع بالتى هى أحسن وأن يحسن إلى جميع الخلق كما أحسن الله إليه وبألا ينتظر من أحد جزاءا ولا شكورا .

فصل

نداء إلى الشرق الفخيم

رعاك الله يا شرق

ما تحدث العلامة الشيخ : عبد الرحمن الكواكبى بكلماته إلى الشرق الفخيم قائلا : أيها الشرق الفخيم رعاك الله ماذا دهاك ماذا أقعدك عن مسراك أليست تلك الأرض ذات الجنان والأفنان ومنبت العلم والعرفان وسماؤك تلك السماء مصدر الأنوار ومهبط الحكمة والأديان وهواؤك ذاك النسيم العدل لا العواصف والضباب وماؤك العذب الغدق لا الكدر ولا أجاج .

رعاك : الله يا شرق ما أصابك فأخل نظامك والدهر ذاك الدهر ما غير وضعك ولا بدل شرعه فيك ألم تزل مناطقك هى المعتدلة وبنوك هم الفائقون فطرة وعددا

أليس : نظام الله فيك على عهده الأول ورابطة الأديان فى بنيك محكمة قويمة مؤسسة عبادة الصانع الزارع .

أليست : معرفة المنعم حقيقة راهنة أشرقت فيك شمسها أيدت بها عز النفس وأحكمت بها حب الوطن .

رعاك الله يا شرق : ماذا عراك وسكن منك الحراك ألم تزل أرضك واسعة خصبة ومعادنك وافية غنية وحيوانك رابيا متناسلا وعمرانك قائما متواصلا وبنوك على ما ربيتهم أقرب للخير من الشر أليس عندهم الحلم المسمى ضعفا فى القلب وعندهم الحياء المسمى بالجبانة وعندهم الكرم المسمى بالإتلاف وعندهم القناعة المسماه بالعجز وعندهم العفة المسماه بالبلاهة وعندهم المجاملة المسماه بالذل **نعم** هم بالسالمين من الظلم ولكن فيما بينهم ولا من الخداع ولكن لا يفتخرون به ولا من الإضرار ولكن مع الخوف من الله **.**

رعاك الله يا شرق : لا نرى غير الدهر فيك ما يستوجب هذا الشقاء لبنيك ويستلزم ذلهم لبنى أخيك **فلماذا** أصبحت إذا انقطع عنك مدد أخيك بمصنوعاته يبقى أبناؤك

عراة حفاة فى ظلام بل يمنيهم فقد الحديد بالرجوع إلى العصر النحاسى بل الحجرى الوصوف بعصر التعفين .

رعاك الله يا شرق : بل رعى الله أخاك الغرب العائل بنفسه والعائل فيك وقاتل الله الإستبداد بل لعن الله الإستبداد المانع من الترقى فى الحياة المنحط بالأمم إلى أسفل الدرجات ألا بعدا للظالمين .

رعاك الله : يا غرب وحياك وبياك قد عرفت لأخيك سابق فضله عليك فوفيت وكفيت وأحسنت الوصاية وهديت وقد اشتد ساعد بعض أولاد أخيك فهلا ينتدب بعض شيوخ أحرارك لإعانة أنجاب أخيك على هدم ذاك السور سور الشؤم والشرور ليخرجوا بإخوانهم إلى أرض الحياة أرض الأنبياء الهداة فيشكرون فضلك والدهر مكافأة

يا غرب : لا يحفظ لك الدين غير الشرق إن دامت حياته بحريته وفقد الدين يهددك بالخراب القريب فماذا أعددت للفوضويين ؟

إذا صاروا جيشا جرارا وما أعددت لديارك الحيلى بالثورة الإجتماعية هل تعد المواد المتفرقعة وقد جاوزت أنواعها الألف أم تعد الغازات الخانقة وقد سهل استحضارها على الصبيان

يا قوم : وأريد منك شباب اليوم رجال الغد شباب الفكر ورجال الجد أعيذكم من الخزى والخذلان بتفرقة الأديان وأعيذكم من الجهل جهل أن الدينونة لله وهو سبحانه ولى السرائر والضمائر

(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة)   (هود 118)

أناشدكم يا ناشئة الأوطان : أن تعذروا هؤلاء الواهنة الخائرة قواهم إلا من ألسنتهم المعطل عملهم إلا فى التثبيط الذين اجتمع داء الإستبداد والتواكل فجعلاهما آلة تدار ولا تدير وأسألكم عفوهم من العتاب والملام لأنهم مرضى مبتلون مثقلون بالقيود ملجمون بالحديد يقضون حياة خير ما فيها أنهم أباؤكم قد علكتم يا نجباء من طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد جملا كافية للتأمل والتدبر فاعتبروا بها واسألوا الله العافية .

مصر ورسالتها الحضارية

اسمعى يا مصر

ما تحدث به العالم والأديب : أبو الحسن على الندوى رحمه الله

عندما زار مصر فى سنة 1950 وخالط كتابها ومفكريها وعقد ندوات ممتازة بجمعية الشبان المسلمين وغيرها ثم عن له أن يكتب فى مجلة الرسالة كلمة تحت عنوان اسمعى يا مصر بدأها بالإشادة بما رآه من محاسن ثم وجه الأمة المصرية إلى رسالتها الحضارية فى إفهام الغرب ما يجهله من مزايا العرب والإسلام لأنها بكتابها وجامعاتها ومفكريها أقدر بلد يقوم بهذه الرسالة حتى إذا انتهى من ذلك جاهر بنقداته الجريئة فى مثل قوله : إحرصى يا مصر على رجولة أبناءك وأخلاقهم وصونى شبابهم وشرفهم ودينهم وصحتهم من أن يعبث بها العابثون أو يتجر بها المتجرون ممن يعيشون على أثمان الأعراض والأخلاق ويحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لتروج بضاعتهم وتزهر تجارتهم أولئك أصحاب الروايات الخليعة والصور العارية والأدب المكشوف .

كافحى يا مصر الوباء الخلقى الذى يقضى على حيوية الأمة وطاردى كل من يحاول أن يزعزع العقيدة فى شعبك إن العالم العربى قد أحلك من نفسه محلا رفيعا ووضع ثقته فيك فلا تصدرى إليه من أدبك وموضوعاتك ما يرزأه فى إيمانه وأخلاقه .

إن هذه الروايات الخليعة والأدب الماجن أفسد وأضر بالأمة من **إن** القارة الإفريقية لا يزال جزء كبير منها على فطرته وهو حقل لجهودك وتربيتك فأرسلى إليها دعاتك المبشرين لتنقذى نفوس هؤلاء وتكتسبى قلوبا تكون خيرا لك من الأمم الغربية التى تخطبين ودها وتحرصين على صداقتها وهى لا تدوم على حال .

المسلمون بين الأمس واليوم

لقد أراد الزعيم الكبير أن يتحدث بعد رحلاته المتتابعة عن المسلمين بين الأمس واليوم فكتب مقالا هو من أنفس ما قيل فى موضوعه كتبه تحت عنوان بين الصورة والحقيقة وهو جدير بأن يدرس فى جميع المعاهد والكليات نظرا لمغزاه الدقيق فقد جعل الأستاذ الصورة البعيدة عن الحقيقة مثل الثمار المصنوعة من الخزف تتراءى للناظر كأنها تفاح أو رمان أو عنب أو موز أو برتقال فى لونها وشكلها ولكن أين الصورة من الحقيقة ؟ وأين طعم الثمار ورائحتها ؟ إنها ليست إلا للزينة أو المثال لأن الصورة لا تسشتطيع أن تسد مكان الحقيقة وتنوب عنها ولا تمثل دورها فإذا وقع صراع بينهما إنهارت الصورة إذ لا تتحمل الحقيقة .

صورة إسلامنا اليوم

إن صورة إسلامنا اليوم وصورة كلمتنا لا تقدران أن تتغلبا على عاداتنا وتقهر شهواتنا أننا نتلذذ بكلمة الشهادة والتوحيد ومنا من يعرف ما يقول ولكن الحقيقة شىء آخر إن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا على حقيقة هذه الشهادة فإذا قالوا لا إله إلا الله اعتقدوا أنه لا إله غيره ولا رب سواه ولا نافع ولا ضار إلا هو .

أما : نحن فنقولها ونغفل عن معناها نرجو الخير من الأعداء ونترك إله الكون الوهاب

أكبرإنقلاب وقع فى تاريخ هذه الأمة هو أن
الصورة احتلت مكان الحقيقة

إن أكبر انقلاب وقع فى تاريخ هذه الأمة هو أن الصورة إحتلت مكان الحقيقة وإستولت على حياة الأمة من عهد بعيد من التاريخ والذين كانوا يرون الصورة من بعيد يعتقدون أنها بالحقيقة ولذلك يذعرون ويشفقون منها .

لقد حرص الإسلام المسلمين بالصورة مدة طويلة فلم يجترىء عليهم أحد ثم تجرأ عليهم التتار فى بغداد وما وليها فإنهارت الصورة وأصبحت عاجزة عن أن تدفع مكروه وكل ما تقرأه فى تاريخ الإسلام من أخبار إنكسار المسلمين وهزيمتهم فى ميادين القتال هو أثر إنخذال الصورة وفضيحتها لا غير لقد فضحتنا الصورة فى كل

معركـة أو إصـطدام والـذنب ذنبنـا لأننـا حملنـا عـبء الحقيقـة علـى الصـورة فجـاء الخذلان.

النهوض من هذه الكبوات المتلاحقة

كيف السبيل إلى النهوض من هذه الكوارث المتلاحقة ؟

لقد فكر الأستاذ : فى رجال اليوم وفى بعض شبابه فوجد التربية المدرسية والإعلامية فى أكثر بلاد الإسلام قد ضلت سواء السبيل إذ خضعت أجهزة التعليم إلى النظام الأوروبى فأحدثت فجوات هائلة بين عقيدة الطالب المسلم وما توحى به المقررات المستوردة من إنفصام عن مبادىء هذه العقيدة والعلاج الصحيح فى خطواته الأولى أن نبدأ بالنظر فى أساليب التربية المتخذة دستورا راسخا لا تتخطاه بعض هذه الدول ثم ننظر فى تربية النشىء وفق مقررات هادفة تعرف طريقها الصحيح بدل الكتب المترجمة وأشباه المترجمة بما يضل النشىء عن حقيقة تاريخهم المجيد ودينهم الرشيد .

أهمية نظام التربية والتعليم فى الأقطار الإسلامية

لقد ألقى الأستاذ : أبو الحسن محاضرة هادفة فى مهرجان ندوة العلماء المنعقد بتاريخ 26/ 10/ 1395 هجرية تحت هذا العنوان لقد إلتفت الأستاذ إلى خطر التجزئة حين تحدث عن أساليب التربية بالأقطار الإسلامية بعامة فذكر أول ما ذكر أن كثيرا من التربويين فى هذه البلاد يحكمون فى مناهجهم التعليمية ومؤسساتهم التربوية نفرا من الأخصائيين والمستشارين من البلاد الأوروبية ثم هم يرسلون البعثات من أبنائهم ليرجع الطلاب ملزمين بما رأوه من المناهج هناك وكأنها قرآن منزل فكانت النتيجة وجود طبقة مضطربة العقائد والسير والأخلاق وهى فى أحسن أحوالها مذبذبة بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية وفى كثير من الأحيان تنسلخ عما يدين به مجتمعها الإسلامى كل الإنسلاخ .

إن عملية التربية فى أمة من الأمم : ليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل كالمصنوعات والمواد الخام والمخترعات التى لا تخص بلدا دون بلد وإنما هى لباس يفصل على قامة الشعوب وملامحها القومية وتقاليدها الموروثة

والتربية فى صميمها وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التى يؤمن بها شعب أو بلد وتغذيتها بالإقناع الفكرى القائم على الثقة والإعتزاز .

الباب التاسع

الأخطار التى تحيط بالأمة العربية والحضارة الإسلامية

النظام العالمى الموازى : وهو يقوم بمراقبة ومراجهة الوضع القائم السائد فى العالم نجد أن هناك معسكرين مهيمنين معاديين للحياة المعسكر المستفز صاحب الفعل ويسيطر عليه الإرهابيون وهؤلاء لهم عذرهم وذريعتهم أنهم إرهابيون وهناك على الجانب الآخر المعادى لحياة وهو الجانب المستفز صاحب رد الفعل وتسيطر عليه القوى العظمى وهذه هى الأخرى لها عذرها وذريعتها فى كونها غاضبة بشراسة فتنتفى عنها الفراسة شأنها فى ذلك كشأن مستفزيها ومن الطبيعى جدا أن يتبادل المعسكران الأدوار حتى تكتمل دائرة العبث وتتواصل فالمستفزون المشار إليهم بالإرهابيين يصيرون مستفزين ويصير الآخرون وقد يشار إليهم هنا بنعت الطغيانيين فهو يطابقهم بالضرورة مستفزين .

موقف الأمم والشعوب والحكومات

لكن من المحير حقا هو موقف الأمم والشعوب والحكومات المتفرجة على كل هذا بينما هى تتمتع بكامل قواها الذهنية وربما العقلية أيضا دون أن تبدى حراكا يغير مجرى الأحداث بما يحمى حياة البشر والممثلون المساعدون التابعون لهذا المعسكر من الإرهابيون أو ذاك من الطغيانيين يبقون بكل الأسى والأسف غافلين عن حقيقة أن دورهم آت لا محالة لكى يصبحوا الضحية البريئة القادمة لإحدى الطائفتين أو للإثنين معا وهذه الملاحظة الأخيرة تقودنا بالضرورة إلى حقيقة مرة نقرها دون أدنى عدوان على أحد أو مساس بمشاعر أحد وهى أن الجملة القائمة القاتمة القاتلة على الأمة الإسلامية آخذين فى الإعتبار غالبية ضحاياها تحمل فى واقعها شواهد وسمات وقسمات حرب صليبية خبيثة وهى حقيقة لن يغير أو يخفف من بشاعتها كل ما يدعيه المتورطون فيها أو الداعون إليها أو الداعنون لها أو حتى المتسببون فيها والفارق الفعلى هو أن الصليبيين الأولين كانوا أجلافا ومباشرين ولم تكن لديهم الحنكة السياسية والحبكة الدرامية اللتين لدى خبثاء الصليبيين من المحدثين أو لم تكن لهم بهما حاجة فأعلنوها صريحة بملىء الأفواه وبأعلى الأصوات وبأغلظ الحناجر لأنهم

إنما جاءوا لتخليص القدس الطاهر من رجس ودنس الإسلام والمسلمين والصليبيين المحدثون بالطبع لن يقولوها لأن لهم فيما هو واضح وراء فظائعهم مآرب أخرى لكن النتيجة واحدة والمذابح واحدة والدمار واحد والخراب واحد ويستطيع الساسة المحنكون أن ينكروا كيفما شاءوا عداءهم للإسلام وإن فضحت إدعاءاتهم أفعال وإيفعالات وتفاعلات عامة جماهيرهم الفطرية والتلقائية والغريزية العدائية وما يخدعون بدعواهم إلا أنفسهم وما يشعرون وعم على كل حال لن يضروا الله والإسلام شيئا فالإسلام أعظم وأرقى وأنبل وأكرم من كل عداء أو إستعداء ويتبقى على عامة المسلمين أن يحترموا إنتماءهم للعقيدة السمحة .

جذور الصليبية الخبيثة الحديثة

جذور الصليبية الخبيثة الحديثة : ولعل من الممكن أرجاع جذور الصليبية الخبيثة إلى عقدة نفسية عميقة بمركب نقص يتملك الأفراد بدر ما يتملك الطوائف والجماعات فالذين يفتقرون إلى إحترام الذات يكرهون كره الموت والعمى أن يروا من الخلق أحدا ممن يتمتعون بنصيب وافر من هذه النعمة الكبرى فالخنق أيسر عليهم من بذل الجهد للإرتقاء بأنفسهم والحاقدون على الإسلام يعرفون أنه يغرس فى المنتسبين حقا إليه فضائل وخصال تكسبهم درجة رفيعة من الكرم والنبل والشموخ والسماحة التى لا تبارى وتغيظ بالتالى كثيرا أولئك الذين لم يبلغوها ولو بشق الأنفس ويبقى الخيار الأيسر هو إذلال المسلمين إما بالطول والحول وإما بالخبث والحيلة وإن بدا التنويع أقوى فعلا وأبعد أثرا .

إجهاض شعوب الأمة بالصرعات حتى يحولوا دون الوصول إلى كنوز عقيدتهم التى تثريهم

لقد قضى الحول بإجهاض مجتمعات المسلمين ماديا وإجهادهم جسديا وتقسيمهم عرقيا وجغرافيا بقوة الإحتلال والإقحام فى صراعات غير منتهية وقضت الحيلة بأن يحال بين المسلمين والوصول إلى كنوز عقيدتهم التى تثريهم روحيا ونفسيا ومعنويا وتغنيهم عن الدنيا وترفع من شأنهم وتقوى من عزمهم ومن عزيمتهم فحققت الحيلة نصرا مؤزرا على جبهات شتى فوق ما أتلفه الطغيان والإحتلال والقهر من النفوس

وأهدر من القيم وبالحيلة دخلت بلاد المسلمين بدع فى التعامل الدينى ما أنزل الله بها فى دينه الحنيف من سلطان فتحولت بهم بعيدا عن جوهر العقيدة السمحة وهكذا كان التضليل ولم يزل منهج الحملات الصليبية الحديثة وبه بنت تلك الصليبية القديمة الهوجاء الغشمة والغاشمة وزادت عنها ضراوة وشراسة .

العالم بحق فى ورطة كبرى ومحنة عظمى

العالم بحق فى ورطة كبرى ومحنة عظمى : وهكذا فإن العالم هو بحق فى ورطة كبرى ومحنة عظمى ما هو المخرج إذن ؟ وكيف ؟ ولعل الجواب الصحيح يكمن فى العلاج النافع والمجدى وإذا كانت الأمم والشعوب تنشد الخلاص وتتطلع إليه بما يحقق لها الإستقرار والإطمئنان والأمن والسلام فإن الأمل فى بلوغ هذه الغاية يغدو مستحيلا إذا كان الذين عهدت إليهم مهمة إنجازها على غير دراية بآليات الوصول إليها فالزعامات العالمية المهيمنة تعانى من الأمية الكاملة بالنسبة للغزو والسلام فلا تملك مفرداتها وأبجديات الحرب فهى تتحاور وتتحادث حول السلام بلغة ومفردات وأبجديات الحرب وتتوهم أنها تسعى إليه غير مدركة أنها تتخذ مسرات متعاكسة ومتشابكة فيتملكها الإحباط والهلع وتعود أدراجها مسرعة إلى أقرب خندق أو قاعدة إطلاق صواريخ حيث موائلها الطبيعية التى تجد فيها الحماية والدفء فتطلق منها دعوات ودعاوى السلام والأمن والأمان بالبث المباشر إلى أغوار الفضاء .

صناع الحروب تكوينهم النفسى والوجدانى والذهنى

من اتخاذ خطوة واثقة نحو السلام

والخلاصة : أن صناع الحروب لا يمكن ولا يعقل أن يسمح لهم تكوينهم النفسى والوجدانى والذهنى من اتخاذ خطوة واحدة واثقة صوب السلام فكل خطوة يخطونها تقودهم غريزيا إلى عش عشقهم الأول والأوحد عش الحرية حرية القتل وهذه هى الطبيعة المتأصلة فى الثقافات التى نبتت جذورها التاريخية فى الكهوف والأحراش فأفرزت مدنيات الصراع من أجل البقاء ليس مع الغير وإنما دائما وأبدا على حساب الغير وكلما عجلت البشرية بالتصالح مع هذا الواقع وتفهمه كلما تسارعت إليها بشائر الخلاص ويتبقى أمل الأمم الأخرى فى الخلاص معقودا على إسترجاعها للقدرالأكبر

من ذاكرتها الضاربة بجذورها فى فجر التاريخ الساطع وثغره الباسم وقد نبتت فى السهول والتلال السابحة فى محيط الأفق حيث المراعى الحالمة والنغمات الناعمة وذلك هو المرتع الخصب لنسج واقع حضارات عيش وتعايش ومعايشة .

فصل

الحضارة الإسلامية لم تخضع شعوب الأرض المستظلة
بظلها للقهر والذل والهوان

الحضارة الإسلامية لم تخضع شعوب الأرض المستظلة بظلها للقهروالذل والهوان : وهكذا كان واقع حضارة دولة المسلمين المتفردة والفريدة على مر العصور والأزمنة فهى حضارة لم تخضع شعوب الأرض المستظلة بظلها للقهر والذل والهوان تماما على عكس ما مارسته وتمارسه مدنيات الكهوف والأحراش والصيد وجمع الطعام من أفواه الجائعين ثم من بعد ذلك نهب الثروات ومنهج الأخيرة هذا لم يختلف منذ العصور البدائية للآن فقد إختلفت الأسلحة من السهام والمقامع إلى الصواريخ والقنابل .

حضارة المسلمين حضارة إيثار بينما الإمبراطوريات
العظمى تقوم على قواعد الإستئثار

إن حضارة دولة المسلمين كانت بإختصار حضارة إيثار بينما بنيت إمبراطوريات القوى العظمى الإستعمارية جميعا على قواعد الإستئثار ولا ينتظر أن تختلف عنها القوى العظمة المهيمنة الآن وبالتالى لا يمكن أن ينتظر من ورائها لشعوب الأرض خير يرجى .

إذا أرادت شعوب المسلمين الحياة والبقاء
لا بد أن تصنع لنفسها الحياة

إذا أرادت شعوب المسلمين الحياة والبقاء لا بد أن تصنع لنفسها الحياة : والواقع أن فرصة شعوب المسلمين فى النجاة وإنقاذ العالم من الهلاك والهاوية كبيرة للغاية لأنها شعوب فطرت تاريخيا على التحضر والتفتح وتبقى قدراتها التعقلية عالية وإن كانت بعد كامنة وهى متى انطلقت فإنها سوف تسبح فى بحر من النعم بفضل الله وتنعم بها وتنعم معها إن شاء الله بقية شعوب الأرض والمطلوب بكل بساطة من شعوب المسلمين ؟

أن تصنع السلام فى العالم فهى ربما الوحيدة المؤهلة دون غيرها حضاريا ونفسيا وثقافيا للإضطلاع بهذه المهمة المقدسة فلعل هذا يكون اسهاما من الفعل الصالح الذى ترجع به إلى ربها راضية مرضية فتكرس حياتها له والحياة هى الأساس والوسيلة الأولية لعقد النيات وبلوغ الغايات ومن أجل هذا فإن من أولى واجبات الشعوب المسلمة التشبث بالحياة إلى أقصى مداها فحياة المسلم هى الأعز والأغلى والأثمن فلا يليق به أو يحق له أن يفرط فيها لأنها هبة الله له وهديته سبحانه إليه وليس هناك من إستثمار لهذه الهبة والهدية من إنفاقها كاملة فى خدمة غاية نبيلة يشق على غيره نفسيا وحضاريا بلوغها بدونه وقد أنعم الله عليه بالعقيدة التى تعده وتؤهله لنفع الآخرين لا يريد منهم جزاءا ولا شكورا ولا يضج ولا يضجر ولا ييأس من روح الله والمسلم المزود إيمانيا بعزيمة الصبر على الأذى وتجاوز شح النفس سوف لا تكون فى إستخدام القوة واللجوء إلى العنف حاجة فلديه عقله الذى يسير به حياته ويزين له العدل والإحسان ويبعده عن سبيل الغى والعدوان ولعل الحكومات تتضافر مع شعوبها الطيبة وتتعاون معها لبلوغ هذا المقصد النبيل والكريم فتعقد معا تحالفا مقدسا من أجل السلام فى العالم لا تغريها مطامع السلطة أو تجرها إلى ويلات وضلالات التبعية للأقوى المتسلطة التى تعيش لنفسها وتلقى بالفتات لمن يتعلق بأذيال خيبتها إلى الهاوية لا محالة وبئس المصير فتلك القوى خلقت للحرب والقهر والهدم والدمار ولا حيلة لها فى غير ذلك .

شعوب المسلمين خلقت للعطاء بغير مقابل

أما شعوب المسلمين فقد خلقت للعطاء بغير مقابل من المتلقى والإحسان بمثل ما أحسن الله إليها ويظل سبحانه وتعالى يحسن دائما إليها ولهذا سجل التاريخ تميزا فى الحضارة الإسلامية لا تدانيه فيه مدنية سبقت أو لحقت فكانت حضارة بناء ورخاء وإخاء ولم تكن مدنيات القوى العظمى الإمبراطورية الإمبريالية والإستعمارية فى ماضيها وحاضرها ذلك أبدا ولن تكون .

قدر لهذا الكون أن يبنى على إزدواجيات الخير والشر

لقد قدر لهذا الكون أن يبنى على إزدواجيات أو ثنائيات مثل الذكر والأنثى فى المخلوقات ومثل السالب والموجب فى الشحنات الكهربية ومثل الأجسام ومضادات الأجسام فى الدم ومثل كروموزومات الإكس والواى فى الخلايا ومثل الخلايا ومثل الحركات المغزلية فى الجسيمات الذرية والمجالات المغناطيسية إلى أعلى وإلى أسفل والحركات الدائرية بإتجاه عقارب الساعة أو عكسها وغير ذلك وهكذا قدر فى الوجود أن يكون هناك إزدواج الموت والحياة ومعهما إزدواج الخير والشر ولقد شهد الوجود البشرى تواصل الصراع بين الخير والشر كحتمية لا مهرب منها ولكن الإسلام قدم بديلا آمنا عبقريا يغنى أهل الخير عن مصارعة الشر ويعفيهم من مواجهته ويتمثل البديل عن الصراع والمواجهة مع الشر فى التعامل معه إما بالتجنب والإعراض وإما بالدفع باللتى هى أحسن .

المسلمون هم قوة التوازن على ظهر هذا الكوكب

كذلك يوجه الإسلام المسلمون مبدأ إحترام الإنتماء الإسلامى أصحاب العقيدة ويلزمهم بأن يكونوا قوة التوازن على ظهر هذا الكوكب كنظام عالمى مواز وليس كبديل لأن الشر باق بقاء هذا الوجود ولن تجدى معه المواجهة بأى حال من الأحوال ولكن الترويض الإسلامى أجدى نفعا وأكرم موقفا وأسلم عاقبة ويعنى هذا أن يصرف المجتمع الإسلامى همه ويوجه جهده وجميع طاقاته وعبقرياته إلى حتمية الخروج من دوائر الصراعات والإبتعاد الكامل عنها والبقاء الدائم خارجها كمنهج ثابت وراسخ فى الحياة .

الإسلام أهل المسلمين تماما للإضطلاع بهذا الدور المتحضر بإقتدار

إن موارد الإسلام وكنوزه تؤهل المسلمين تماما للإضطلاع بهذا الدور المتحضر بإقتدار وهو دور سبق للأسلاف أن أثبتوا جدارتهم به وريادتهم فيه من موقع القوة العظمى للتنوير والعدالة والإخاء وهو موقع لن تستعيده من خلال الدخول فى مواجهات مع قوى الشر وتخبطها والتغلب عليها قتاليا ولأجل أن يصبح العالم الموازى الجديد واقفا فإن ذلك سوف يستغرق بالضرورة أمدا بعيدا لأن هناك عددا

من الحواجز ولعل أهم تلك الحواجز دخول حكومات المسلمين كشريك فالحكومات عادة ما تتردد فى القبول بالتغيير وإدخال الإصلاحات خارج أنماطها المعتادة ولكن دورها يبقى أساسيا وحيويا ويؤمل أن تبادر فتقيم تحالفا مسلما من أجل سلام إسلامى يخدم العالم ويحفظ توازنه النفسى والحضارى ثم يأت بعد ذلك فى الترتيب والأهمية دور ما يسمى بالحركات الإسلامية التى سوف يتعين عليها ما يلى :-

أولا : أن تعى حقيقة . أن هناك مئات أو ألوف السبل العملية الفعالة الشريفة والكريمة والنبيلة والمحترمة التى ترضى الله وتبقى الحياة وتخدم السلام الإسلامى وليس من بينها على الإطلاق إستخدام القوة أو اللجوء إلى العنف أو حتى الجنوح إلى العمل السياسى وأطماعه وصراعاته لأن الأساس فى هذا العالم المأمول هو أن يسمو المسلم ويرتقى فوق كل ما من شأنه أن يخلف الفوارق ويخلق الفرقة .

والتالى : ضرورة تحول حركات التحرر . بالمناطق التى تقع تحت سيطرة قوات الإحتلال ويخضع فيها المسلمون للبطش وألوان العذاب والهوان إلى إستيراتيجيات تحفظ للحياة قدسيتها التى أمر الله بها وأن يكون منهجهم فى كفاحهم للخلاص هو أن الأرض لله يورثها من يشاء وعليهم أن يستعينوا بالله وحده ويصبروا صبرا طويلا جميلا يصون حياة المسلم التى هى عزيزة وغالية لكى ينفقها فيما هو أنفع له ولأمته فينصرف تماما إلى جهود التنمية والتعاون وصنع الرخاء لا يلتفت إلى وجود قوى الإحتلال التى لا تستحق منه سوى الإحتقار لأنها دائما وأبدا وفى كل مكان هى جرب وسعار وجذام ومصيرها إلى التعفن التلقائى والذاتى مع الزمن .

وأخيرا : وليس آخر أبداهناك الحاجز الأعظم الذى سوف يحتاج بالضرورة الجهد الأكبر والصبر الأطول والإرادة الأقوى بما يتطلب من تغيير كامل جذرى وثورى فى مناهج وأساليب ووسائل ومعالم التعليم والوعظ والتوجيه الدينى لكى يركز على جوهر الإسلام وواجبات إحترام الإنتماء الراقى إلى عقيدة راقية تسمو بمعتنقيها
هذا سوف يعنى التخلص التام من مظاهر التخلف الفكرى وإستثمار نعمة العقل فى التدبر والتفكر ووزن الأمور وضبطها واستخلاص درر وجواهر العقيدة التى يزخر بها القرآن الكريم .

فصل

منهج القرآن فيه الصلاح والتقدم والرقى

إذا كان القرآن الكريم قد علم المسلمين بأنه

(لا إكراه فى الدين) (البقرة 256)

وأنه (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (الكهف 29)

ثقة فى قيمة العقيدة وعلو شأنها وتنزهها عن أن تفرض على أحد فرضا فمن الأولى أن تكون كافة التفاسير والنظريات والإجتهادات الفقهية قابلة للمراجعة بما يقبله العقل ويخدم قضايا وإحتياجات العصر ويأتى هذا طبيعيا وتلقائيا تأكيدا للحقيقة الكونية والأزلية ديناميكية الإسلام وبعده التام عن التقوقع والجمود والرقى بفضل منهج القرآن الذى فيه صلاح واستقامة أمور العيش والتعامل والتقدم والرقى للإنسان أينما كان وقتما كان فى أبعاد الزمان والمكان .

التلاقى على جمع الشمل للتوحد والبناء

التلاقى على جمع الشمل للتوحد والبناء : إختلت المسيرة وترددت الأوضاع فى عالم المسلمين بسبب تفاقم الخلاف وشيوع الإنقسام ولا يمكن التعاطى السليم مع الأشياء دون التعرف على المشكلات التى أفرزت حالة الفرقة والتشرذم فى أوطان المسلمين حتى وصل مداها إلى قلب الشعوب وأقطار العالم الإسلامى وباتت تهدد وجوده وتعم جنباته ويكون أمر الإختلاف وتباين وجهات النظر مقبولا وسائغا متى كان فى نطاق الحوار والسعى إلى المصلحة من الناحية الدينية والسياسية فإن من غير الجائز وغير المستساغ أن يتحول هذا اللإختلاف إلى صراع وتنابذ وفرقة وتشرذم باسم الدين .

فصل

وحدة الحضارة الإسلامية

إن حدة الحضارة الإسلامية تعنى تشابهها فى الروح والخصائص المميزة لها أيا كان ميدانها فالروح الإسلامية كانت تسرى فى إبداعات المسلمين فى شتى لمجالات والنواحى المختلفة وفى مجالات الحضارة التى تسرى فيها روح الإسلام ومعطياته ومفاهيمه .

الخصائص المميزة للحضارة الإسلامية

إن الخصائص المميزة للحضارة الإسلامية : الروح الدينية القوية والتى إنعكست أثارها على مجالات الحضارة الإسلامية المتعددة ومن الخصائص المميزة أيضا أنها تقوم على عمارة الدنيا كما أن من الخصائص المميزة للحضارة الإسلامية والتى كانت سببا فى وحدتها أنها حضارة تقدمية تقوم على التسامح الدينى مع غير المسلمين والإعتراف لهم بحريتهم فى معتقداتهم الدينية والتسامح فى المعاملات بين المسلمين وغير المسلمين من أهل الذمة وذلك نابع من موقف الدين الإسلامى من الديانات السماوية السابقة له .

كما أن من خصائص الحضارة الإسلامية : الحرية حرية الإعتقاد وحرية العمل والتنقل وجميع أنواع الحريات وحقوق الإنسان المعروفة الآن وعدم التفرقة بين البشر بسبب الجنس أو اللون أو العرق وكذلك لا فرق بين المسلمين بسبب أى نوع من أنواع التفرقة العنصرية الموجودة الآن ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى

كما أن من خصائص الحضارة الإسلامية : التكافل والتراحم بين الغنى والفقير وبين القوى والضعيف وبين الحاكم والمحكوم وغير ذلك من الخصائص التى امتازت بها الحضارة العربية عن غيرها من الحضارات والتى كونت السمة الأخرى الروح الإسلامية ما هو معروف بوحدة الحضارة الإسلامية .

وحدة المجتمع الإسلامى

إن الإجتماع الإنسانى ضرورة كما عبر عن ذلك رائد علم الإجتماع / ابن خلدون

بقوله : إن الإجتماع الإنسانى ضرورى ويشير كذلك إلى حاجة الإنسان إلى الأمن وأهمية التعاون لتحقيقه وغير ذلك من الأسباب التى ساقها ليبين طبيعة الإنسان الفطرية فى الإجتماع مع بنى جنسه وإجتماع الناس بعضهم مع بعض يتولد عنه علاقات إجتماعية كالصداقة والزمالة والمصاهرة وعمليات إجتماعية وهى علاقات إجتماعية معقدة مثل التعاون والتكيف والصراع وقواعد إجتماعية يسير عليها الناس فى المجتمع مثل القوانين والأعراف والتقاليد والعادات ونظم إجتماعية مثل النظم الإقتصادية والسياسية والنظم التربوية والنظم القضلئية والنظام العائلى فالنظم الإقتصادية هى النظم التى تتعلق بشئون الإقتصاد ونظم الإنتاج والتوزيع والإستهلاك وتداول الثروة والملكية الفردية والملكية العامة وحقوق كل منهما وواجباتها ومناهج التجارة الداخلية والخارجية والنظم السياسية وهى تتعلق بالشئون السياسية ونظم الحكم ووظائف السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية وسلطاتها وعلاقاتها بالأفراد وصلة الدول الأخرى والنظم القضائية وتتعلق بشئون القضاء ونظم المسئولية والجزاء ومقاومة المجتمع للجريمة ورد الحقوق لأصحابها والتقاضى وإجراءاته ونظم الأسرة من زواج وطلاق ونفقة وميراث وواجبات أفراد الأسرة تجاه بعضهم البعض والنظم التربوية وهى تختص بالتربية والتعليم وشئون الثقافة وتربية النشىء ونظم الآداب والمثل العليا وقواعد التمييز بين الفضيلة والرذيلة والخير والشر وما يليق وما لا يليق ويرى دكتور: على عبد الواحد وافى أن حياة المجتمع لا تستقيم ولا يكتب لها الإستقرار إلا إذا توافر فى هذه النظم والقواعد شرطان : -

الشرط الأول : أن تكون هذه النظم والقواعد موائمة لطبيعة المجتمع **.**

متفقة مع درجة تطوره متسقة مع ظروفه وأوضاعه ومحققة لمصالحه مواتية لإنطلاقه فإن لم يتوفر منها هذا الشرط فإنها تكون عناصر غريبة عن واقع حياته متنافرة مع طبيعته وبيئته يتجرعها أفراده تجرعا ولا يكادون يستسيغونها ويلاقون العنت فى تطبيقها فيقوى لديهم الإتجاه لمخالفتها وتعدى حدودها وتصبح أغلالا فى أعناقهم تعوق سيرهم وانطلاقهم وتعوق سير المجتمع نفسه وانطلاقه فيصيبه الفوضى ويعمه الإضطراب ويختل نظامه .

الشرط الثانى : أن تكون لهذه القواعد والنظم فى نفوس الأفراد قدسية واحترام وإجلال . وبذلك تمثل وازعا داخليا للأفراد ينبعث من نفوسهم فيحبب لديهم السير عليها ويبغضهم من الإتجاه لإنتهاك حرمتها وذلك أنه إذا فقد الوازع الداخلى واقتصر الأمر على الواقع الخارجى الذى يتمثل فيما يمثله القانون والعرف من عقوبة ومقاومة لمن يتعدى حدود النظام الإجتماعى فإنه يسهل حينئذ على الفرد الخروج على هذا النظام كلما تمكن من إتخاذ وسائل الحيطة والحذر والحيلة كى لا يقع تحت طائلة العقاب القانونى أو العرف وإختلال هذا الشرط يؤدى إلى الصراع بين النزعات الفردية والمجتمع ومن ثم يؤدى إلى الفوضى واضطراب الأمور وتحقق هذين الشرطين فى النظام الإجتماعى يختلف تبعا للمصدر الذى تستخدمه هذه النظم وهذا المصدر قد يكون مصدرا لا دينيا أو مصدرا دينيا والمصدر الدينى قد يكون دينيا سماويا قد أصابه الإنحراف والتعديل على يد أتباعه أو يكون دينيا سماويا صحيحا كالدين الإسلامى الصالح لكل زمان ومكان لأنه آخر الديانات السماوية التى جاءت بعد تطور البشرية والذى تكفل المولى عزوجل بحفظه فظل كما هو لم يتغير أو يتبدل فإذا كانت هذه النظم والقواعد غير مستمدة من دين ما ومعروف أنها من وضع البشر اختل فيها الشرط الثانى فلا يكون لها فى نفوس الأفراد قدسية ولا حرمة ولا اجلال **لأن** القدسية والحرمة والإجلال تختص بها أمور الدين والعقيدة وقد يختل فيها الشرط الأول نفسه وهو اتفاقها مع طبيعة المجتمع وتحقيقها لصالحه لأن واضعى القوانين غالبا ما يتأثرون بنظرياتهم وآرائهم الخاصة فيبتعدون بها عن واقع المجتمع ويأتون بما لا يتفق مع طبيعته ولا يحقق مصالحه أو بما يلائمه فى مرحلة خاصة من مراحل حياته ولا يلائمه فيما عداها من مراحل وإذا كانت هذه النظم والقواعد من دين غير ماوى مثل قوانين الديانة البوذية الفيرا وقوانين مانو فى الديانة البرهمية وقوانين الإبستاق فى الديانة الزرادشتية توفر فيها الشرط الثانى فتحظى لدى الأفراد بالقداسة لأنها ترتبط بإيمانهم وبعقائدهم ولكن قد يختل فيها الشرط الأول وهو اتفقاقها مع طبيعة المجتمع وتحقيقها لصالحه لأنها على الرغم من الثوب الدينى الذى ترتديه فى الظاهر قد وضعها أناس من البشر وعقليات من البشر لا يتفق مع

طبيعة المجتمع ولا يحقق صالحه ولا يتوافر فى هذه النظم والقواعد الشرطان السابق ذكرهما تمام التوافر إلا إذا كانت مستمدة من تشريع سماوى ودين صحيح كالدين الإسلامى لأن الشارع جل فى علاه عليم بطبيعة كل مجتمع إنسانى ولا يفرض عليه من الشريعة والدين إلا ما يوائم ويتسق مع أوضاعه ويحقق صالحه وبذلك يتوافر فيها الشرط الأول والنظم السماوية من جهة أخرى ترتبط بالإيمان والعقيدة فيكون لها فى نفوس الأفراد قدسية وحرمة وإجلال فيتبعوها عن رغبة ووازع داخلى وابتغاء مرضات الله ومحافظة على تقواه وخوفا من سخطه وعقابه فى الآخرة وبذلك يتحقق فيها الشرط الثانى أيضا على أكمل ما يكون ومنذ نزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم وقيام الدولة الإسلامية وتغيرت بالقواعد والنظم الإجتماعية واصطبغت بصبغة الإسلام تغيرت القوانين والأعراف والتقاليد وتغيرت النظم السياسية والإقتصادية والتربوية والنظم القضائية ونظام الأسرة ونظم الآداب والمثل العليا .

كما تغيرت قواعد التمييز بين الفضيلة والرذيلة والخير والشر وما لا يليق ولقد تغيرت هذه القواعد والنظم الإجتماعية جذريا وتم بناء النظم والقواعد الإسلامية على مفاهيم الإسلام وعطاء الإسلام وأصبحت القوانين مستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية وقامت الأعراف والتقاليد والعادات الإسلامية وتم بناء نظم إقتصادية إسلامية ونظم سياسية إسلامية ونظم تربوية إسلامية ونظم قضائية إسلامية ونظم أسرة إسلاميةوأصبحت مقاييس وقواعد إجتماعية للفضيلة والرذيلة والخير والشر وما يليق اكتسبتها المجتمعات الإسلامية لمعيار وقياس للأفراد والشعوب ومن هنا قامت وحدة المجتمع الإسلامى على أسس راسخة هى أسس إسلامية فوحدة المجتمع الإسلامى ترجع إلى الإسلام ووحدة المجتمع الإسلامى ترجع إلى قيام القواعد والنظم الإجتماعية على مفاهيم ومعطيات الإسلام وقد ظلت وحدة المجتمع الإسلامى قائمة سواء كان العلم الإسلامة دولة واحدة أو دولا متعددة لأن المجتمعات الإسلامية ظلت محتفظة بقواعدها ونظمها الإسلامية المبنية على مفاهيم الإسلام ظلت وحدة المجتمع الإسلامى قائمة حتى أواخر القرن الماضى وهو الوقت الذى إحتل فيه الإستعمار

معظم الأراضى والبلاد الإسلامية وبدأ الغزو الفكرى الإستعمارى العلمانى للمجالات الثقافية والإقتصادية والسياسية والتربوية والتعليمية وغيرها فتغير كثير من النظم والقواعد الإسلامية وحلت محلها نظم وقواعد مستوردة من الغرب تحمل مفاهيم المجتمعات الغربية وأدى ذلك إلى هذا التشتت ةالتمزق الذى يهدد وحدة المجتمعات الإسلامية ولا يمكن الزعن بأن ما هو حادث الآن فى المجتمعات الإسلامية هو نوع من التعدد والتنوع فى هذه النظم والقواعد لأن النظم والقواعد المستوردة تخص المجتمعات الغربية بدياناتها المسيحية وتاريخها ومفاهيمها الدينية والثقافية والحضارية فهى مختلفة عن النظم والقواعد الخاصة بالمجتمعات الإسلامية ويجب أن نفرز ونغربل وننقى نظمنا وقواعدنا وقوانيننا الإسلامية مما أصابها من النظم والقواعد الدخيلة فى شتى المجالات الإقتصادية والسياسية والثقافية والإجتماعية وغيرها حتى تشفى مجتمعاتنا الإسلامية من هذا التمزق الذى يعيشه والذى يهدد حياتها .

الأمة العربية فى مفترق الطرق

إن مشكلات أمتنا العربية كثيرة ومتنوعة وفى مقدمة هذه المشكلات أو على رأسها المشكلة الحضارية ولا نعدو قول الحق إذا قلنا إن حل هذه المشكلة يعد المفتاح الحقيقى لحل باقى المشكلات والقرآن الكريم يعطينا فى هذا الصدد إشارات تضىء لنا الطريق فلم يكن من قبيل المصادفة أن تكون بداية الوحى القرآنى على محمد صلى الله عليه وسلم معنية بالدرجة الأولى بلفت الأنظار والعقول إلى مفاتيح الحضارة المتمثلة فى العلم والبحث العلمى والدراسة لآيات الله فى الكون والإنسان

وإذا بحثنا عن أسباب التدهور القائم فى التخلف الحضارى الذى لا تخطئه العين فى عالمنا الإسلامى فإننا سنجد أنفسنا أمام كم هائل من الأسباب على جميع المستويات الدينية والعلمية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية والأخلاقية وغيرها ومن أبرز هذه الأسباب : -

أولا : إهمال العلم والحضارة . ليس هناك شك فى أن إهمال المسلمين للعلم والحضارة يتصدر قائمة الأسباب التى أدت إلى التراجع الحضارى حيث لم يعد العلم ولا التقدم الحضارى يشكل أولوية فى قاموس الأمة وأن المسلمين قد تخلوا عن مفاتيح الحضارة منذ بضعة قرون وتركوها لغيرهم واكتفوا بقشرة حضارية مستوردة يراها المرء فى أنحاء شتى من العالم الإسلامى .

ثانيا : إختزال الإسلام فى الشعائر .

إن إهتمامنا بالشكل الحضارى بعيدا عن الجوهر جعلنا أيضا نختزل ديننا العظيم فى مجرد آداء الشعائر الدينية المعروفة والإهتمام المفرط فى الشكليات بعيدا عن جوهر الدين ومقاصده وأصبح التدين الشكلى هو الأساس ولا يهم ما وراء ذلك وقد أدت هذه الظواهر السلبية فى سلوك المسلمين إلى إهمال دور العقل الإنسانى وانتشرت الكثير من الخرافات والأوهام التى لا أساس لها فى صحيح العلم أو الدين

ثالثا : ظواهر التشدد والتطرف . وقد نتج عن هذه التوجيهات البعيدة عن مقاصد الدين الحقيقية سبب آخر فى ظهور الكثير من أشكال التشدد والتطرف فى فهم الدين وتعاليمه وأصبح التشدد فى أمور الدين وبصفة خاصة فى الأمور الهامشية علامة

واضحة على التدين وقد ترتب على هذا التشدد فى أمور الدين على هذا النحو تحول سلبى فى السلوك حيث حلت الفظاظة والغلظة والعنف محل الرحمة التى هى السمة الأساسية للإسلام وانتشرت تهمة الكفر والتحلل من الدين ضد من يعتقد أنهمم متساهلون فى أمور الدين أو من لهم وجهة نظر مخالفة لهؤلاء المتشددين وافتقدنا روح التسامح الإسلامى هذا التسامح الذى عبر عنه الإمام محمد عبده

بقوله : لقد اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد أحكام دينهم أنه إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مئة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان ولا يجوز حمله على الكفر وغنى عن البيان .

أن نشير فى هذا الصدد إلى أن التيار المتشدد كان وراء ظهور موجات الغلو والتطرف والتعصب والإرهاب الذى جلب على الأمة عواقب وخيمة .

رابعا : التشرذم وفقدان التضامن . قد كان لإهتمام المسلمين بالشكل على اللمستوى الدينى والحضارى أكثر من إهتمامهم بالجوهر وانتشار تيارات التطرف والتشدد فى مجتمعاتهم كان لذلك أثر سلبى على العلاقات بين شعوب الأمة على جميع المستويات وبصفة خاصة على المستوى السياسى والإقتصادى فالتشرذم قد أصبح هو السمة الغالبة على علاقات شعوب الأمة فيما بينها وبالتالى أصبح التضامن مجررد شعار نردده ولكنه يخلو من أى مضمون **.**

خامسا : غياب النقد الذاتى .

إن النقد الذاتى هو الخطوة الأولى نحو الوعى بعيوبنا وأدواتنا وما نتحمله من مسئولية لما يعانيه هذا العالم الإسلامى من التخلف والوعى بأننا نتحدث كثيرا ولا نفعل شيئا إلا أقل القليل الوعى بأن هناك واقعا متخلفا فى عالمنا الإسلامى يجب أن يتغير الوعى فإننا نحن المسلمون نسهم بشكل أو بآخر بقصد أو بغير قصد بحسن نية أو بسوء نية فى تخلف مجتمعاتنا الإسلامية نحن فى أشد الحاجة إلى تعديل مواقفنا وتطوير أسلوب تفكيرنا وتغيير سلوكنا والتعرف على الحقائق بطريقة بعيدة عن أى ميول عاطفية أو إنفعالات وقتية وهذه كلها أمور تتطلب المزيد من النقد الذاتى

ومن جانب آخر نحن فى أشد الحاجة أيضا إلى غرس القيم الدافعة إلى التقدم فى المجتمع فى نفوس أبناءنا وهذا أمر يقتضى تغيير المفاهيم وتغيير العقليات حتى تكون قادرة على تحمل تبعات النقد الذاتى .

خاتمة

إن الأوضـاع فـى الأمـة العربيـة قـد شـجعت الآخـرين للتـرويج لمـا يسـمى الفوضـى الخلاقة وهذه الفوضى الخلاقة ما هى إلا دعوة لإثارة الفتن والعصبيات والإنقسامات فـى أوسـاط المسـلمين وهكـذا أصـبح الآخـرون يتحكمـون وحـدهم فـى مصـائر الأمـة ويقررون ما يشاءون إن هناك إذا تحديات كبرى داخليـة وخارجيـة تواجـة الأمـة ولا خيار أمامها إلا قبول التحدى ومواجهة الأخطار إذا أرادت أن تحتل مكانتها الائقة بها فى عالم اليوم ولا شك فـى أن عقلاء الأمـة يريـدون الإرتقـاء بحضـارتها وأن تكـون مؤثرة فى الحضـارة الإنسانية حتى لا يكـون المسـلمون مجـرد مسـتقبلين أو مقلـدين أو مستهلكين ولكن النوايا وحدها لا تصنع حضارة ولـلا تغير من الواقع شيئا ومن أجل ذلك فـإن الأمـة فـى أشـد الحاجـة إلـى ثقافـة جديـدة هـى ثقافـة التغيير التـى تستطيع أن تحول النوايا والأمنيات إلى واقع ملموس ونحن إذ نتذكر حضارتنا فليس من غرضنا مجرد التغنى بالأمجاد كما أنه ليس من غرضنا أيضا أن نبكى على الأطلال فذلك كله من شأن العاجزين ولكن المقصود هو إستعادة الثقة بأنفسنا وبقدراتنا والإستفادة من الماضى .

إن المسلمين فى حاجـة ماسـة إلـى التسلح بـالإرادة القويـة والتـزود بـالعزيمـة الصـادقة والتمسك بالأمل فى مستقبل مشرق وفى غد أفضل والإقتنـاع بأنهم يقفـون علـى أرض صلبة وأنهم فـى انطلاقتهم الحضـارية الجديـدة لا ينطلقـون مـن فـراغ وإنمـا يعتمـدون على رصيد حضارى ضخم أثبت التاريخ أنه كان نموذجا رائعا قدم للإنسـانية عطـاءا حضاريا بلا حدود ولكن الأمر يتطلب منا فى العصر الحاضر قراءة جديدة للإسلام لنعيد النظر فى فهمنا لهذا الدين الذى لا يتعرض فقط لظلم خصومه وإنما يعانى أيضا من جهل أبنائه الذين ذهب فريق منهم إلى إفتعال خصـومة بين الإسلام والعلم وبين الإسلام والعقل وبين الإسلام والتجديد الأمر الذى أدى بنـا إلـى إغلاق بـاب الإجتهـاد والتقليل من شأن المرأة فى المجتمع وأصبح الدين على أيديهم يشكل قائمة طويلة من المحرمـات والمحظـورات وصـار دينـا جامـدا منغلقـا رافضـا لأى تطـور إيجـابى فـى المجتمع والحق أن العيب فينا نحن المسلمون وليس فـى الإسلام ومن هنـا كـان رد

المفكر الإسلامى الراحل / مالك بن نبى على تهمة إرجاع تخلف المسلمين إلى الإسلام بقوله : إن التخلف الذى تعانيه الأمة الإسلامية اليوم ليس سببه كما يشاع وإنما هو عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليتهم لا لتمسكهم به كما يظن بعض الجاهلين .

الفهرس

الباب الأول

المراجع

مجلة الأزهر عدد يناير 2015

مقالة الأستاذ الدكتور / محمد فتحى فرج

المجلة العربية عدد نوفمبر 2017

مقالة الأستاذ / يحى السيد النجار

الأمة العربية وصنع الحضارة

كتاب أزمات إنسانية والحل القرآنى

الأستاذ الدكتور / طه جابر العلوانى

الجزء الثانى هدية مجلة الأزهر عدد سبتمبر 2016

مجلة المجاهد عدد أكتوبر 2014

مقال الدكتور / أحمد البوصيلى الأزهرى

كتاب الرياضة والأخلاق

دكتور/ منصور مندور

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عدد 216

كتاب الدين والحضارة الإنسانية

الدكتور / محمد البهى

هدية مجلة الأزهر فبراير ومارس 2016

كتاب التربية الإسلامية بين العقيدة والأخلاق

دكتور / محمد فريد حجاب

كتاب مدخل إلى الأخلاق

دكتور / محمد كمال إبراهيم جعفر

مكتبة دار العلوم

كتاب هوامش على أزمة الفكر الإسلامى المعاصر

الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق

هدية مجلة الأزهر عدد شوال 1435 هجرية

مقالة الأستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندى
الفقه الإسلامى وتحديات العصر
مجلة الأزهر عدد شوال 1435 هجرية
كتاب كنوز الإسلام
ترجمة حرة لكتاب THE TREASURES OF ISLAM
دكتور / فيصل عبد الحليم شهوان
كتاب القرن الخامس عشر الهجرى الجديد فى ضوء التاريخ والواقع
تأليف العلامة / أبو الحسن على الحسنى الندوى
هدية مجلة الأزهر شهر ربيع الأول 1430 هجرية
تقديم الأستاذ الدكتور / محمد رجب الفيومى
مجلة الأزهر عدد سبتمبر 2017
مقالة الأستاذ الدكتور / عماد الدين إبراهيم
التوازن الحضارى فى فكر مالك بن نبى
مجلة الأزهر عدد إبريل 2017
مقالة الأستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندى
استحقاقات نموذج الإسلام الحضارى
مجلة الأزهر عدد سبتمبر 2017
مقالة الأستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندى
الإسلام رسالة للإصلاح والتقدم
المجلة العربية عدد فبراير
مقالة الدكتور / ناصر نافع البراق
العلم أمل الأمم والشعوب والمستقبل
المجلة العربية عدد فبراير 2018
مقالة الدكتور / حيدر البستنجى
المستقبل يبدأ الآن لمن يريد

المجلة العربية عدد فبراير 2018

مقالة الأستاذ / محمود البشتاوى

العرب والعلم مساحات أمل صغيرة

المجلة العربية عدد فبراير

مقالة الأستاذ الكاتب / جمال بن حويرب

المستقبل ليس أمنيات

مجلة الوعى الإسلامى عدد يونيو يوليو 2017

مقالة الأستاذ الكاتب / عبد العلى الوالى

مقومات الحضارة من منظور قرآنى

مجلة الوعى الإسلامى عدد يونيو يوليو 2017

مقالة الدكتور / محمد حسن بدر الدين

ملامح الحكمة القرآنية فى كتابات العقاد الإسلامية

مجلة الوعى الإسلامى عدد مارس إبريل 2017

مقالة الدكتور / بوعبير الإزدهار

حاجة الأمة الحضارية إلى تعقل السنن الإلهية

مقالة الكاتبة / مياسة النخلانى

المعرفة منارة لا ينطفأ نورها

مجلة الوعى الإسلامى عدد أكتوبر/ نوفمبر 2017

مقالة الدكتورة / ندى حجازى

ما أحوج أمتنا للقراءة

مقالة الأستاذ الكاتب / عبد الله شريف

مجلة منبر الإسلام عدد سبتمبر 2017

مقالة الدكتور / محمد صلاح الدين المسقاوى

من مقتضيات التوكل الأخذ بالأسباب ونبذ الخمول

مقالة الدكتور / بكر زكى عوض

العلم والعمل يشملان الدينى والدنيوى
مقالة الدكتور / السيد صالح
لا يمكن لأمة أن تنهض بغير العمل
مجلة العلم عدد 496 فبراير 2018
مقالة الدكتور / على مهران هشام
صناعة التنمية المستقبلية
كتاب الثقافة والحضارة الإسلامية
الدكتور / محمد الجوهرى حمد الجوهرى
مجلة الأزهر عدد يناير 2018
مقالة الأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا
كلمات ربى وآياته فى القرآن الكريم
كتاب القدس
هدية مجلة الأزهر عدد يناير 2018
مجلة الإسلام وطن عدد فبراير 2018
المقال الإفتتاحى بقلم الأستاذ / محمد علاء ماضى أبو العزايم
مجلة الأزهر عدد فبراير 2018
المقال الإفتتاحى الأمة الإسلامية فى مفترق الطرق
الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق رئيس التحرير
كتاب الإسلام والإستقرار النفسى والإجتماعى
سلسلة قضايا إسلامية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عدد 211 سبتمبر 2012
الأستاذ / عبد التواب إبراهيم رضوان
مجلة الازهر عدد مارس 2018
مقالة الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق
الإسلام فى مفترق الطرق

مقالة الدكتور / خورشيد أشرف إقبال الندوى
حضارة الإسلام هى حضارة العدل والمساواة والسلام
مجلة الأزهر عدد ديسمبر 2017
مقالة الأستاذ الدكتور / محمد عمارة
معالم التجديد للفكر والخطاب الإسلامى

مجلة الإسلام وطن عدد فبراير 2018
المقال الإفتتاحية / السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم
مجلة الإسلام وطن عدد مايو 2018
المقال الإفتتاحية / السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم
مجلة الإسلام وطن عدد أبريل 2018
المقال الإفتتاحية / السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم